



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج ماجستير الدراسات الإسلامية المعاصرة

الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام
في سورة الأعراف

عبد المهدي بدوي محمد الزهور

رسالة ماجستير

القدس فلسطين

2013-1434م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج ماجستير الدراسات الإسلامية المعاصرة

الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام
في سورة الأعراف

إعداد:

عبد المهدي بدوي محمد الزهور
الرقم الجامعي: 20810993

بكالوريوس شريعة-جامعة الخليل فلسطين عام 1988م
المشرف: د. حاتم جلال التميمي

قدمت هذه الرسالة، استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات
الإسلامية المعاصرة من دائرة الدراسات العليا، كلية الآداب-جامعة القدس.

1434هـ - 2013م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج ماجستير الدراسات الإسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام
في سورة الأعراف

اسم الطالب: عبد المهدي بدوي محمد الزهور
الرقم الجامعي: 20810993

المشرف: د. حاتم جلال التميمي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2013/10/5 من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم
وتوافقهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: د. حاتم جلال التميمي
2. ممتحناً داخلياً: د. موسى البسيط
3. ممتحناً خارجياً: د. محمد عمران

التوقيع:
التوقيع:
التوقيع:

القدس - فلسطين
1434هـ / 2013م

الإهداء

إلى روح الوالدين الكريمين، رحمهما الله وغفر لهما
إلى الزوجة الصابرة والمثابرة، التي ما كَلَّت ولا مَلَّت من الوقوف بجانبني وتشجيعي ومساندتي
إلى أبنائي الأعزاء ذكوراً وإناثاً
إلى الأسرى الأبطال خلف القضبان، الذين دفعوا ويدفعون ضريبة الكرامة والعزة والحرية
إلى كل من أشار عليّ بنصيحة، أو ذكّرني بإشارة، أو ساعدني بعبارة
إلى كل هؤلاء أقدم هذا الجهد المتواضع، سائلاً المولى عز وجل السداد والرشاد والقبول

عبد المهدي بدوي محمد الزهور

إقرار:

أقر- أنا مقدم الرسالة- أنها قُدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو جزء منها لم يُقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

عبد المهدي بدوي محمد الزهور

التاريخ: 5 \ 10 \ 2013م

شكر وعرافان

قال رسول الله ﷺ: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)⁽¹⁾. وفي رواية أخرى يقول الرسول ﷺ: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)⁽²⁾.

فالشكر والفضل أولاً وأخيراً لله عز وجل صاحب الفضل في كل شيء ؛ الذي ألهم وسدد، وأعان ووفق. ثم الشكر لمشرفي الدكتور حاتم جلال، الذي وسعني بحلمه، وغمرني بخلقه وصبره، فأرشد ووجه، ونصح وصحح، حتى خرج هذا العمل إلى النور، وأوجه الشكر أيضاً للمناقشين الفاضلين، الدكتور موسى البسيط، والدكتور محمد عمران، اللذين تكرماً بقبول مناقشة هذه الرسالة على الرغم من كثرة انشغالهما، والشكر لمن يستحق الشكر المميز والثناء الجميل ابن الأخ الحبيب والصهر الأديب المهندس معين الزهور الذي ما توانى ولو لحظة في مساعدتي في أمور الرسالة الفنية والتقنية.

وأختم شكري -والختام مسك- للشيخ عادل شنيور "أبي معاذ" ، وللاستاذ محمود الشروف "أبي محمد"، على ما قدماه لي من مساعدة في بعض متطلبات الرسالة.

إلى كل هؤلاء أقدم شكري وعرافاني وتقديري، فجزاهم الله خير الجزاء، وأجزل لهم المثوبة والعطاء.

1 أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم،(4813). (403/4). حديث صحيح، صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، حديث رقم 416، (776/1).

2 الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب البرِّ والصَّلة، باب الشكر لمن أحسن إليك، رقم(1954)، (339/4). حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (2/ 272).

ملخص

تناولت هذه الدراسة بيان الإشارات التربوية الموجودة في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، واقتصرت الدراسة على سورة الأعراف؛ لأن قصة موسى عليه السلام وردت في مواطن كثيرة من القرآن الكريم يصعب أن تحيط بها رسالة واحدة. واختار الباحث سورة الأعراف دون بقية السور التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام؛ لكونها أوسع السور التي تضمنت تلك القصة القرآنية؛ ولما تحتويه من مشاهد وأحداث تفردت بها عن بقية السور، وأبرزها تلك المشاهد التي وردت في القصة تلك التي تتحدث عن الانحرافات الفكرية والنفسية عند بني إسرائيل؛ وهذا من شأنه أن يلقي الضوء على السبيل الأرشد في طريقة التعامل معهم في كل زمان ومكان وتجنب الأخطاء والخطايا التي ارتكها بنو إسرائيل في الماضي البعيد ليُستفاد منها في الحاضر القريب، وقد قامت هذه الدراسة على المنهج التاريخي؛ البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس علمية منهجية ودقيقة بقصد التوصل إلي حقائق ومعلومات أو تعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل. وقد أظهرت هذه الدراسة أهمية الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وأهمية آراء التربويين القدامى والمعاصرين في تلك الإشارات التربوية، كما أظهرت الدراسة التطبيقات التربوية المستفاد من قصة موسى عليه السلام على الواقع التربوي والسياسي الذي نحيا. وقد تضمنت الدراسة الكثير من النتائج والتي من أبرزها: الثواب والعقاب بشروطه وضوابطه، أسلوب تربوي أقرته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، الإنكار والتوبيخ والتفريع أساليب تربوية يُستفاد منها عند الضرورة. وأن القيادة التربوية شرط مهم في الفكر التربوي والعملية التربوية، ويوصي الباحث بضرورة توجيه الباحثين والدارسين لاستكمال استنباط إشارات تربوية من كل آية من آيات القرآن الكريم عامة، والقصص القرآني خاصة لما لهذا القصص من تأثير إيجابي وفعال على المعلم والمتعلم كما أكد ذلك التربويون القدامى والمعاصرون. وأن يقوم مجموعة من الباحثين باستيفاء بقية الدلالات التربوية في قصة موسى عليه السلام في غير سورة الأعراف وعمل دراسات تربوية تكون مرجعيتها السنة النبوية. وأخيراً تشجيع الباحثين في الدراسات القرآنية على الكتابة في المباحث الاجتماعية والإنسانية، والنفسية والإدارية والسياسية والعقدية المختلفة من خلال آيات القصص القرآني، للفت أنظار الباحثين والدارسين لكنوز آيات القرآن التربوية.

Educational Indicators in Prophet Mousa's Story in Al-A'raf Soura

Supervisor: Dr. Hatem Jalal Tamimi

Student: Abdulmuhsi Badawi Mohammad Al-Zhour

Abstract:

The study aimed at deciphering the educational indicators in Prophet Mousa's story in Al-A'raf Soura, as this Soura widely explicate the details of the story more than other Souras. The Al-A'raf Soura explained the scope of punishment that Pharo's People experienced, along with illustrating the cultural and psychological deviations of Bani Israel. Such presentation is to indicate the proper ways to deal with those people who always commit sins. It is also to furnish a new parameters for educators and preachers to educate people about the truth of their religions.

The significance of this study stems from the significance of the subject it presents as it researches the implication from a Quranc point view which contains the most and highly developed educational methodologies in socializing generations.

The study followed the historical methodology which study and analyze events on scientific basis for the purpose of having new facts, information and generalization to enable us understand the future in light of the past and also to enable us infer for the future to get to the right truth and generalization through explaining the verses of Souret Al-A'raf and extrapolating future for the purpose of deciphering education and indicators for generation to benefit from.

The study illustrates the significance of indicators extrapolated from critics of Mousa's story in Al-A'raf Soura; the study also illustrated the educational applications revealed from Mousa's story in relation to the educational and political statuses in which we live.

The study revealed several conclusions such as:

Rewards and punishment which are controlled in nature are educational parameters revealed from religious and humane legislations; punishment and reprimands are also means to be used when necessary. Educational leadership is an important pillar in educational thought and in the educational process in general.

The study recommends researchers to continue extrapolating more educational indicators from all verses of Quran for the great impact of these verses on learners and teachers alike. And the study conducts more researchers and Quranc studies to decipher more educational methodologies to educate and socialize people as proper. And encourages researches to do more Quranc studies in social, humane, psychological, and political domains of stories presented in the holly Quran.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧)، وذلك لتمام مطابقتها على الواقع ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢) وأقوال الله تعالى التي وردت في كتابه العزيز، وردت بأساليب بلاغية وتربوية متنوعة؛ كأسلوب الحوار والمناقشة، وأسلوب ضرب المثل، وغيرها الكثير الكثير، ومن هذه الأساليب الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وما يحتويه من إشارات تربوية، ودلالات فكرية وعقائدية، كما أن هذا القصص أنفع القصص لأنه مليء بالعبر والعظات والدروس والآيات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١)، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق. ولأن القصص القرآني يتحدث عن تجارب الأمم والأقوام التي سبقت، ولأن عمر الفرد والجماعة في هذه الحياة الدنيا محدود، فإنه يصعب على الإنسان أن يكون خبيراً في كل شيء، ولا بد أن يستفيد من تجارب الآخرين، ومن قصص الأولين؛ فيأخذ العبر والعظات، ويتعلم الدروس والآيات، ولا سيما أن القرآن الكريم تضمن حصيلة التجربة الإنسانية منذ بدء الخليقة.

وما كان القرآن الكريم، وهو الكتاب المعجز بأسلوبه البياني وتعبيره الفني المتميز، ما كان له أن يهتم بهذا الحشد من القصص الهادف، دون أن يصوغه ضمن صياغة فنية وجمالية مؤثرة، تفي بكل شروط وآليات التعبير الفني وعناصر السرد الحكائي المؤثر؛ من حبكة وحوار وشخصيات وأحداث وأشكال سردية.

ويظل التصوير الفني أهم طابع فني يميز القصة القرآنية، حيث يسري إلى كل عناصرها الحكائية بعفوية تضيف جمالية متميزة على العمل القصصي ككل. فالقرآن عمومًا وفي كل أساليبه الفنية، يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة.

فالحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، يردها شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة. فإن أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين

نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأولى. ومن ثم كان التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن عموماً وفي القصة القرآنية على الخصوص.

فالمواقف والمشاهد لم تنقل بطريقة إخبارية جامدة، ولكن بطريقة تصويرية يقدم فيها الحدث كاملاً، يجمع بين المعلومة الإخبارية والإحساس المصاحب لذلك، حيث تتضح التجربة كاملة.

كما يركز التصوير الفني على إبراز ما يكتنف الوجدان الإنساني من عواطف وانفعالات، وذلك من خلال سلوك الشخصية وموقفها من الأشياء، وعبر منظورها الخاص تجاه الأحداث. فيكشف ما بداخل الشخصية من انفعالات ومشاعر؛ كالحيرة والقلق والخوف والاضطراب والفرح والحزن... ومثال ذلك تصوير شخصية "مريم" في سورة مريم، والتفنن في تقديم ما اعتمرها من مشاعر متضاربة، حافلة بالصراع الدرامي الداخلي والخارجي، وأيضاً تصوير شخصية أم موسى عليها السلام التي عاشت ظروفًا نفسية عصيبة وصراعاً داخلياً شديداً، تفنن السياق الفني في عرضه في صورة القصص مثلاً وغيرها .

أسباب اختيار الموضوع

جاءت الرغبة في الكتابة والبحث في قصة موسى عليه السلام، لأسباب عدة أهمها:

1. لما فيها من المواقف والمشاهد المليئة بالإشارات التربوية التي تثير الطريق للسالكين، وتذكر قلوب الغافلين، وترفع الهمم، وتشد العزائم، وتدعو الدعاة إلى الصبر والثبات.
2. لأن قصة سيدنا موسى عليه السلام من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، بل وأكثر هذه القصص من حيث حلقاتها، وقد ورد ذكرها أكثر من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، وتناولتها أكثر من اثنتين وعشرين سورة أغلبها مكية، وهذا الورد الكثير لفت انتباه الباحث، ودفعه للبحث والتأمل والدراسة والتحليل، للوصول إلى نتائج مفيدة وجديدة ونافعة بإذن الله تعالى.
3. قصة سيدنا موسى عليه السلام أقرب القصص القرآني إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ من حيث طبيعة مراحلها وأطراف الصراع فيها، وتضمنت تجربة طويلة مع العدو والتابع؛ حيث إن بني إسرائيل كانوا هم أول من تصدى للدعوة إلى دين الله وعادها في الجزيرة العربية وما حولها، وبرزت منهم في وجهها حراب المكر والكيد والخصومة البالغة، إلى جانب النفاق والخداع وتأليب الأعداء.

4. لأن هذه القصة كانت تنزل في العهد المكي، عهد التربية والتكوين للنواة الإسلامية الأولى، التي كانت تواجه تحديات عظيمة في مكة وخارجها، فكانت تأتيمهم وتتلى عليهم وهم يواجهون المحن والابتلاءات، فما كانت تزيدهم هذه المحن إلا إيماناً وتسليماً، وثباتاً على الطريق، وإصراراً على اقتحام المخاطر ومواجهة التحديات.

5. وجود أوجه من الشبه بينها وبين سيرة سيدنا محمد ﷺ؛ فموسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وكذلك سيد الخلق محمد ﷺ، موسى عليه السلام واجه الطغمة الحاكمة الطاغية الظالمة، ووقف في وجه فرعون وملئه، ومحمد ﷺ واجه طغمة ظالمة مستبدة، وهم كفار قريش وكبرائها، إلى غير ذلك من أوجه الشبه.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله كانت مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعاً آخر كان له ما كان للقصة من نصيب، بسبب أن القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفاً واحداً، بل إن هذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة وغاياته المتعددة، فعلى سبيل الإجمال يهدف القصص القرآني إلى تربية نوع الانسان تربية تضمن له خير القيم والأخلاق والسلوك، وتحول بينه وبين المنزلاقات والمهالك⁽¹⁾.

ولقد جاء القرآن الكريم داعياً إلى الهداية والرشاد، بأساليب شتى؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارةً بالإقناع العقلي، وتارةً ثالثة بوخز الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسةً بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحياناً كثيرة: بأسلوب القصص، الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيراً فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، بل وكأنه هو بطل القصة أو الشاهد فيها، فيرى من خلالها كل من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس، وما في خَلده من أحاديث، وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة.. فالقصة لا سيما إن كانت بأسلوب شيق، وبيان رائق لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أي وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب رباني معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومن السمات ما ليس لغيره!!

- ولو كان هناك مقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية اليوم.. لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحا في عرض الفكرة أو صياغة المادة العلمية بأسلوب قصصي جذاب.. هي أكثرها نجاحا وأينعها ثمارا.. لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب، وأقرب إلى فطرته، وأسهل عليه حفظا وفهما، وأدعى لتلقيها بدون أي مشقة أو ملل.. وهذا الكلام عاشه الباحث عملياً لا نظرياً وذلك من خلال عمله في حقل التربية والتعليم سنين عددا.

ولذلك؛ كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسائل والدعوات، والهدأة، والقادة، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ليغرسوا فيهم معاني تربوية لافتة ومهمة⁽¹⁾.

وفي قصة موسى عليه السلام والتي هي موضوع الدراسة، سيكشف الباحث عن معنى القصص في اللغة والاصطلاح، والتعرف على مفهوم الإشارات، وعلى أثر القصة القرآنية في التربية، وكشف أبرز وأهم الإشارات التربوية الواردة في قصة موسى عليه السلام، وذلك من خلال استنباطها من أقوال المفسرين، ومدى تطبيقات هذه الإشارات على الواقع التربوي والسياسي الذي نعيشه. ويفترض في هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

1. ما معنى القصص لغةً واصطلاحاً؟ وما هو مفهوم «الإشارات»؟
2. ما واقع القصص من ناحية المفهوم التربوي وما فائدته؟
3. ما أبرز الإشارات التربوية التي استنبطها المفسرون من قصة موسى عليه السلام؟
4. ما رأي التربويين في الإشارات التربوية المستنبطة من قصة موسى عليه السلام؟
5. ما مدى انعكاس الوقائع والأحداث في قصة موسى عليه السلام على واقعنا الذي نعيشه؟

أهداف الدراسة:

هذه الدراسة تسعى لتحقيق عدة أهداف، أهمها:

1. التعريف على القصص لغةً واصطلاحاً؟ وما هو مفهوم «الإشارات»؟
2. الكشف عن واقع القصص من ناحية المفهوم التربوي وما فائدته؟
3. التعرف على أبرز الإشارات التربوية التي استنبطها المفسرون من قصة موسى عليه السلام؟
4. الكشف عن رأي التربويين في الإشارات التربوية المستنبطة من قصة موسى عليه السلام؟
5. الكشف عن التطبيقات التربوية المسفدة في قصة موسى عليه السلام على واقعنا الذي نعيشه؟

1 الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني منظومه ومفهومه، (ص7).

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

1. أنها قد تأتي في إطار بناء شخصية المسلم القائد والقادر؛ من خلال تتبع سيرة وأثار خير البشر؛ وهم الرسل الكرام، وتحديداً أولو العزم.
2. أن فيها تتبعاً واستنباطاً وتفسيراً تربوياً لآيات الذكر الحكيم، الذي يمثل المنهل العذب، والنبع الصافي، لكل ما يحتاجه الإنسان في كل شؤون الحياة.
3. أنها قد تسهم في التعرف على الانحرافات الفكرية والنفسية لبني إسرائيل، وترسم طبيعة العلاقة معهم في السلم والحرب، خاصةً في هذه الأيام التي تشهد أكبر الصراعات بين الأمة الإسلامية وبني إسرائيل.
4. يمكن أن يستفيد من الدراسة الدعاة السائرون على طريق الإيمان في نشر الإشارات التربوية المستفادة من قصة موسى عليه السلام.
5. يمكن أن يستفيد من الدراسة التربويون في بناء مناهج التربية الإسلامية.
6. المساهمة في توعية وإرشاد المعلمين وأولياء الأمور بآثار وانعكاسات الإشارات التربوية التي لا بد من الحرص على غرسها في الأبناء.
7. هذه الرسالة محاولة علمية لكشف واقع الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام.
8. هذه الدراسة بأدوات علمية قد تشكل قاعدة مفاهيمية لدراسات لاحقة.

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي أولاً، وهو المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفاً كيفياً، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي، وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة. ويعتمد على المادة التاريخية الموجودة في مصادرها، والمصدر الموثوق به في هذا المجال هو القرآن الكريم، وما صحَّ من الأحاديث الشريفة؛ وهذا ما حصل في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وما استنبط منها من منها من إشارات تربوية.

الخطوات الإجرائية للدراسة:

تتلخص الخطوات الإجرائية للدراسة في الأمور الآتية:

- 1.الرجوع إلى القرآن الكريم وتناول آيات سورة الأعراف التي تحدثت عن قصة موسى عليه السلام، وكتابتها بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية بجانبها في المتن.
- 2.البحث في كتب تفسير القرآن الكريم المختلفة والاستعانة بها في فهم الآيات.
- 3.الرجوع إلى كتب السنة النبوية المطهرة، مع تخريج الأحاديث وبيان درجتها إذا كانت في غير الصحيحين.
- 4.البحث في كتب اللغة والمعاجم عن معاني الألفاظ التي تدور حولها الدراسة.
- 5.الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في الدراسة.
- 6.الاستعانة ببعض كتب التربية وعلم النفس لتوضيح وجهة نظر التربويين في الإشارات التربوية المستنبطة من قصة موسى .
- 7.عمل الفهارس اللازمة لخدمة البحث والتسهيل على قارئه.

حدود الدراسة:

هذه الدراسة محدودة بالإشارات التربوية التي يمكن استنباطها من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الأعراف؛ لأن من المعروف أن كل مرة ترد فيها قصة من قصص القرآن فإنها تعالج موضوعاتٍ وأموراً غير التي ركزت عليها القصة ذاتها في سورٍ أخرى. وقد كنت أرغب في الكتابة والبحث في قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم حيثما وردت، إلا أن مشرفي الدكتور حاتم جلال -حفظه الله- نصحني وأرشدني إلى تحديد بحثي وحصره في إطار سورة واحدة فحسب؛ وذلك لأن دراسة قصة موسى عليه السلام كاملة لا تحيط بها رسالة واحدة بل رسائل. ومع هذا فسأحرص على الاستفادة من الإشارات التربوية التي يمكن الحديث عنها من غير سورة الأعراف في حدود ما تستلزمه طبيعة البحث، واختار الباحث سورة الأعراف دون بقية السور التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام؛ لكونها أوسع السور التي تتضمنت تلك القصة القرآنية؛ ولما تحتويه من مشاهد وأحداث تفردت به عن بقية السور، وأبرزها في ذلك الآيات التي تحدثت عن العقوبات التي حلت بآل فرعون من الجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات، والآيات التي تحدثت عن الانحرافات الفكرية والنفسية عند بني اسرائيل؛ وهذا من شأنه أن يلقي الضوء على السبيل الأرشدي في طريقة

التعامل معهم في كل زمان ومكان وتجنب الأخطاء والخطايا التي ارتكها آل فرعون وبنو إسرائيل وتحديدًا الداعية والمربي والمعلم والمتعلم. هذه أبرز الأسباب التي دعت الباحث لاختيار سورة الاعراف عن غيرها من السور.

وأما الفهارس: فقد اشتملت على ما يأتي:

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
- ثانياً: فهرس الاحاديث النبوية.
- ثالثاً: فهرس الأعلام.
- رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.
- خامساً: فهرس المحتويات

الدراسات السابقة:

1. دراسة الهوي (1987) بعنوان: (معالم الصراع الإيماني في قصة موسى عليه السلام).

وقد تناول الباحث الصراع الذي دار في قصة سيدنا موسى وما يحويه من معاني غزيرة ومعالم بارزة كثيرة مفيدة وهدفت الدراسة إلى: تجلية الصراع الإيماني من خلال قصة موسى وإيجاد المناخ الملائم لانقلاب الناس الى الصراع الإيماني الحق الذي يرضي الله. وتعود أهمية الدراسة على أنها تحتوي على قيم علمية كبيرة تعالج مشاكل الحاضر والمستقبل. وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي الوصفي، مبنياً على الاستقراء أو الاستقصاء فقام بجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الصراع الإيماني وصنفها حسب موضوعاتها. وفي النهاية خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

- 1_ إن خائض الصراع الإيماني لا بد له أن يتأهل بالعلم أولاً.
- 2_ إن أسلوب الرفق واللين مهم في الصراع الإيماني ومحافظة الداعية على مصداقيته في القول والوعد والعهد والأمانة، وإن الإسلام هو الغالب والمنتصر.

2. سهير عبد عبد الله كوك (الأبعاد التربوية لمفهوم الاستقامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية). هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أبرز الإشارات التربوية المرتبطة بمفهوم الاستقامة كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، من خلال بيان مفهوم الاستقامة وأبرز خصائصها وأهم آثارها، التربوية على كل من المعلم والمتعلم، وأبرز معيقاتها في حياة الفرد المسلم. وقد استخدمت الباحثة، أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية كأحد مداخل وتقنيات المنهج الوصفي، وذلك

بتحليل، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بمفهوم الاستقامة لاستنباط الأبعاد التربوية منها، كما استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتحديد أبرز معيقات الاستقامة في حياة الفرد المسلم.

3. دراسة طهطاوي (1996) بعنوان: (القيم التربوية في القصص القرآني)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تلعبه القصة القرآنية في غرس القيم الإسلامية في نفوس النشء والتعرف إلى أهم القيم التربوية في القصص القرآنية. وقد اتبع الباحث منهج: تحليل المحتوى باستخراج بعض القيم التربوية التي وردت في السور القرآنية وقام بدراسة تحليلية واستنباط الانعكاسات لهذه القيم في حل المشكلات التربوية .

وفي النهاية خلص الباحث الى عدة نتائج منها:

- 1_ ان القصة القرآنية تنفرد بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص وأنها نستطيع من خلالها غرس القيم التربوية في نفوس النشء
- 2_ أن القصة القرآنية تحقق أهداف التربية الإسلامية وأنه من خلالها يمكن نقل صورة حية لحياة الأمم السابقة .

4. دراسة الملفوح (2009) بعنوان : (أصول الإيمان في قصة ابراهيم عليه السلام):

هدفت هذه الدراسة إلى :

إبراز ما يتمتع به إبراهيم عليه السلام من منزلة رفيعة عند المسلمين، فيفخر المسلمون بالإنساب له عليه السلام، فهم الورثة الحقيقيون له عليه السلام في العقيدة الصحيحة.

بيان ما احتوته قصة ابراهيم عليه السلام من فوائد جليلة وحكم مفيدة وخصوصاً في باب العقيدة والدعوة وحاجة الناس إلى ذلك.

1. إظهار الصفات العظيمة التي تحلى بها ابراهيم عليه السلام

استخدمت الباحثة في هذا البحث : المنهج الإستقرائي التحليلي، وقامت بتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بنبي الله إبراهيم عليه السلام واستقراء كتب التفسير وشرح الأحاديث ومباحث العقيدة المتعلقة بقصة إبراهيم عليه السلام.

وخلصت إلى نتائج عديدة منها:-

_ أهمية العقيدة لارتباطها بكل الأنبياء عليهم السلام، وأن دعوة الخليل عليه السلام ارتبطت بالعقيدة، ولذا اتفق الأنبياء جميعهم في دعوتهم لأقوامهم أن دعواهم إلى توحيد الله سبحانه، والإخلاص له في عبادته جل وعلا.

_ كثرة ورود اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن فقد ورد تسعاً وستين مرة؛ وفي هذا بيان لأهمية شخصية الخليل عليه السلام في القرآن . وأن المسلمين هم أولى الناس به في اتباعه عليه السلام
_ أهمية الدعوة في حياة إبراهيم عليه السلام فهو لم يترك باباً للدعوة إلا وساهم فيه، فقد بدأ بأبيه في الدعوة ثم قومه من عبدة الكواكب وعبدة الأصنام.

5. دراسة جعفر (2009) بعنوان : (انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية)

هدفت الدراسة إلى : بيان واجب المنصورين المتضعفين بعد نصر الله وهزيمة الأعداء وهلاكهم، وقد تناولت الباحثة لتحقيق أهداف دراستها مبحثين :-

أولاً: الصراع من أجل الدين وفيه نصر القلة المؤمنة للإسلام ونصرة الكثرة الكافرة للكفر
ثانياً: الصراع من أجل الدنيا وتحدثت عن أسباب انتصار القلة المؤمنة.

وإستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال التعرف على أسباب الصراع بين القلة المؤمنة والكثرة الكافرة .

وكان من نتائج نصر الله المؤمنين على الكافرين :

_ تمكين لدين الله في الأرض

_ نصر القلة المؤمنة واستخلافهم وتمكينهم في الأرض.

ومن الدراسات السابقة التي توصل إليها الباحث :

6_ دراسة الصيفي (2009) بعنوان : (منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود: دراسة تطبيقية بين الماضي والحاضر).

وقد هدفت الدراسة إلى :

1. التطبيق العملي للتفسير الموضوعي، وبيان حاجة الأمة له، لأنه التفسير العصري الذي يضع

الحلول لمشاكل البشرية، إضافة إلى أنواع التفاسير الأخرى.

2. استنباط منهج علمي محكم من القرآن الكريم، يبين للأمة كيفية التعامل مع جرائم اليهود،

وكيفية استئصال إفسادهم من فلسطين .

واتبع الباحث منهج الاسترداد التاريخي الوصفي .

وخلص الى عدة نتائج منها:

1. إن الجرائم تنتشر وتكثر في المجتمعات الكافرة، بسبب غياب الوازع الديني، والرقابة الإلهية فيها، وتقل في المجتمعات الإسلامية، بسبب تحصنها وتمسكها بالدين.
2. فرق القرآن قديماً بين بني اسرائيل واليهود، فأثنى على المؤمنين منهم، وذم البعض الآخر.
3. قسم القرآن الكريم اليهود إلى فرقتين مؤمني أهل الكتاب، ذكر صفاتهم وأثنى عليهم وهم قل، والثانية هي الفرقة الكافرة وهم الأغلبية منهم.
4. إن استهداف فرعون لذكور بني اسرائيل، إنما أراد به القضاء على النسل البشري، وهذا يشكل حقداً في قلوب اليهود.
5. ضرورة انتقاء المجاهدين الأتقياء، من بين المسلمين ليخوضوا معارك التحرير ضد عدوهم، كي يعيدوا حقوق المسلمين.

7. دراسة خلة (2002) بعنوان: (سورة القصص: دراسة تحليلية وموضوعية): وهدفت الدراسة الى:

1. اظهار الوحدة الموضوعية في سورة القصص، وعلاقتها مع السور التي قبلها، والتي بعدها.
2. الربط بين الجوانب التحليلية والموضوعية للسورة، وإظهارها كسبيكة متكاملة من خلال التفسير التحليلي والموضوعي للسورة، حسب ضوابط التفسير المتبعة.
3. إبراز جوانب الإعجاز المختلفة في السورة، بما يظهر غلبة القرآن على الفكر الإنساني .
4. إظهار الموضوعات التي تعرضت لها السورة، والتي تحقق غرض موضوعها ومحورها الرئيسي.
5. عمل مقارنة بين الحلول القراضنية للمشكلات وبين الحلول البشرية الوضعية، والرد على الشبه والطعون الموجهة للإسلام.

وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج أهمها:

1. أهمية الدعوة إلى الله ﷻ، وتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين
2. هداية الناس إلى طريق الحق والصواب، هدف رئيس في دعوة السماء.
3. إظهار الإعجاز القرآني في أجلى صورة، وخاصة الإعجاز البياني البلاغي فيه.

8. دراسة خلف (1999) بعنوان: (قيم اليهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر).

وهدفت الدراسة الى :

1. الكشف عن قيم اليهود كما جاءت في قصص بني اسرائيل في القرآن الكريم.
 2. إبراز دور القيم اليهودية في توجيه فكرهم التربوي .
- وتناول الباحث القيم اليهودية من خلال الآيات القرآنية في قصص بني اسرائيل واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي باتباع الخطوات التالية :
1. معرفة الهدف العام والمضمون الفكري للآية .
 2. تصنيف القيم المتضمنة في الآيات القرآنية.
 3. عرض القيم لى مبحثين.
- وفي النهاية خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:
1. أن القرآن يمثل الإطار النظري في الإسلام ، وأن التربية الإسلامية استمدت مقوماتها منه.
 2. اتضح دور القصة في غرس القيم الإيجابية في نفوس النشء وقدرتها على معالجة القيم السلبية
 3. ضرورة استخدام المربي للأساليب التربوية المتنوعة: كالقصة، والمثل، والعبرة، والأحداث.
 4. توعية الأجيال المسلمة بتاريخ اليهود وسلوكهم وعداوتهم للمسلمين.

9. دراسة مسعود (2003) بعنوان: (الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام).
هدفت الدراسة إلى، إبراز الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام المتمثلة في الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية .
وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وخلص الباحث إلى العديد من النتائج كان من أهمها :-

- 1_ هناك ضعف لدى كثير من المسلمين في عقيدة الولاء والبراء ناجم عن عوامل عديدة منها: تعطيل الحكم بما أنزل الله والتغريب، ضعف التربية في البلاد الإسلامية، الجهل والاستشراق والتبشير، والعصبيات الجاهلية، سياسة التشكيك والتجهيل والتشويه من قبل أعداء الإسلام .
- 2_ للولاء والبراء أبعاد تربوية عظيمة في المجالات الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية التي تصقل سلوك الإنسان فرداً ومجتمعاً.

10. دراسة الشنطي (1998) بعنوان: (المضامين التربوية في سورتَي الإسراء والكهف):
هدفت الدراسة إلى : بيان وجه الحاجة إلى القرآن الكريم بوصفة مصدراً أساسياً لتربية الإنسان
والمجتمع من خلال استنباط مضامين تربوية من الآية ثم إدراجها تحت الجانب الخاص بها من
الجوانب التي ذكرت في البحث.
وقد أسفر البحث عن عدة نتائج منها:
_ بين أن العقيدة الصحيحة هي أساس البناء في المنهج التربوي فإذا ما تم بناء الإنسان على
هذا الأساس سهل على المربي أن يقيم بعد ذلك الدعائم الأساسية في التربية
_ أن القرآن يشتمل على الكثير من المفاهيم التربوية الشاملة والمتكاملة .

- 11.فايزة أحمد يوسف سليم، (الإشارات التربوية في قصة إبراهيم عليه السلام)، جامعة القدس،
2008م، ولقد بحثت الدراسة القصة بحثاً متكاملاً، عرفت فيه بشخصية إبراهيم عليه السلام من خلال
الصفات الخلقية والخُلقية، ومكان ولادته وما خصه الله به، ثم استخلاص الإشارات التربوية من
المواقف التي وقفها خلال دعوته. وكان هناك نتائج لهذا البحث ، ويمكن عرض بعضاً منها :
1. استعمال المربي أساليب ووسائل متعددة دليل الوعي والعلم لأسس العملية التربوية ؛ فلنفس
مسالك ينبغي أن تُراعى .
2. سلامة قلب المربي تقوده إلى كل عمل صالح حسن ؛ فسلامة الظاهر دليل على سلامة
الباطن .
3. حوار المبطلين ومناظرتهم لإقامة الحجة عليهم يتم ضمن ضوابط وآداب كثيرة ، ظهرت في
محاورات إبراهيم عليه السلام المختلفة .
4. المربي الناجح يسعى إلى تحقيق الكمال في نفسه ، ثم فيمن يقوم على تربيتهم .
5. أهمية النمذجة في حياة البشر ، وأنها تكون في الأشخاص والأفعال .
6. ضرورة المزج بين الدليل العقلائي والدليل السمعي للإقناع ؛ فالإقناع فن ينجح فيه من
يتحلى بأدابه .
7. ضرورة اغتنام الأوقات والأحداث المناسبة من أجل إتمام المهمات التربوية .
8. قد يستقصي المربي وسائل التربية وأساليبها ثم لا يكون لعمله أثر كبير في نفس المربي ،
بل ربما ينقلب عليه .
9. للبيئة أثر كبير في العملية التربوية .
10. الإيمان بالله واليقين بما عنده والدعاء من أهم أسباب نجاح العملية التربوية .

12. أنور أحمد داود اعمير (التربية القرآنية في سورة النور) 2004م

بعض النتائج التي توصل إليها الباحث:

1) إنّ سورة النور قد حظيت باهتمام تشريعيّ خاصّ؛ إذ ابتدأت بإفتتاحيّة ميّزتها عن غيرها من

السور القرآنيّة وأكّدت على فرضيّة أحكامها، وقد جاءت عدّة روايات تؤكّد على أهميّة تعلّمها والعمل بأحكامها المختلفة.

2) بيّنت سورة النور عدّة أحكام وآداب أهمّها: حكم الزنى والبغاء، وحكم الزواج من الزواني، وأحكام القذف واللعان ومحاربة الشائعات، وأحكام في الإستئذان والزيارة والمخالطة وعضّ البصر وحفظ الفروج وتنظيم إبداء زينة النساء، والأمر بتزويج الأيامي ومكاتبة الرقيق وإعانتهم على ذلك، والتحذير من صفات المنافقين، وبعض أحكام أصحاب الأعدار، وآداب مخاطبة رسول الله

3) تكشف السورة الكريمة تفرد القرآن الكريم بمنهج تربوي شامل متكامل متوازن، فبالإضافة لكونه مهتمّاً بجميع جوانب الإنسان ومكوّناته: الروحيّة والجسميّة والعقليّة والوجدانيّة، ليجعل منه إنساناً سويّاً متوازناً، فهو يهتمّ بمتطلّباته واحتياجاته ومعاملاته: الإقتصاديّة والأمنيّة والجهاديّة والسياسيّة والجماليّة والبيئيّة المختلفة.

4) أظهرت هذه الدراسة إهتمام التربية القرآنيّة اهتماماً بالغاً بالجوانب الروحيّة والخلقيّة المختلفة؛ فقد ركزت السورة على مفردات ومعالم روحيّة وخلقيّة عديدة تعمل على تقوية صلة الإنسان بربه تعالى بشكل دائم ومتواصل، وعلى إحسان علاقة الإنسان بنفسه وبالآخرين من حوله،

مما يجعل الإنسان على نور من أمره ودره على طريق التمكين والإستخلاف في الأرض.

5) تحظى الأخلاق في المنهج التربوي القرآني بمكانة هامّة لكونها أحكاماً شرعيّة يتوجّب الإلتزام بها وكونها شاملة جوانب الحياة الفرديّة والسلوكيّة والإجتماعيّة والتعبديّة المختلفة.

6) تهتمّ التربية القرآنيّة بالجوانب النفسيّة المختلفة؛ فهي إذ تكشف عن طبيعة النفس البشريّة وبعض خصائصها فإنّها تدعو إلى إشباع غرائز النفس ودوافعها وإحتياجاتها.

مصطلحات الدراسة:

القصة: تعني : القصص : تتبع الأثر . يقال : قصصتُ أثره : أي تتبعته ، . والقصص كذلك : الأخبار المتتعبة، والقصة : الأمر ، والخبر ، والشأن ، والحال، كما تعني الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً⁽¹⁾.

موسى الكليم: "هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام"⁽²⁾.

الإشارة: أن الإشارة تعني الإيماء والإيحاء والتلويح، الذي يقوم مقام الكلام، سواء كان هذا الإيماء أو الإيحاء أو التلويح بشيء كاليد، أو العين، أو الحجاب، والذي يفهم منه النطق، فهي ترادف النطق في فهم المعنى⁽³⁾.

التربية: تعني التزكية وهي وصول الشيء الى كماله شيئاً فشيئاً، والتأديب: هو الأدب الذي يتأدب به الانسان وسمي ادبياً لانه يؤدب الناس الى المحاسن وينهاهم عن المقابح، والتطهير: هو إزالة الرذائل النفسية والاخلاق السيئة من النفس الانسانية، كما تعني التعليم⁽⁴⁾.

سورة الأعراف: سورة الأعراف من أطول السور المكية وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء ومهمتها كمهمة السورة المكية تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا وتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرسالة⁽⁵⁾.

1 <http://www.brooonzyah.net>

2 ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، دار الفكر، (1/237).

3 الرازي، مختار الصحيح، (ص267). الفراهيدي، كتاب العين، (3/320).

4 ريان، محمد هاشم، المنهاج التربوي من منظور السلام، داراليقين للنشر والتوزيع، (ص46). ريان، مسعود، رؤية اسلامية لتربية الطفل في جميع مراحل نموه، (ص10).

5 <http://forums.mrkzy.com>

الخطة التفصيلية للدراسة

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

الفصل الأول: (مدخل وتعريفات) وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: معنى الإشارات.

المبحث الثاني: التربية لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثالث: القصص القرآني: تعريفه، وخصائصه، وأغراضه، وآثاره التربوية

والفصل الثاني: مراحل الدعوة في قصة موسى عليه السلام

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: تعريف عام بسورة الأعراف.

المبحث الأول: مرحلة التبليغ والدعوة في اللقاء الأول بين موسى عليه السلام وفرعون.

المبحث الثاني: مرحلة المواجهة.

المبحث الثالث: نتائج المواجهة.

الفصل الثالث : موسى عليه السلام وهو يواجه رواسب الوثنية والردة في نفوس بني اسرائيل،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ومشهد بني إسرائيل عند تجاوزهم البحر وانحرافهم عن عقيدة التوحيد

المبحث الثاني: التربية والبناء.

الفصل الرابع: مدى انعكاس الوقائع والأحداث في قصة موسى عليه السلام على واقعنا الذي نحياه؟

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر قصة موسى عليه السلام في الواقع التربوي

المبحث الثاني: أثر قصة موسى عليه السلام في الواقع السياسي.

الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة، وأهم التوصيات.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع فما أحسنت فيه فمن الله وما أخطأت فيه أو قصرت فمن نفسي، وكل ابن آدم خطاء، كما وأسأله سبحانه أن أكون قد ساهمت ولو بجهد المقل في خدمة حقل التربية والتعليم الذي يقود إلى تربية الأجيال على موائد القرآن وكريم الأخلاق، وأن يكون علماً ينتفع به بعد الممات اللهم آمين.

الفصل الأول: (مدخل وتعريفات)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإشارات .

المبحث الثاني: معنى التربية .

المبحث الثالث: القصص القرآني: تعريفه و خصائصه و أغراضه و أثاره التربوية.

توطئة

في بداية هذه الدراسة لا بد من توضيح موجز لعنوان هذه الدراسة، وهو (الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام من خلال سورة الأعراف)، وهذا يتطلب معرفة الإشارة في اللغة والاصطلاح، كما يتطلب التعرف على مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح، وعلى رأي المفسرين والتربويين القدامى والمعاصرين في الإشارات التربوية، ولأن الإشارات التربوية تتعلق بالقصص القرآني فلا بد من تعريف القصة لغة واصطلاحاً، وعلاقة القصة القرآنية بالتربية.

ويأتي ذلك عبر المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: معنى الإشارات.

المبحث الثاني: معنى التربية .

المبحث الثالث: القصص القرآني: تعريفه، وخصائصه، وأغراضه، وآثاره التربوية

المبحث الرابع: تعريف عام بسورة الأعراف

المبحث الأول: معنى الإشارات

لأن موضوع هذه الرسالة هو الإشارات التربوية، فلا بد من توضيح معنى الإشارات في اللغة والاصطلاح، ورأي المفسرين في الإشارات التربوية، كما أنه لا بد من التعرف على الإشارة في السنة النبوية ودلالاتها في أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وسيتم البحث في هذا المبحث ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإشارات لغة واصطلاحاً

ويشتمل على فرعين:

الفرع الأول: الإشارة لغةً:

للإشارة في اللغة معانٍ متعددة ومن هذه المعاني:

1. الإيماء " الإيماء بالشفقتين والحاجب " (1).
2. الإيحاء (2).
3. أشار الرجل يُشيرُ إشارةً إذا أومأ، بيديه ويقال شوّرتُ إليه بيدي وأشرتُ إليه أي لَوَّحتُ إليه وألَّحتُ أيضاً (3).

والذي يخلص إليه الباحث من المعاني السابقة أن الإشارة لغة تعني الإيماء والإيحاء، الذي يقوم مقام الكلام، سواء كان هذا الإيماء أو الإيحاء باليد، أو بالعين، أو بالحاجب، والذي يعني الباحث تحديداً في هذه الدراسة كل ما يستتبط أو يستوحى من رأي المفسرين، أو التربويين، في استنتاج إشارات تربوية، من خلال الفصول والمباحث والمطالب الواردة في هذه الدراسة.

1 الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م (ص267).

2 الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (3/320).

3 ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (4/434).

الفرع الثاني: الإشارة اصطلاحاً:

للإشارة في الاصطلاح معانٍ عدة منها:

1. " التلويح بشيء يفهم منه النطق، فهي ترادف النطق في فهم المعنى" (1).

2. " إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان" (2).

3. " ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه" (3).

يتبين من التعريفين السابقين - في اللغة والاصطلاح - أن الإشارة تقوم مقام النطق والكلام في توصيل الفكرة المعروضة، أو في استخلاص المعاني مما تشير إليه النصوص أياً كانت هذه النصوص، إلا أن المطلوب في هذه الدراسة هو استخلاص المعاني والإشارات من نصوص القرآن الكريم الواردة في سورة الأعراف، من خلال قصة موسى عليه السلام لعلها تفيد الدارسين والباحثين.

المطلب الثاني: رأي المفسرين في الإشارات التربوية:

لم ترد كلمة (إشارة) في القرآن الكريم نصاً وحرفاً، ولكن ورد الفعل منها، في قوله تعالى ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ٢٩). فمريم عليها السلام استعملت في خطابها لقومها لغة الإشارة، التي قامت مقام الكلام للدلالة على ما تريد، وفي القرآن الكريم أيضاً وردت كلمتان في آيتين، ما يدل على معنى الإشارة، الكلمة الأولى كلمة (رمزاً) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالِ أَيْتُكَ إِلَّا تَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ (ال عمران: 41)، والكلمة الثانية كلمة (أوحى) في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ

1 المناوي، محمد عبد الرؤوف، التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1999م، (ص65).

2 العجم، رفيق، موسوعة مصطلح التصوف الاسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1199م، (ص62).

3 العجم، موسوعة مصطلح التصوف الاسلامي، (ص62).

سَيِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ (مريم: ١١)، ويرى أبو بكر الجزائري⁽¹⁾ أن "رَمْزاً تعني إشارة بالرأس أو باليد، يفهم منها ما يفهم من الكلام"⁽²⁾، ويقول ابن عجيبة⁽³⁾: "إلا رمزاً بيد أو رأس أو حاجب أو عين"⁽⁴⁾. وذكر الخازن⁽⁵⁾ {أن رمزاً} تعني الإشارة، والإشارة قد تكون باليد أو بالعين، وقيل: "الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس"⁽⁶⁾.

أما "الرمز" فإنَّ الأغلب من معانيه عند العرب: الإيماء بالشفقتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحياناً، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصّوت، وجاءت كلمة الوحي في قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

1 أبو بكر الجزائري هو جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري (ولد عام 1921م)، حصل على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في المسجد النبوي، حيث درّس تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، عمل مدرساً في بعض مدارس وزارة المعارف، وفي دار الحديث في المدينة المنورة، والجامعة الإسلامية وبقي فيها حتى أُحيل للتقاعد عام 1406هـ. له العديد من المؤلفات، أهمها: أيسر التفاسير، الضروريات الفقهية، وغيرها. ينظر (أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين)، (ص41).

2 الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 2003م (1/313)

3 هو العالم العارف أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة اللنجري التطوانى، صاحب التفسير الشهير في أربع مجلدات ضخمة، وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية، والأربعين حديثاً في الأصول والفروع، وطبقات الفقهاء المالكية إلى زمانه على ترتيب وجودهم، وشرح الحصن وتأليف في الأذكار النبوية، وغير ذلك (1224هـ). (الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم (2/854). الزركلي، الإعلام، (1/245).

4 ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م، (1/420).

5 هو علي بن محمد بن إبراهيم الشحي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادى الأصل، نسبته إلى "شيحة" بالحاء المهملة، من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها. وتوفي بحلب. له تصانيف، منها "لباب التأويل في معاني التنزيل، في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، (741هـ).. (الزركلي، الإعلام) (5/14).

6 الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، 1979 م (1/345).

(مریم: ۱۱)، كما يأتي الرمز بمعنى "الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقينته إلى غيرك"⁽¹⁾.

وخلاصة القول: أن رأي المفسرين في دلالة الإشارة ومفهومها لا يختلف كثيرا عن رأي اللغويين، فجميع من ذكرت تعريفاتهم لمعنى الإشارة من لغويين ومفسرين يتفقون على أن الإشارة تقوم مقام الكلام في الدلالة على معنى من المعاني، سواء كانت الإشارة بمعنى الإيماء أو الإيحاء، وسواء كان هذا الإيماء أو الإيحاء باليد أو بالحاجب أو بالعين، أو بالصوت الخفي، إلا أن كل هذه المعاني بما في تعريفاتها من فروق طفيفة تُستعمل في استنباط الإشارات التربوية من خلال الآيات القرآنية.

المطلب الثالث: الإشارة في السنة النبوية

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وهي مليئة بالتوجيهات التربوية، سواء كانت هذه التوجيهات بالعبارة الواضحة والقول المبين، أو كانت بالإشارة الموحية إلى معنى من المعاني التربوية. وفي هذا المطلب فرعان:

الفرع الأول: استعمال الرسول ﷺ في بعض أقواله الإشارة باليد للدلالة على هدف تربوي معين.
فعلى سبيل المثال لا الحصر، "عن سهل بن سعد⁽²⁾ رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: (بعثت أنا والساعة كهاتين)"⁽³⁾.

1 ابن منظور، لسان العرب، (379/15).

2 سهل بن سعد هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، يكنى أبا العباس، أدرك النبي ﷺ، وله يوم توفي النبي ﷺ خمس عشرة، توفي سنة ثمان وثمانين، وقيل: إحدى

وتسعين بالمدينة، كان اسمه حزناً فسماه رسول ﷺ سهلاً، ينظر (أبو نعيم الأصبهاني، معرفة

الصحابة، (1312/3) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (1112/2).

3 البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت256 هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى

ديب البُعَا، دار ابن كثير اليمامة، ط3، بيروت، 1987م، كتاب التفسير، باب سورة النازعات، رقم (4652)،

(1881/4). وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة، رقم (7592)،

(208/8).

ويقول ﷺ: " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً⁽¹⁾. وأشار لبيان شدة قرب كافل اليتيم منه.

ومن الإشارات التربوية في هذين الحديثين الشريفين:

1. الحديث الأول: فيه إشارة تربوية مهمة ولافتة للانتباه، وذلك من خلال إشارة الرسول ﷺ

بأصبعيه، وهي تنبيه أفراد الأمة الإسلامية على فعل الخيرات وترك المنكرات، لأن الساعة قريبة، ومن علاماتها تقارب الزمان، وسرعة انقضاء الأيام.

2. استشراق المري للمستقبل واغتنام الفرص لتربية من يربيه، حتى يظلوا يقظين ليومهم

ولغدهم، يضعون الخطط والبرامج العامة والخاصة، ليقوموا بواجب الاستخلاف في الأرض، وعمل الصالحات.

وأما حديث كافل اليتيم، ففيه إشارات تربوية استوحيات من خلال إشارة الرسول ﷺ أيضاً بأصبعيه وهي:

1. في الحديث إشارة إلى ضعف اليتيم؛ لأن اليتيم في اللغة يعني " الانفراد "⁽²⁾.

2. اليتيم في الاصطلاح يعني "الانفراد واليتيم: صغير لا أب له، ودره يتيمة: أي لا نظير لها،

ومن ثم أطلق اليتيم على كل مفرد يعز نظيره"⁽³⁾.

ومن لا أب له، يعني أنه فقد من يعينه على تكاليف الحياة، فتكون نفسيته متعبة من الوحدة والغربة والعزلة الشعورية، فهو بحاجة لمن يربت على كتفه ويربيه، وهنا يأتي دور الكافل الذي وعد الرسول ﷺ أن يكون قريباً منه في الجنة، كما أوحى إشارة الأصبعين.

الفرع الثاني: دلالة الإشارة في بعض أفعال النبي ﷺ

يقول كعب بن مالك⁽⁴⁾: " كنت أخرج اشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني

أحد، وآتي رسول الله ﷺ وأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفثيه

1 البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم (4998)، (2032/5).

2 ابن منظور، لسان العرب،(645/12).

3 المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص748)

4 كعب بن مالك بن أبي كعب، واسمه عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة

الانصاري السلمي، وقال الهيثم بن عدي توفي سنة إحدى وخمسين هـ، وقال ابن عون عن ابن سيرين: كان

ثلاثة من الأنصار يحاجون عن رسول الله ﷺ حسان وابن رواحة وكعب وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم

بعد الصلاة أم لا، ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني" (1).

فالملاحظ عند قراءة كلام كعب بن مالك وتحديداً حين قال: وهل حرك شفتيه بعد الصلاة، أن للإشارة أهمية بالغة، لها دلالات تربوية مهمة، كما أن لها أثراً واضحاً على نفسية كعب الذي قاطعه ﷺ، وأمر الصحابة أن يقاطعوه ولا يكلموه، لتخلفه عن غزوة تبوك، ويختم كعب كلامه: فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، فكلمة "أعرض" عني فيها إشارة واضحة لأهمية فعل النبي ﷺ الرمزي دون كلام، ولشدة وقع هذه الحركة الصامتة على نفسية كعب، وكم يتمنى كعب أن يقبل النبي بوجهه المشرق إليه، دون أن يكلمه بكلمة واحدة، ويخسر الدنيا وما عليها، فحركة الشفتين وإشاحة الوجه من النبي ﷺ كانت أبلغ في تأثيرها من الكلام، بل قامت بمنزلة الكلام وزيادة، وفي ذلك دلالة واضحة وبيّنة على أن لغة الإشارة في تأثيرها لا تقل عن لغة العبارة. لذا يمكن استنباط عدة إشارات تربوية من صمت الرسول ﷺ وإشاحة وجهه عن كعب بن مالك منها:

1. صمت المربي وإشاحته بوجهه عن المربي الذي ارتكب خطأً جسيماً أسلوباً تربوي رادع ومؤثر.
2. أسلوب العزلة أو المقاطعة لمن آذى غيره بالقول أو الفعل من الأساليب التربوية المهمة أيضاً.

وأُنزل فيهم وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة. قلت: ذكر ابن حبان أنه مات أيام قتل علي، وقال ابن سعد أخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير، وقيل طلحة. (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، (8/394-395)).

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)، حديث رقم (4156)، (4/1603).

المبحث الثاني: التربية لغة واصطلاحاً

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التربية في اللغة

للتربية في اللغة معانٍ عدة، منها:

1. (والرَّبُّ) مالكٌ كُلُّ شيءٍ وقيل الرب السيدُ وقيل الرَّبُّ المُدَبِّرُ قال لُبَيْدُ بن رِبيعة :
وأهْلُكُنَّ يَوْمًا رَبًّا كِنْدَةَ وابْنَهُ، وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَزْعَرٍ، يعني سيد كندة ويقال رَبُّ الدار وربُّ
الفرس أي مالك وقال عَلْقَمَةُ: وَكُنْتُ أَمْرًا أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَابَتِي، وَقَبْلَكَ رَبَّنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ
رُبُوبٌ جمع رَبٍّ أي المُلوكُ الذين كانوا قَبْلَكَ ضَيَّعُوا أَمْرِي وقد صارت الآنَ رَبَابَتِي إِلَيْكَ أي تدبير
أَمْرِي وإِصلاحُهُ فهذا رَبٌّ بمعنى مالك، والله عز وجل الرَّبُّ بمعنى المالكِ السَيِّدِ وقال عز وجل
﴿فَسَيِّقِي رَبَّهُ حَمْرًا﴾ (يوسف: 41) أي سيده وأصله في الاشتقاق من التَّربِيَةِ وهي التَّنْشِئَةُ (1).
2. ربُّ الرَّبِّ هو الله عزَّ وجل هو رَبُّ كُلِّ شيءٍ أي مالِكُهُ وله وفلان مَرَبٌّ أي مَجْمَعُ يَرْبُ
النَّاسَ وَيَجْمَعُهُمْ وَمَرَبِّ الإِبِلِ حيث لَزِمْتَهُ وَأَرَبَّتِ الإِبِلُ بمكان كذا لَزِمْتَهُ وَأَقَامَتْ به فهي إِبِلٌ مَرَابٌ
لَوَازِمٌ وَرَبٌّ بالمكان وَأَرَبَّ لَزِمَهُ قال رَبٌّ بَأَرْضٍ لا تَخْطَأُها الحُمُرُ وَأَرَبَّ فلان بالمكان، وقيل هو من
الرَّبِّ بمعنى التربية كانوا يُرَبُّونَ المُتَعَلِّمِينَ بِصغارِ العُلومِ قَبْلَ كِبارِها والرِّبَانِيُّ العالمُ الرَّاسِخُ في العِلْمِ
والدين (2).
3. وتأتي بمعنى التغذية: " ويقال غَدَوْتُ الصَّبِيَّ باللَّيْنِ فاغْتَدَى أي رَبَّيْتَهُ به، والتَّغْذِيَةُ أيضاً
التَّربِيَةُ" (3).
4. الأبوَّة: " أَبَوْتُ الشيءَ أبوه أبواً إذا غَدَوْتَهُ، وبذلك سُمِّيَ الأبُ أباً" (4).

1 ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996م (227/5).

2 ابن منظور، لسان العرب، (403/1).

3 ابن منظور، لسان العرب، (119/15).

3 ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،

1979م، (44/1).

المطلب الثاني: التربية في الاصطلاح

التربية في الاصطلاح تعني "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام"⁽¹⁾، والتنشئة تستهدف نمو الفرد شيئاً فشيئاً؛ حتى يرتقي في مراتب الكمال الإنساني. وهي عملية نمو، بمعنى أن المربي يتعهد المتربي جسماً وعقلياً وعاطفياً وروحياً واجتماعياً، ويقدم له معارف، ويكسبه مهارات، فالتربية هي عملية نمو لشخصية المتعلم بشكل متكامل، وتتصف بالاستمرار فهي لا تنقطع في سن معينة أو مرحلة معينة من مراحل التعليم؛ بل تمتد من المهد إلى اللحد، فلذلك هي عملية هادفة مخططة، ذات طرق واضحة، وأهداف محددة، وهي عملية تفاعلية، وليست سلبية.

المطلب الثالث: الفرق بين التربية والدعوة:

التعريف بالدعوة اصطلاحاً:

الدعوة في لسان الشرع قد وردت فيها عدة تعاريف، نذكر منها:

1. الدعوة إلى الله هي جمع الناس إلى الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر⁽²⁾.
 2. الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلاً عنها⁽³⁾.
- يتبين من التعاريف السابقة سواء تعريف التربية أو الدعوة أن لا فرق بينهما، لأن التربية تدعو الناس إلى الخير والرشاد، والدعوة كذلك، فمن هنا استعمال الباحث لكلمة داعية كاستعماله لكلمة مربي أو معلم لأن هذه المفردات تدل على نفس المعاني.

1 المناوي، ، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص169).

2 ينظر، الوكيل، السيد محمد، أسس الدعوة وآداب الدعاء، (ص9)

3 ينظر، الصواف، الدعوة والدعاء ، ص22

المطلب الرابع : أهداف التربية في الإسلام:

التربية في الإسلام تستمد أهدافها من شمولية الإسلام ووسطيته ومرونته وواقعيته، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جمود، وللتربية في الإسلام أهداف كثيرة ومتنوعة، من هذه الأهداف:

1. تعريف الإنسان بعلاقاته الاجتماعية ومسؤولياته، ضمن نظام اجتماعي إنساني⁽¹⁾.
2. الاهتمام بقوة النشء وحسن تربيته، أياً كان جنسه ذكراً أو أنثى⁽²⁾.
3. "عبادة الله وحده وفق ما شرع
4. خلافة الله في الأرض
5. التعارف بين الناس
6. سيادة الأرض والتمكن فيها
7. الحكم بالشرعية"⁽³⁾.

والخلاصة أن للتربية في الإسلام أهدافاً كثيرةً ومتعددةً وهذا التعدد ناتج عن اختلاف اجتهادات التربويين المسلمين في تحديدهم لأهداف التربية في الإسلام، وتفاوت أهمية الأهداف في التربية الإسلامية بين مهم وأقل أهمية، فمن وجهة نظر الباحث أن أهم هدف من أهداف التربية الإسلامية هو عبادة الله تعالى وفق ما شرع وباقي الاهداف تأتي تباعاً.

1 الجمالي، محمد فاضل، الفلسفة التربوية في القرآن، دار الكتاب الجديد، ط2، 1980 م (ص13).

2 الشيباني، عمر، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، 1975 م (ص298)

3 محمود، علي عبد الحليم، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، دار الوفاء، المنصورة، ط4، 1990م

(ص21)-(ص22)

المبحث الثالث: القصص القرآني

تمهيد: القصص القرآني أسلوب من أساليب التربية، فالقصة " في القرآن تخضع في طريقة عرضها للغرض المراد من هذا العرض. فهي أداة تربية للنفوس ، ووسيلة تقرير لمعان وحقائق ومبادئ. وهي تتناسق في هذا مع السياق الذي تعرض فيه ، وتتعاون في بناء القلوب ، وبناء الحقائق التي تعمر هذه القلوب"⁽¹⁾.

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القصة في اللغة والاصطلاح

وفيه فرعان:

الفرع الأول: القصة في اللغة:

كلمة القصة في اللغة العربية لها معانٍ عدة، وهي على النحو الآتي:

1. الفيروزآبادي⁽²⁾ يقول: في معنى القصة، "قص أثره قصاً وقصيصاً: تتبَّعه والخبر: أعلمه، فارتدًا على آثارهما قصصاً أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يفصان الأثر، ونحن نقص عليك أحسن القصص: نُبيِّنُ لك أحسنَ البيانِ. والقاصُّ: مَنْ يَأْتِي بالقِصَّةِ"⁽¹⁾.

1 قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2003م، (2676/5).

2 محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، مجد الدين أبو الطاهر، الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والادب. ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زييد حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفى في زييد. أشهر كتبه، القاموس المحيط و المغانم المطابة في معالم طابة، وينسب للفيروزآبادي، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وله بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، و نزهة الاذهان في تاريخ أصبهان، و الدرر الغوالي في الأحاديث الغوالي، وسفر السعادة، في الحديث والسيرة (817هـ). أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، (ذيل النقييد في رواة السنن والأسانيد)، (ص276). ابن العماد، شذرات الذهب، (7/125). ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، (63/4).

الزركلي الأعلام، (7/146).

2. (قَصَّ) "القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشَّيء. من ذلك قولهم: اقتصصتُ الأثر، إذا تتبَّعته. ومن ذلك اشتقاقُ القصاص في الجراح، وذلك أنه يُفعل به مثلُ فعله بالأول، فكأنه اقتصَّ أثره. ومن الباب القصَّة والقصاص، كلُّ ذلك يُتَّبَع فيذكر. ومن الباب: قصصت الشعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سوَّيت بين كلِّ شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مُساوية لها في طريقها. وقصاص الشعر: نهايةُ منبته من قُدِّم، وقياسه صحيح. والقُصَّة: النَّاصية"⁽²⁾.

وخلاصة الأقوال السابقة أن مادة (قصص) تأتي بمعنى التتبع، وتأتي بمعنى البيان، وبمعنى الخصلة من الشعر، وبمعنى ناصية المرأة، والقاص الذي يأتي بالقصة، وكل هذه المعاني تشير إلى أن المعنى الرئيس لمادة قصص هو التتبع، سواء كان هذا التتبع مادياً كالذي سبق ذكره، أو معنوياً كقص الأخبار وقص الكلام. كما يظهر من التعاريف السابقة أن القصة بمعانيها المختلفة تفيد الحقيقة الخالية من الخيال والوهم والكذب والتزوير؛ لأن صاحبها يتتبع ألفاظها ومعانيها ويبحث في دلالاتها وإشاراتها التربوية، حتى يصل إلى الحقيقة المفيدة .

وأما الفرق بين "القصاص بالفتح، والقصاص بالكسر، فالقصاص بكسر القاف، هي جمع قصة، تقول: فلان يكتب القصاص ويرويها، أما القصاص - بفتح القاف - هي الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها، كما أنه يرد بمعنى المصدر، تقول: قصَّ قصاً وقصصاً⁽³⁾.

1 الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (ص809).

2 ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، (11/5).

3 الخالدي، صلاح، القصاص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم دمشق، الدار الشامية،

ط2، بيروت، 2007م (21/1).

الفرع الثاني: القصة اصطلاحاً:

القصص: " الإخبار بما جرى من الأمور كأن الأنباء تتبع بالقول وتقتص بالأخبار كما يقتص الآخر"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: خصائص القصص القرآني:

للقصص القرآني خصائص تربوية كثيرة، من أهمها: (2)

1. تعميق العقيدة في النفوس.
2. التركيز على صفات الأنبياء؛ الذين هم القدوة الحسنة للناس.
3. بيان أسباب الهلاك، الذي يمكن أن يصيب الامم والجماعات والأفراد⁽³⁾.
4. إضافة إلى ما سبق يدرك أي باحث في مجال التفسير والتربية أن للقصة القرآنية أثراً كبيراً وواضحاً في تربية الأفراد والأمم والجماعات، وذلك من خلال عرض النماذج العديدة والمتنوعة والشاملة، من أصناف البشر، فقصدت علينا آيات القرآن الكريم، قصة الأب الصالح، والابن الكافر كما في قصة نوح مع ابنه، وقصة الابن النبي الكريم، وأبيه العاصي اللئيم، كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، والزوج النبي الكريم مع الزوجة العاصية المخادعة كزوجتي نوح ولوط عليهما السلام، والزوجة الصالحة مع الزوج الكافر كفرعون.
5. أنه أحسن القصص، قال تعالى: ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (يوسف: 3) ، تشير الآية إلى أن الله تعالى بذاته العلية-جل في علاه- هو الذي يقص القصص على رسول الله ﷺ، وهذا فضل منه وممة وكرم، وفي هذا عدة إشارات تربوية:
 1. يدل ذلك على أهمية القصة في التوجيه والإرشاد والتربية.

1 الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق :

عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993م، (3/219).

2 للتوسع في هذا الموضوع، يوجد أكثر من مرجع، يتحدث عن خصائص القصص القرآني، منها كتاب (قصص القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، وكتاب،) تيسير المنان في قصص القرآن) ، جمع وترتيب أحمد فريد.

3 زايد، فهد خليل، أسرار القصة القرآنية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007م (ص149-150)

2. إن كل ما قصه الله ﷻ علينا في كتابه العزيز يوجب على المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة، أن يكون هذا القصص مصدر ثقتهم، فلا يحتاجون إلى الرواية الإسرائيلية المصحوبة في معظمها بالتهويل والتضليل والتدليس، ولا يؤخذ منها إلا ما صح، إن كان هناك حاجة للأخذ والاستفادة.

3. ذكرت الآية أن القصص القرآني أحسن القصص، بمعنى أنه أفضل وأجمل وأروع من كل قصص البشر، مهما كانت لغة القاص وأسلوبه وبلاغته.

والقصص القرآني مليء بالعبر والعظات، والإشارات التربوية والدلالات، كالدلالات التربوية والعلمية والعقدية والأدبية والفنية، وحتى التاريخية⁽¹⁾.

6. أنه القصص الحق: من ميزات القصص القرآني أنه قصص الحق والصدق، كما وصفه

الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران: ٦٢)، قصص القرآن هو القصص

الحق، والحق هنا معناه الصدق والصحة والصواب، وتأتي كلمة «الحق» بمعنى «العدل»

كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ٨٩).

ومن التعريفات السابقة لمعنى كلمة الحق، يتبين أن الحق هو القرآن، وأن الحق يعني الصدق والعدل والإسلام، وهذه المعاني جميعها تنطبق على خصائص القصص القرآني، من حيث المعنى والمضمون والمحتوى، وأنها حق وصدق وعدل، سواء كان ذلك في العقيدة والعبادات، أو في الأخلاق والمعاملات، أو في النظم والتشريعات⁽²⁾.

1 الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (1/29-30).

2 يُنظر الخالدي، القصص القرآني، (1/30)

المطلب الثالث: أغراض القصة القرآنية:

للقصة في القرآن أغراض تربوية كثيرة ومتنوعة منها:

1. تسلية فؤاد النبي ﷺ وتثبيته.
2. التبشير والتحذير.
3. بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفیائه، في النصر والتمكين والفوز في النهاية.
4. تنبيه بني آدم الى غواية الشيطان، وإبراز العداوة القديمة بينه وبين أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة، عن طريق القصة أروع وأقوى⁽¹⁾.
5. من أغراض التربية الأساسية أيضاً تهيئة الوسط البيئي الصالح لبناء شخصية الفرد⁽²⁾.
والخلاصة: أن القصة في القرآن تُعد أسلوباً من أساليب التربية الفعالة والمؤثرة، والتي حققت كل أغراضها سواء المذكورة أعلاه أو التي لم تُذكر، ولأهمية هذا الأسلوب القصصي في القرآن الكريم، قص علينا القرآن الكثير من أخبار الأمم السابقة، وما حل بمن كفر منهم، وبمن آمن وأن المؤمنين بالرسول أقل بكثير من الذين كفروا، وفي هذا القصص تسلية ومواساة لمحمد ﷺ وأتباعه بأن لا تذهب أنفسهم حسرات على من أعرض عن الإيمان بدعوة التوحيد التي جاء بها، بل أمرهم بالصبر والنظر في عواقب الأمور لا في بداياتها لأن العاقبة للمتقين.

المطلب الرابع: أثر القصة القرآنية في التربية:

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف- وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزهار والثمار. والدروس الفنية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتتوعدب عناصرها إلا بصعوبة وشدة، وإلى أمد قصير.

1 يُنظر، قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002م (ص151 -

(54).

2 رمضان، محمد رفعت، أصول التربية وعلم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4 (ص10) .،

ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعاً، وأكثر فائدة. والمعهود -حتى في حياة الطفولة- أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يروى له، فيحاكيه ويقصه، وفي سن مبكرة يسمع الصغير أنواعاً من القصص ويتعلق بها حتى ينام عليها، وهذا أهم الأسباب في الانصراف للأبوين والجددين الكبار. قلت: بل حتى الكبار فإن القصة لها تأثير في أسماعهم وانظر إلى حال السامعين لمتحدثهم ما إن يقول في عبارته يروى أو جاء في قصة فلان أو حدثنا إلا وترى السامعين قد قاموا من غفلتهم وانتبهوا لذلك المتحدث بيد أنهم كانوا قبل ذلك متململين متضجرين، ومن هنا تلمس جانب من جوانب الإعجاز حيث اهتم القرآن بالقصة اهتماماً بالغاً ولا تكاد تمر بسورة إلا وفيها قصة تنجذب لها القلوب وتتبه الغافل وتشذ الفكر بأسلوب رباني بديع. هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لاسيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه. وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. ولا تقول في ذلك إلا حقاً وصدقاً. ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم⁽¹⁾.

المبحث الرابع: تعريف عام بسورة الأعراف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: سبب تسمية سورة الأعراف بهذا الاسم

يذكر ابن عاشور⁽¹⁾ أن سبب تسمية سورة الأعراف بهذا الاسم "أنها ذكر فيها لفظ الأعراف بقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ (الأعراف: ٤٦) ولم يُذكر في غيرها من سور القرآن ، ولأنه ذُكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة ، ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ ، ولكنه ذكر بلفظ (سور) في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا لَّهُ أَبَابٌ﴾ (الحديد: ١٣)⁽²⁾. وسبب التسمية مأخوذ من أقوال المفسرين وهو ما سيأتي لاحقاً في مطلب المعنى الاصطلاحي

1 محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها مقاصد الشريعة الاسلامية وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، والوقف وأثاره في الإسلام، وكان له رؤية حضارية شاملة تدرك التحولات العميقة التي كان يمر بها المجتمع الإسلامي ودون آراءه هذه في كتابه النفيس "أليس الصبح بقريب؟" ت1393هـ أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم المعاصرين. (ص128)، الزركلي، الأعلام (174/6).

2 ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م (5/8)

المطلب الثاني: المعنى اللغوي لكلمة الأعراف

لكلمة أعراف في اللغة معانٍ عدة منها:

1. الأعراف هو "المطلع، وهو مقام شهود الحق في كل شيء متجلياً بصفاته التي ذلك الشيء مظهرها، وهو مقام الإشراف على الأطراف، وهذا المعنى يوضحه قول الله تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ (الأعراف: ٤٦) ⁽¹⁾.
2. كلمة أعراف مأخوذة من العرف كعرف الفرس. وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ (المرسلات: ١) يقال هو مستعار من عرف الفرس، أي يتتابعون كعرف الفرس والعرف: الرمل المرتفع ⁽²⁾.
3. الأعراف أي: المَعْرُوفُونَ أي: الوُجُوهَ، والنَّعْرِيفُ: الإِعْلَامُ وَضِدُّ النَّتْكَيرِ وَالْفَرَسَ عَلَا عَلَى عُرْفِهِ وَ الرَّجُلُ: ارْتَفَعَ عَلَى الْأَعْرَافِ. ⁽³⁾
4. الأعراف: أعالي السُّورِ، وعرف الأرض ما ارتفع منها والجمع أعراف وأعراف الرياح أعاليها ⁽⁴⁾.

ملخص التعريفات اللغوية السابقة:

يتبين من خلال التعريفات السابقة لمعنى الأعراف أنها تأتي بمعنى مقام الإشراف على الأطراف، وتأتي بمعنى الرمل المرتفع، وبمعنى المَعْرُوفِينَ أي: الوُجُوهَ من القوم التي يعرفها الناس، وبمعنى الإِعْلَامُ وَضِدُّ النَّتْكَيرِ، والذي يخلص إليه الباحث ويرجح أنه الأعراف تشير إلى الشيء المرتفع، ورجال الأعراف هم الذين يكونون على أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار في إشارة إلى المكان المرتفع الذي يشرف على الجنة والنار.

1 الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985 (ص47).

2 الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تحقيق: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 2008 م (87/5).

3 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص1082).

4 ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (112/2).

المطلب الثالث: معنى الأعراف عند علماء التفسير (المعنى الاصطلاحي)

لعلماء التفسير آراء مختلفة في معنى الأعراف، فمثلاً يرى الرازي⁽¹⁾ أن الأعراف: هي أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار، ويرى الرازي أيضاً ما ملخصه: أن أهل الأعراف هم الذين كانوا يعرفون في الدنيا أهل الخير والإيمان والصلاح ، وأهل الشر والكفر والفساد، فكانوا في الدنيا شهداء الله على أهل الإيمان والاستقامة كما كانوا شهداء على أهل الكفر والفسوق والعصيان، فإكراماً لهم أجلسهم الله تعالى على الأعراف ، التي هي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما قدم في الدنيا، فإن اعترض معترض أو قائل غير هذا القول أعلاه، بحجة أن الله تعالى قال في صفة أصحاب الأعراف أنهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ٤٦) أي لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها ، وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء ، والملائكة والشهداء. فيجيب الذاهبون إلى أن أهل الأعراف هم الذين كانوا يعرفون في الدنيا أهل الخير والإيمان بأن قالوا: لا يبعد أن يقال : إنه تعالى بين من صفات أصحاب الأعراف أن دخولهم الجنة يتأخر ، والسبب فيه أنه تعالى ميزهم عن أهل الجنة وأهل النار ، وأجلسهم على تلك الشرفات العالية والأمكنة المرتفعة؛ ليشاهدوا أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الأحوال ، ثم إذا استقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، فحينئذ ينقلهم الله تعالى إلى أمكنتهم العالية في الجنة، فثبت أن كونهم غير داخلين في الجنة لا يمنع من كمال شرفهم وعلو درجاتهم، وأما قوله : ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ٤٦) فالمراد من هذا الطمع اليقين.

فهذا تقرير قول من يقول أن أصحاب الأعراف هم أشرف أهل الجنة⁽²⁾.

والرأي الذي يقول أن أصحاب الأعراف هم أشرف أهل الجنة رأي فيه ضعف من وجهة نظر الباحث لأنه رأي تحليلي غير مستند إلى تحليل؛ والباحث يرجح رأي القائلين بأن الأعراف عبارة عن " حاجز وهو مكان مرتفع، وعليه رجال من بني آدم استوت سيئاتهم وحسناتهم فحبسوا هناك حتى يقضي بين أهل الموقف فيحكم فيهم بدخولهم الجنة إن شاء الله تعالى"⁽³⁾.

1 محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، وتوفي في هراة. من تصانيفه، مفاتيح الغيب، ولوامع البيئات، ومعالم أصول الدين. ت606 هـ الزركلي، الأعلام.(313/6).

2 ينظر، الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تفسير الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي (1964/1).

3 أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط5، 2003م(176/2).

المطلب الرابع: زمن نزول السورة

زمن النزول يشمل المكان والزمان اللذين نزلت فيهما السورة، أما المكان فقد نزلت سورة الأعراف في مكة قبل الهجرة (1).

وترتيب سورة الأعراف بين سور القرآن الكريم السورة السابعة، بعد سورة ص (2).

ويرى القرطبي⁽³⁾ أن: "سورة الأعراف هي مكية، إلا ثمان آيات، وهي قوله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُوءُهُمْ سَاءَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارِ الْأُخْرَىٰ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ نُنَقِّنَا جَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

1 ينظر السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات

القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2005م (36/1).

2 ينظر المرجع نفسه، (39/1).

3 محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين.

صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي

فيها. أوقاته معمورة ما بين توجهه وعبادة وتصنيف وكان إماماً عالماً من الغواصين على معاني الحديث حسن

التصنيف جيد النقل و من كتبه " الجامع لأحكام القرآن وهو من أجل التفسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص،

توفي 671هـ (ابن العماد، شذرات الذهب، (5/334). اليعمرى، الديباج المذهب (2/308). الداوودي، طبقات

المفسرين، (2/69). الزركلي، الأعلام (5/322)

﴿١٧١﴾ (الأعراف: 163 - 171) ⁽¹⁾ . ويؤكد الشوكاني ⁽²⁾ على أن سورة الأعراف "مكية إلا الآيات الثماني المذكورة أعلاه" ⁽³⁾ .

المطلب الخامس: عدد آيات السورة

فيها لأهل العدد قولان:

"الأول: أنها (205) آيات، وذلك في العدد البصري والشامي.
الثاني: أنها (206) آيات، وذلك في العدد المدني الأول، والمدني الآخر، والمكي، والكوفي.
والاختلاف بينهم في خمس آيات، وذلك على النحو الآتي:
﴿الْمَصَّ﴾ (الأعراف: ١) عدّها الكوفي ولم يعدها الباقر .
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، عدّها البصري والشامي ولم يعدها الباقر.
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، عدّها الكوفي ولم يعدها الباقر.
﴿ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ (الأعراف: ٣٨)، عدّها المدنيان والمكي ولم يعدها الباقر. ﴿كَلِمَتٌ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾
عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٣٧) عدّها المدنيان والمكي ولم يعدها الباقر ⁽⁴⁾ .

1 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع للأحكام، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م (160/7).

2 محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229هـ ومات حاكماً بها. له مؤلفات كثيرة منها: نيل الأوطار. البدر الطالع. وإتحاف الأكابر. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية. فتح القدير في التفسير. 1250 هـ معجم المؤلفين، (53/11). الزركلي، الأعلام، (6/298).

3 الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (2/273).

4 الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط1، (ص155).

أبرز نتائج الفصل الأول: مدخل وتعارفات

1. استشراف المربي للمستقبل واغتنام الفرص لتربية من يربيهم.
2. أسلوب العزلة أو المقاطعة لمن آذى غيره بالقول أو الفعل من الأساليب التربوية المهمة أيضاً.

الفصل الثاني:

مراحل الدعوة في قصة موسى عليه السلام وفرعون

وفيه وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مرحلة التبليغ والدعوة في اللقاء الأول بين موسى عليه السلام وفرعون

المبحث الثاني: مرحلة المواجهة.

المبحث الثالث: نتائج المواجهة.

المبحث الأول: مرحلة التبليغ والدعوة في اللقاء الأول بين موسى عليه السلام وفرعون

وفي هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول: مشهد بعثة موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: 103).

ويشتمل هذا المطلب على الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين

يقول الجزائري: إن الله تعالى بعث موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه بعد رهطٍ كريمٍ من الأنبياء -منهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب- وهذا ما قصته سورة الأعراف على محمد صلى الله عليه وآله ليثبت الله به فؤاده، ويقرر به نبوته، ويعظ أمته ويذكر به قومه، والآية السابقة لم تسهب في ذكر قصص الأنبياء الذين سبقوا نوح لأن المقصود من الآية هو موسى عليه السلام ورحلته الشاقة مع فرعون وملئه وقومه الذي سيكون مادة هذا الفصل في هذه الدراسة بإذن الله تعالى (1).

ومن هنا كان الحديث عن قصة موسى -عليه السلام - مهمة لمحمد صلى الله عليه وآله ولأمته من بعده وذلك لما تحتوي عليه من الحوادث العظيمة، والأنباء القيمة، ولأن رسالته جاءت بأعظم شريعة بين يدي شريعة الإسلام، وأرسل رسولها هادياً وشارعاً تمهيداً لشريعة تأتي لأمة أعظم منها تكون بعدها، ولأن حال قوم موسى شبيه بحال من أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وآله فإنهم كانوا فريقين كثيرين اتبع أحدهم موسى وكفر به الآخر، كما اتبع محمداً عليه السلام جمع عظيم وكفر به فريق كثير، فأهلك الله من كفر ونصر من آمن (2).

ويذكر القرطبي: أن الله تعالى حين بعث موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه أرسل معه معجزات واضحات تدل على صدقه، إلا أن قوم فرعون ظلموا بها أي كفروا بالآيات ولم يصدقوا بها. والظلم

1 ينظر، الجزائري، أيسر التفاسير، (214/2).

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، (34/9).

: وضع الشيء في غير موضعه . ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣) أي آخر أمرهم (1).

ومن هنا سماهم القرآن مفسدين لأنهم «ظلموا» - أي «كفروا وجحدوا» .. ذلك أن الكفر هو أشنع الفساد. ولأن الحياة لا تستقيم ولا تصلح إلا على أساس الإيمان بالله الواحد والعبودية لإله واحد والفساد يصيب تصورات الناس كما يصيب حياتهم الاجتماعية... ومن ثم يقول الله سبحانه عن فرعون وملئه ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣) وكل طاغوت يخضع العباد لشريعة من عنده ، وينبذ شريعة الله ، هو من «المفسدين» الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون (2).

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين:

1. الأسلوب القصصي في القرآن الكريم أسلوب من أساليب التربية المؤثرة والفاعلة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ (الأعراف: ١٠٣)
2. الظلم والكفر أشنع أنواع الفساد ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣)
3. ثالثاً: عقيدة التوحيد وأثرها في التربية ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: 103)

1 ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (256/7).

2 ينظر، قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2003م (1345/3). الشوكاني، فتح القدير، (335/2).

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: الأسلوب القصصي في القرآن الكريم أسلوب من أساليب التربية المؤثرة والفاعلة. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ (الأعراف: 103)

الأساليب التربوية المستمدة من الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية) هي من أهم وأجدى الأساليب التربوية القديمة منها والحديثة بسبب عصمة الوحي وأن الله تعالى هو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير، ومن هذه الأساليب أسلوب التربية بالقصة، يُذكر الخالدي⁽¹⁾:
بضرورة استخدام الدعاة والمربين لمادة القصص القرآني أسلوباً من أساليب التربية الإسلامية الذي له أثره وفاعليته على الفئة المستهدفة والمتلقية سواء كانت هذه الفئة طلاب علم أو عوام الناس أو غيرهم من شرائح وفئات المجتمع، فيقول: إن على العلماء والدعاة والمربين والمصلحين أن يستخدموا في وسائلهم وأساليبهم التربوية مادة القصص القرآني، بشرط أن يستمدوها من القرآن والحديث الصحيح، وأن لا يزيّدوا على هذين المصدرين، وأن يجعلوا هذا القصص القرآني وسيلة من وسائل التأثير والتوجيه والتقريب والتعليم، وأسلوباً من أساليب التربية المؤثرة والفاعلة في الحقل التربوي، لما فيه من دروس ودلالات، وعبر وعظات⁽²⁾.

كما أن لهذا الأسلوب تأثيراته النفسية، وانطباعاته الذهنية، وحججه المنطقية والعقلية، وقد استعمله القرآن الكريم في كثير من المواطن ولا سيما في أخبار الرسل مع أقوامهم، وقد منّ الله سبحانه على الرسول ﷺ بأن قص عليه أحسن القصص، ونزل عليه أحسن الحديث، ليكون للناس آيةً وعبرة، وللرسول ﷺ عزماً وتثبيتاً⁽³⁾.

1 الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: ولد في فلسطين (جنين)، 1367هـ = 1947م، سافر إلى مصر لاستكمال دراسته فتخرج في كلية الشريعة من جامعة الأزهر، وكان من أبرز مشايخه، محمد الغزالي، عبد الحليم محمود، وغيرهم الكثير، حصل على شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، له عدة مؤلفات بلغت أربعة وأربعين مؤلفاً منها سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، وغيرها أمد الله في عمره. ينظر،
(<http://www.paldf.net>).

2 يُنظر، الخالدي، القصص القرآني، (32/1).

3 علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، بيروت، ط21، 1992م (692/2).

فالواعظ البارِع، والمربي الحكيم، والداعية الموفق، يستطيع أن يعرض القصة عرضاً مناسباً يتناسب مع عقلية المخاطبين، ويستطيع أن يستنتج إشارات تربوية مهمة، ويذكر المخاطبين بأهم مواضع العبرة والعظة، ليكون التأثير أبلغ والاستجابة أقوى. إذاً فما على المربي إلا أن يستغل انفعال العاطفة، ومثار الانتباه في عرض القصة لدى السامع حتى إذا تفاعل روحياً، وتفتح ذهنياً، صب في مشاعره وأحاسيسه وأعماق قلبه من معين الفطرة، وهكذا يستطيع المربي الواعظ أن يضيف بأسلوبه الشيق على القصة جلالها، وأن يترك في النفوس أثرها⁽¹⁾.

وخلاصة القول: أن أسلوب القصة في القرآن الكريم من الأساليب المهمة في عالم التربية والسلوك، بسبب تحريكها للعاطفة عند المتلقي، واستجاشتها للمشاعر وتفتيحها للذهن، وإيقادها للفكر وشحذها للعزيمة، واستجابة النفس السريعة للتغيير في السلوك للأفضل.

ثانياً: الظلم والكفر أشنع أنواع الفساد ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٣)

الكفر والظلم والشرك مفردات مرعبة مخيفة مفزعة مزعجة لمن يتبناها، ويعتقد بها ويمارسها فكراً وسلوكاً، منها تنفر الطباع السوية والعقول السليمة، كما أنها تعبر عن حالة نفسية متردية وهابطة، وأكفر الكفر" وأظلم الظلم : أن يُعارض الرسول الذي جاء بالبينات والهدى وتُدفع نبوته وتُجدد رسالته"⁽²⁾.

وهذا قمة الفساد والإفساد؛ لذا كان الأخذ على أيدي الظالمين، وقمع المفسدين، ومنع البغاة والمعتدين، وحفظ عقول العالمين، وأموالهم ودمائهم وأعراضهم، أصلاً من أصول الشرائع السماوية⁽³⁾.

كما أن الظلم يفسد القلوب "فصلاح القلب في العدل وفساده في الظلم"⁽⁴⁾.

1 علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، (711/2).

2 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، إغاثة اللهفان، تحقيق، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2 1975م (327/2).

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت (91/1).

4 ابن تيمية، أحمد، أمراض القلوب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1997م (ص7).

وللقلوب أيضاً تأثير أعظم مما للأبدان، فإن إن كانت سالحة كان تأثيرها صالحاً، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسداً⁽¹⁾.

وأخيراً "الظلم كله حرام، مذموم فأعلاه الشرك فإن الشرك لظلم عظيم والله لا يغفر أن يشرك به، وأوسطه ظلم العباد بالبغي والعدوان، وأدناه ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله"⁽²⁾.

وخالصة النقطة السابقة: أن الكفر والظلم وأمراض نفسية خطيرة تورث صاحبها المهالك، وتشكل قمة الفساد والإفساد لمن يعتقد بهذه الاعتقادات الباطلة، ولأن فيها عدواناً وتعدياً على الله تعالى وعلى النفس وعلى المجتمع. وجرياً على هذا جاءت رسالة موسى ﷺ لتهديب النفس الإنسانية، وتقويم اعوجاج سلوك فرعون وقومه، وتصحيح مسارهم الظالم والمفسد والمعتدي.

ثالثاً: عقيدة التوحيد وأثرها في التربية ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٣)

والإيمان به تعالى والعبودية المطلقة لجلال وجهه الكريم تورث في القلب السكون والإقبال "على الله وحلاوة ذكره وتعلق الروح بحبه ومعرفته فلا طمأنينة للروح بدون هذا أبداً"⁽³⁾.

كما أن الإيمان بالله تعالى والعبودية له يمنحان صاحبهما "السكينة عند القيام بوظائف العبودية، وتورثه الخضوع والخشوع وغمض الطرف، وجمعه القلب على الله تعالى بحيث يؤدي عبوديته بقلبه ويدنه، والخشوع نتيجة هذه السكينة وثمرتها، وخشوع الجوارح نتيجة خشوع القلب"⁽⁴⁾.

والمؤمن الذي "قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، هذا هو من يمثل حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده فالقلب السليم : هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى"⁽⁵⁾.

1 ابن تيمية، أمراض القلوب، (ص49).

2 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط3، 1983م (464/1).

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م (ص222).

4 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، 1973م (203/4).

5 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (7/1).

والذي خلصت عبوديته لله تعالى " هانت عليه المشاق، وانقلبت المخاوف في حقه أماناً، فبالله يهون كل صعب، ويسهل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم، فلا هم مع الله، ولا غم مع الله ولا حزن مع الله" (1).

والذي يؤمن بالله تعالى حق الإيمان يُلهم الرضا، والرضا جنة الدنيا، ومستراح العارفين؛ فإنه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له وطمأنينتها الى أحكامه الدينية، وهذا هو الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وما ذاق طعم الإيمان من لم يحصل له ذلك، وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحسن اختياره، فكلما كان بذلك أعرف كان به أراضى" (2).

وخاصة ما سبق الحديث عنه من أهمية الإيمان للمؤمن وأثره في تربيته: أن الإيمان الحقيقي والواعي والناصح يمنح صاحبه السكينة والطمأنينة والخشوع، ويرزقه القلب السليم الخالي من الغل والحسد والحقد والكراهية، كما أنه خالٍ من الريب والشكوك والظنون، والإيمان بالله أيضاً يهون على صاحبه هموم الحياة ومنغصاتها ويمنحه الرضا والتسليم والثقة بقدر الله في الوجود. وهكذا كان إيمان موسى ﷺ، إيمان النبي العارف والفاهم والمبصر والمتوكل على الله تعالى، فهذا الإيمان وهذه الرسالة التي بُعث بها جعلته يتحمل مشاق الطريق ووعورة المسلك، زرعت فيه هذه الرسالة وهذه العقيدة كل خير وكل فضيلة وكل سلوك قويم، فكان من أكثر الناس حياً وغيره على توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة بل وخشيته والتوكل عليه.

المطلب الثاني: مشهد اللقاء الأول بين موسى ﷺ وفرعون وملئه

قال تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِتَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ (الأعراف: ١٠٤ - ١١٢)

1 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص132).

2 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1973م (ص93).

ويأتي هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
(الأعراف: ١٠٤)

يحمل خطاب موسى ﷺ في أول لقاء بينه وبين فرعون الشجاعة والأدب واللين والصرامة والوضوح، وهذه المعاني التربوية ما تناولته أقوال المفسرين، ومن هؤلاء سيد قطب⁽¹⁾ الذي يعتبر أن أول لقاء وأول خطاب خاطب به موسى ﷺ فرعون كان خطاباً فيه أدب واعتزاز، حين ناداه باسمه أو لقبه فقال: "إنه مشهد اللقاء الأول بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، مشهد اللقاء الأول بين الدعوة إلى «رب العالمين» وبين الطاغوت الذي يدعي ويزاول الربوبية من دون رب العالمين وقال يا فرعون .. ولم يقل له : يا مولاي! كما يقول الذين لا يعرفون من هو المولى الحق! ولكن ناداه بلقبه في أدب واعتزاز. ناداه ليقرر له حقيقة أمره، كما يقرر له أضخم حقائق الوجود: ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٤)"⁽²⁾.

ومن المعاني التربوية التي أشار إليها قطب أن خطاب موسى ﷺ فيه دعوة واضحة وصرحة وجريئة؛ وذلك بتحرير الإنسان من الطاعة والتبعية والعبودية لغير الله تعالى. إلا أن ابن عاشور له رأي يخالف سيد قطب، حيث يعتبر خطاب موسى ﷺ لفرعون خطاب إكرام وتقدير، لا خطاب تمرد وتحدي؛ "لأنه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان، بحسب متعارف أمته، فليس هو بترفع عليه"⁽³⁾.

والباحث يرى أن لكل من الرأيين (رأي قطب، ورأي ابن عاشور) وجهة؛ حيث يفهم من كلام قطب أن موسى ﷺ حين خاطب فرعون بكلمة فرعون مجردة من أي لقب فيه تأليه أو تقديس لفرعون

1 سيد قطب حسين إبراهيم الشاذلي، ولد في قرية "موشة" إحدى قرى محافظة أسيوط، وكانت ولادته بتاريخ

1906/ 10/ 9م، وتوفي في 1966/ 8/ 29م، ترك سيد قطب تسعة وعشرين كتاباً في الأدب والنقد والفكر

الإسلامي، على رأسها تفسيره "في ظلال القرآن". (سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح

الخالدي، (ص15-17).

2 قطب، في ظلال القرآن، (3/1346).

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، (9/37).

يَدُلُّ هذا الخطاب على جُرأة وتحدٍّ ووضوح، وخالٍ مما يُعرف بالنفاق السياسي، أو الاجتماعي، الذي هو عادة منافقي السلطان في كل زمان، كما أن رأي ابن عاشور له وجاهته أيضاً، وهو يستند إلى قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ (طه: ٤٤).

كما أنه يُمكن الجمع بين الرأيين، بمعنى أن خطابه فيه شجاعة وأدب ووضوح وصراحة ولين، وليس بالضرورة إذا كان الخطاب شجاعاً أن يكون فظاً غليظاً، بمعنى آخر أن خطاب موسى عليه السلام جمع بين الشجاعة والصراحة والوضوح واللين، وهذا ما يُرجحه الباحث من الجمع بين الرأيين.

وفي قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (الأعراف: ١٠٥) يشير السعدي (1). إلى خطورة كذب المُرسَل الأمين، بل واستحالة أن يصدر الكذب منه، فيقول: "فحقيق علي أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا الحق، فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر، فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصاً وقد جاءهم ببينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق" (2).

ويؤكد ابن عجيبة على أن الرسول المُرسَل من ربه واجب عليه أن لا ينطق على الله إلا بالحق؛ لأنه معصوم من النطق بغيره، ومتعين وواجب عليه قول الحق على الله، وكلمة أنا تشير إلى أنه واجب عليه قول الحق، ولا يُقبل لمثلي إلا أن يكون ناطقاً به، لأنني حريص على ألا أقول على الله إلا الحق (3).

والدليل بأن كلامي ونطقي عن الله حق وصدق أنني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٠٥) أي: قد جئتم بحجة قاطعة من الله أعطانيتها دليلاً على صدقي فيما جئتم

1 عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. ولده ووفاته في عيزة بالقصيم له عدة مؤلفات منه (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن) و (تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن) والقواعد الحسان في تفسير القرآن) وطريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول والأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) وغيرها من الكتب، ت 1376 هـ. ، أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبية العلم المعاصرين(ص153). الزركلي، الأعلام،(3/340)

2 السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح مؤسسه الرسالة، ط1، 2000 م (ص299)

3 ابن عجيبة، البحر المديد، (2/523). ابن عاشور، التحرير والتنوير،(9/38). الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (2/130). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (7/256).

به . وفى قوله ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٠٥) إشعار بأن ما جاء به من حجج وبراهين لم يكن من صنعه . وإنما هو من عند رب العالمين ، الذى بيده ملكوت كل شيء أي : قد جئناكم ببينة عظيمة الشأن في الدلالة على صدقي . ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٠٥) فأطلق بني إسرائيل من أسرك وأعتقهم من رقك وقهرك، ودعهم يخرجون أحراراً من تحت سلطانك ليذهبوا معي إلى دار سوى دارك .

والى هنا يكون موسى ﷺ قد بين لفرعون طبيعة رسالته وطالبه برفع الظلم عن المظلومين فماذا كان رد فرعون؟ (1).

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (الأعراف: ١٠٦) يقول الرازي: أن دليل موسى ﷺ كان مبنياً على مقدمات منها: أن هذا العالم له إله قادر حكيم. وأن الله تعالى أرسله إليهم بدليل أنه أظهر المعجز على وفق دعواه ، وبما أن الأمر كذلك، وجب أن يكون رسولاً حقاً. وأن كل ما يبلغه من الله إليهم ، فهو حق وصدق. ثم إن فرعون ما نازعه في شيء من هذه المقدمات إلا في طلب المعجزة ، وهذا يوهم أنه كان مساعداً على صحة سائر المقدمات (2).

ومن الطبيعي جداً أن الذى يملك الحجة والبينة وجب عليه إظهارها؛ لإثبات صحة ما يدعو إليه، وموسى ﷺ أمدته الله تعالى بمعجزات عديدة وأمره باستعمالها ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظَرِیْنَ﴾ (الأعراف: ١٠٧ - ١٠٨). وذلك أنه إذا اتضح أن هذا الداعية إلى ربوبية رب العالمين كاذب في دعواه سقطت دعوته ، وهان أمره ولم يعد لهذه الدعوة الخطيرة من خطر - وصاحبها دعوى لا بينة عنده ولا دليل، إلا أنها المفاجأة التي تتقلب فيها العصا إلى ثعبان لا شك في ثعبانيته، يسعى في خفة وسرعة كأنه جان، ثم إن يده السمراء يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء بياضاً عجيباً خارقاً للعادة من غير أن يكون بها مرض أو غيره . لأنها المعجزة ، فإذا أعادها إلى جيبه عادت سمراء! هذه هي البينة والآية على الدعوى التي جاء بها موسى على أنه رسول من رب العالمين (3).

1 طنطاوي، محمد سيد، الوسيط، ط2، 1985م (145/5) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: محمود مطرجي بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، (552/1). ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1999م (454/3). أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار النشر : دار الكتب العلمية، لبنان، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، 2001م، (357/4).

2 ينظر، الرازي، تفسير الفخر الرزي، (2029/1)

3 ينظر قطب، في ظلال القرآن، (1347/3). طنطاوي، الوسيط، (145/5).

وهنا يأتي دور المَلَأَ التحريضي على موسى ﷺ حين قالوا ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿﴾ (الأعراف: ١٠٩ - ١١٠)، وهكذا أدرك فرعون وملؤه خطورة هذه الدعوة؛ ... لأن الطغاة في كل عصر لا يروق لهم أن ينازعهم أحد في سلطانهم و بعدما تشاوروا مع فرعون اتفقوا ظلماً وعدواناً على أن موسى ﷺ ﴿لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿﴾ (الأعراف: ١٠٩ - ١١٠). وقد استقر رأي المَلَأَ من قوم فرعون ، على أن يؤخر فرعون موسى إلى موعد، وأن يرسل في أنحاء البلاد من يجمع له كبار السحرة؛ ذلك ليواجهوا «سحر موسى» - بزعمهم - بسحر مثله. (1).

والمقصود بالمَلَأَ الأشراف وفي قصة موسى ﷺ، مع فرعون هم أهل مشورته ورؤساء دولته، وهم الفئة المحرضة على موسى ﷺ والذين زعموا أن موسى ساحرٌ عليم، أي مبالغ في علم السحر ماهر فيه يريد أن يخرجكم من أرضكم أي من أرض مصر فماذا تأمرون (2). ومعنى ما ذا تأمرون أي بماذا تشيرون، قاله فرعون لقومه ، وقيل : إن هذا من قول المَلَأَ؛ قالوا لفرعون وخاصته : ماذا تأمرون، وقيل : إنهم قالوا ذلك لفرعون خاصة ؛ لكن ذكروا بلفظ الجمع تفخيماً وتعظيماً (3).

والباحث يرجح أن هذا القول هو قول المَلَأَ؛ لأنهم هم أصحاب المشورة والرأي والتحريض، فبعد المشورة : ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿﴾ (الأعراف: ١١١ - ١١٢)، أي أمهله وأخاه لا تعجل عليهما قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات في المدن الفرعونية. حاشرين : رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة... فبعد أن تقدم موسى بما طلب فرعون منه من الآية فأراه آية العصا، واليد، وشاهد المَلَأَ من قوم فرعون الآيتين العظيمتين قالوا ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٠٩). واتهموا موسى فوراً بالسياسة، وأنه يريد بهذا إخراجهم من بلادهم ليستولي عليها هو وقومه من بني إسرائيل، وهنا تكلم فرعون وقال ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠) أي بم تشيرون علي أيها المَلَأَ والحال كما ذكرتم؟ فأجابوه قائلين ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ (الأعراف: ١١١) أي أوقفهما عندك (4).

1 قطب، في ظلال القرآن، (1348/3).

2 ينظر، الألوسي، محمود، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (21/9).

3 السمعاني، أبو المظفر منصور، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1997م (203/2).

4 الجزائري، أيسر التفاسير، (216/2).

وطلب الإرجاء كما يقول الشعراوي⁽¹⁾ ضروري؛ لأن المسألة أخطر من أن يُتصرّف فيها تصرفاً سريعاً بل تحتاج إلى أن يؤخّر الرأي فيها حتى يجتمع الملاء ، ويرى الجميع كيفية مواجهتها ، فهي مسألة ليست هينة لأن فيها نقض ألوهية فرعون ، فإذا كان قد قال لهم : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٠) .

فكأنه كان يطلب منهم الرأي فوراً، لكنهم قالوا إن المسألة تحتاج إلى تمهل وبطء ، وأول درجات البطء والتمهل أن يُستدعى أصحاب التخصص والذين يتقنون فن السحر، وبما أننا نقول عن موسى ساحر فلنواجهه بسحرٍ مثله . وقبول فرعون لهذه المشورة هدم لألوهيته؛ لأنه يدعي أنه إله ويستعين بسحرة عبيد له كما يزعم!⁽²⁾.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. شجاعة الدعاة والمربين في مخاطبة ذوي الجاه والسلطان بأدبٍ واعتزازٍ ﴿ يَنْفِرَعُونَ إِيَّيْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٤) ، هذا الرأي عند سيد قطب.
2. أسلوب الرفق واللين في مخاطبة الآخرين أسلوب تربوي رائع وراقي (على رأي ابن عاشور).
3. صدق المرسل عنصر هام من عناصر العملية التربوية ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (الأعراف: ١٠٥)

1 الشعراوي ولد محمد متولي الشعراوي في 1911م بقرية دقادوس إحدى مدن الدقهلية بمصر و حفظ القرآن الكريم في العاشرة ودخل معهد الزقازيق الابتدائي الأزهرى ثم المعهد الثانوي، أثنى الشعراوي المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات أبرزها: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، الأدلة المادية على وجود الله ، معجزة القرآن. الإسلام والمرأة، عقيدة ومنهج الشورى والتشريع في الإسلام، و نظرات في القرآن. توفى يوم 17 من أبريل عام 1998م ينظر، (أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين (ص325 - 328)

2 الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997م، (4288/7).

4. أهمية تسلح المربي أو صاحب الرسالة بالبراهين والأدلة التي تؤكد صحة ما يدعو إليه ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٠٥).

5. الحرية فريضة شرعية، وضرورة إنسانية وقيمة تربوية ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٠٥).

6. أهمية العلم في الفكر التربوي ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٠٩).

7. الشورى قيمة تربوية وسياسية وإنسانية حتى عند غير المسلمين ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾

(الأعراف: ١١٠)

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون من إشارات

أولاً: شجاعة الدعاة والمربين في مخاطبة ذوي الجاه والسلطان بأدبٍ واعتزازٍ ﴿يَفْرَعُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٤)

والشجاعة صفة نبيلة، وخلق تربوي، لا بُد من توفره في الداعية، أو المربي؛ لأن هذا الخلق مصدر كل خيرٍ وفضيلة، وخلق الشجاعة يصدر منه أخلاق متعددة كالكرم والنجدة والشهامة، وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها، وهي أخلاق محمودة، وأما الشجاعة غير المضبوطة التي تؤدي إلى التهور فهي شجاعة مذمومة (1). والشجاعة "حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتصابه وثباته فإذا رأته الأعضاء كذلك أعانته فإنها خدم له وجنود كما أنه إذا وليّ ولّت سائر جنوده" (2).

وعكس الشجاعة الجبن، والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله، وأهل الشجاعة هم أهل حسن الظن بالله، والشجاعة جنة للرجل من المكاره والجبن، و قد قالت

1 الغزالي، إحياء علوم الدين، (54/3).

2 ينظر، ابن قيم الجوزية، الروح، (ص236).

العرب: الشجاعة وقاية والجبن مقتلة وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنهم أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت (1).

والشجاعة الحقيقة ثمرتها الإقدام في موضع الإقدام والإحجام في موضع الإحجام والثبات في موضع الثبات والزوال في موضع الزوال وضد ذلك مغل بالشجاعة وهو إما جبن وإما تهور وإما خفة وطيش (2).

ولا ينبغي فضلاً عن ذلك أن نخلط بين الشجاعة والتهور "وحيث يتخذ المرء من الشجاعة قناعاً يتخفى وراءه فلن تكون في حقيقة الأمر سوى تبجح للتعويض عن خوفه اللاشعوري والنهاية المحتومة لمثل هذا التهور والهلاك" (3).

وأخيراً "ليس غريباً أن نخاف، فالخوف أمر طبيعي يشعر به الإنسان في بعض المواقف التي تهدد حياته بالخطر، والخوف الطبيعي المعقول مفيد للإنسان، فإذا كان الفرد منا لا يخاف من النار، فقد تحرقه أو تقضي عليه، لكن هناك من الخوف ما هو مَرَضِيّ بل إنّ من الخوف ما هو قاتل، فالخوف المبالغ فيه والمتكرر لأي سبب يكون خوفاً غير طبيعي" (4).

إن الخوف "قوة نقيد المرء، وقد يكون له تأثير كبير في حياتنا، حيث يمنعنا عما نرغبه، والخوف يملأ حياتنا بمستويات شعورية معينة" (5).

وخلصنا ما سبق عن الشجاعة: أن الشجاعة المضبوطة والتي تكون بين الجبن والتهور وبين الإقدام والإحجام هي شجاعة مطلوبة، بل وواجبة في حق الدعاة والمربين، لأن الداعية والمربي يحمل رسالة للتربية والإرشاد والتعليم، فمن واجبه أن يكون شجاعاً في تبليغ ما يحمل من مفاهيم تربوية صحيحة مستمدة من مصادر التربية الرئيسية القرآن والسنة، ومن آراء التربويين القدامى والمعاصرين، المسلمين وغير المسلمين، إضافة إلى ما سبق من الشجاعة المطلوبة، أن الشجاعة يجب أن يتحلى صاحبها بالأدب والرفق واللين، كشجاعة موسى عليه السلام حيث واجه فرعون بشجاعة محمودة ومطلوبة كما تجلت هذه الشجاعة بالأدب والرفق واللين كما وضع ذلك علماء التفسير على التباين بين آرائهم.

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفروسية تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس، السعودية، ط1،

1993م، (ص491).

2 ابن قيم الجوزية، الفروسية، (ص504).

3 ماي، رولو، شجاعة الإبداع، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م، (ص15).

4 نصر، ياسر، مشكلات تربوية، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط1، 2008م، (ص322).

5 بيفر، فيرا، الشجاعة الإيجابية، مكتبة جرير، ط1، 2006م، (ص6).

ثانياً: أسلوب الرفق واللين في مخاطبة الآخرين أسلوب تربيوي رائع وراقي ﴿يَفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٤)

هذا الأسلوب من الأساليب التربوية الفعّالة والمؤثرة في المُخاطب، وينسب متفاوتة، هذا ما دلّت عليه آيات القرآن، وبعض أحاديث الرسول ﷺ كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتجنب الغلظة والفظاظة في معاملة من يدعو: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقد جاء الأمر بالرفق في عدة أحاديث صحيحة، وقد صح عن نبينا ﷺ الأمر بالرفق بالنساء، والرفق بالأطفال، والرفق بالبهائم، والرفق بالجاهل، والرفق بالميت وغير ذلك، وأجمع ما صح في الرفق قوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ" (1).

وفي هذا السياق يقول ابن قيم الجوزية⁽²⁾ في تعليقه على خطاب موسى ﷺ لفرعون بقوله: " وَقَالَ مُوسَى يَفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" ﴿(الأعراف: ١٠٤)﴾ وتأمل حسن سياق هذه الجملة، وترتيب هذا الخطاب، ولطف هذا القول اللين، الذي سلب القلوب حسنه وحلاوته مع جلالته وعظمته، كيف ابتدأ الخطاب بقوله إني رسول رب العالمين" (3).

ويثني ابن القيم على الطبيعة التي " جمعت اللين والصلابة والصفاء فهي تقبل بليتها وتحفظ بصلابتها وتدرک حقائق الأمور بصفائها فهذه الطبيعة الكاملة التي ينشأ عنها كل خلق صحيح" (4).

1 مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والأدب ، باب فضل الرفق، رقم(6766). (22/8).

2 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. وكان قد لازم ابن تيمية وأخذ عنه علماً جماً، وتفنن في علوم الإسلام وكان عارفاً بالتفسير وبأصول الدين وبالحدِيث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه وبالفقه وأصوله والعربية ويعلم الكلام وغير ذلك وعالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، وألف تصانيف كثيرة، منها: إعلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وشفاء العليل، وكشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، وإيضاح المكنون، وغيرها الكثير. ت 751 هـ ينظر، (ابن العماد، شذرات الذهب)، (167/6). (الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين)، (ص269). الزركلي، الأعلام، (56/6).

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وزميليه، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1996م (396/2)

4 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995م (91/13)

وهذا الأسلوب الأخلاقي والراقي واللين الذي استخدمه موسى عليه السلام في محاورته لفرعون يترجم عن أهمية الأخلاق اللينة واللطيفة في إدارة أي حوار، " فالحوار دون التزام بضوابط أخلاقية أدنى إلى الثثرة، أو التهريج، أو العمل الصبياني"⁽¹⁾.

والرفق هو ظاهرة خلقية يضادها العنف، وهو من ظواهر خلق الصبر، أو من ظواهر خلق الرحمة أو من ظواهرهما معاً. و قد أوصى الإسلام بالرفق وحث عليه، واعتبر المحروم منه محروماً من خير كثير، وذلك لأن الرفق في الأمور من شأنه أن يصلح ويعطي أفضل النتائج وأجود الثمرات، بخلاف العنف فمن شأنه أن يفسد ويعطي نتائج سيئة . أن العنف في معالجة الآلة يكسرها، وفي مقارعة الخطوب يحطم الطاقات ويدمر القوى، ويحرم من الظفر بالنتائج المطلوبة. أما الرفق بالأحياء فهو رحمة توجبها الفضيلة الإنسانية، وتدعو إليها المشاركة الوجدانية الكريمة⁽²⁾.

وعل سعيد التربية والتعليم فإن إرهاب المتعلم بالتعليم مضرّ بالمتعلم سيما الأطفال؛ لأنه من سوء الملكة ومن كان مرياه بالعسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخُبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيلاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين⁽³⁾.

وأخيراً يقول عبد الله علوان⁽⁴⁾: ما ملخصه: الواجب على المربين أن يتحلوا بالرفق في تربية الطفل، إن أرادوا إصلاح أمتهم وهداية أجيالها، وإن رغبوا في تربية الأولاد وتقويم سلوكهم حين يعوج، وإرشادهم بلطف المربي ولينه وسهولته المفترضة، مع مراعاة أن هذا الأسلوب في التربية لا يستمر

1 الشيخلي، عبد القادر، أخلاقيات الحوار، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، الأردن، م1993 م (ص9).
2 الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم ، دمشق ، ط2، 987م، (ص352-353).

3 ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، (540/1).

4 عبد الله علوان، ولد في حلب سنة 1928م، تلقى علومه الشرعية والكونية بحلب، ثم أكمل تحصيله العالي في الأزهر الشريف بمصر، وعمل في التدريس في مدارس حلب مدرساً لمادة التربية الإسلامية، له آثار علمية وتربوية ودعوية، من هذه الآثار: التكافل الاجتماعي في الإسلام،؟ تعدد الزوجات في الإسلام، تربية الأولاد في الإسلام، وغيرها. (، عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (1119/2).

المربي في استعماله مع المُربى في كل الظروف والأحوال، بل حسب حالة الولد، بمعنى إن أجدى معه أسلوب اللين والرفق كان خيراً وتحقق الهدف فإن لم يُجِدِ هذا الأسلوب اضطر المربي أن يستعمل أسلوب التوبيخ اللفظي أو الجسدي حتى الضرب بشروط الضرب المعروفة حتى ينصلح أمره وتزكو نفسه وتستقيم أخلاقه⁽¹⁾.

وخلاصة القول أن خلق الرفق واللين خلق لا بد منه للمربي؛ حتى يؤثر فيمن يربيه؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ورفق بها، وتنفر ممن أساء إليها، سواء بفظاظة قوله أو بفظاظة فعله. مع ضرورة النظر إلى حالة المدعو أو المربي، بمعنى هل هذا الشخص المُستهدف في عملية التربية الأفضل أن يُستعمل معه أسلوب اللين أو أسلوب الشدة والقسوة، هذه التقديرات والخيارات تعود لتقييم الداعية أو المربي إلى حالة من يريه.

ثالثاً: صدق المرسل عنصر هام من عناصر العملية التربوية. ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (الأعراف: ١٠٥)

لا يتصور عاقل بأن نبياً كريماً، أرسله الله تعالى لهداية الناس يكذب على الله ويُرور رسالته وكلامه، لذا كان من أهم صفات النبوة والنبى الصدق والأمانة في تبليغ رسالة الله تعالى للناس؛ لأن الصدق خلق تربوي، وصفة إيمانية، ومعنى نبيل، لا يُفْلِح مُعَلِّمٌ أو مربي، أو صاحب رسالة، إن لم يكن صادقاً، وللصدق علامات، ومن علاماته: "إرادة الله وحده بالعمل والقول، وترك التزيين وحب ثواب المخلوقين والصدق في المنطق"⁽²⁾.

كما أن الشريعة "شعارها الصدق، وقوامها الحق، وميزانها العدل، وحكمها الفضل"⁽³⁾ وأشار ابن القيم إلى أن خلق الصدق تستحسنه العقول السليمة، والفطر القويمة "أما العقل فقد وضع الله سبحانه في العقول والفطر استحسان الصدق"⁽⁴⁾.

1 ينظر، علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (788/2-789).

2 المحاسبي، أبو عبد الله حارث بن أسد، آداب النفوس، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1984م، (ص153)

3 ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، (207/3)

4 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (138/2).

فإن "كان المرابي صادقاً أميناً خلوقاً كريماً شجاعاً عفيفاً نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة، وإن كان المرابي كاذباً خائناً متحلاً بخيلاً جباناً نذلاً نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة"⁽¹⁾.

فعلى المرابي أن يكون نموذجاً وقوةً في أخلاقه وصفاته، ويلاحظ ظاهرة الصدق في الطفل فإذا رآه ينتحل الكذب في أقواله وأفعاله، ويتلاعب بالألفاظ والكلمات، ويظهر في المجتمع بمظهر الكاذب المخادع، فعليه أن يتولى أمر الولد في أول كذبة كذبها، ويبين له مخاطر هذا الخلق الذميمة حتى لا يعود لمثل هذه الظاهرة أبداً⁽²⁾.

لأن "الكذب أصل للشر وأعظمه الكذب على الله عز وجل والصدق أصل للخير وأعظمه الصدق على الله تبارك وتعالى"⁽³⁾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال " إِنْ الصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنْ الْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقَ حَتَّى يَكُونَ صِدْقِيًّا وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا"⁽⁴⁾.

فمن هنا كان التمسك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، ركناً ركيناً في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه، وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائماً على محاربة الظنون، ونبذ الإشاعات، والكذب رذيلة محضنة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك مشين يدفع صاحبه إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة⁽⁵⁾.

وخلاصة القول: أن الصدق خلق إسلامي كما هو خلق إنساني على المرابي أن يتحرى الصدق ويدعو إليه، وأن يحذر من مخاطر الكذب؛ لأن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وبعكس ذلك الكذب، كما أن الصدق تستحسنه الطبيعة السوية والعقول السليمة، وترتاح له القلوب

1 علوان، تربية الاولاد في السلام، (633/2).

2 ينظر، .علوان، تربية الاولاد في السلام(736/2).

3 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق : علي حسن ناصر

وزميليه، دار العاصمة ، الرياض، ط1، 1995م (128/1).

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

رقم(57432)،(5/2261)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب قبح الكذب وحسن الصدق

وفضله، رقم(6803)،(8/29).

5 الغزالي، محمد، خلق المسلم، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1987م (ص34-35).

النقية والنفوس الطيبة الراقية فعلى كل عامل في الحقل التربوي عالماً أو متعلماً، داعيةً أو مدعواً مريباً أو مُرَبِّياً، معلماً أو تلميذاً، باحثاً أو دارساً، عليهم جميعاً أن يتحلوا بهذا الخلق.

رابعاً: أهمية تسلح المربي أو صاحب الرسالة بالبراهين والأدلة التي تؤكد صحة ما يدعو ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٠٥)

فالذي يملك البراهين والأدلة الساطعة حول ما يدعو إليه، يكون موقفه في أي حوار أو نقاش أو دعوة موقفاً قوياً واضحاً خالياً من الارتباك والضعف، وإن لم يقنع الخصم كبيراً وعناداً يفحمه، وفي إلقاء العصا ونزع اليد أدلة ساطعة وحجج قاطعة على صدق موسى ﷺ كما أنها تعتبر وسائل مادية ملموسة ومعجزة، وفي ذلك إشارة تربوية مهمة في أساليب المحاوراة الناجحة؛ فالمعلم الناجح هو الذي يأتي لطلابه بوسائل من بيئتهم يعيشونها، وذلك أدعى أن يتفاعلوا معها، كما يخاطبهم بلغة عصرهم، لا بلغة أزمان مضت، وكل ذلك نستشفه من طبيعة معجزات موسى ﷺ، فلقد كان السحر منتشراً في زمن الفراعنة، حتى افتتن الناس به، وكان يلزم ذلك معجزة تبهر الناس وتقوض سحر السحرة، والمربي اليوم يجب أن يستفيد من تكنولوجيا العصر، من الشبكة العالمية للمعلومات، والحاسوب، والفضائيات، ويوظفها توظيفاً جيداً في خدمة فكرته وتبليغ دعوته، كما "يجب توظيف تكنولوجيا التعليم في مجالات إعداد المعلمين وتدريبهم" (1).

كما أن المربي الناجح، والمحاور المقنع، هو الذي يستعين بالبيانات، ويقدم الحجج والبراهين بين يدي ما يدعو إليه وبعد أن يأتوا بالبراهين على ما يطرحونه من قضايا، عليهم أن يعطوا الأمل لمن يريون أنهم بإمكانهم أن يتفوقوا ويبدعوا حتى الضعفاء منهم، لذا "ينبغي في المرحلة الأولى من حياة الطفل الدراسية تكريس شعور هام لديه، بأنه ناجح وموفق، فيفرحه هذا كثيراً، كما يؤلمه اللوم والعتاب المُحِبُّ" (2).

وخلاصة القول أن البراهين والحجج والأدلة القوية لا بد منها لكل معلم ومرب وداعية، بل تعتبر أساليب تربوية ناجحة ومؤثرة وفاعلة إن لم تقنع تفحم وتسكت وتقوي حجة صاحبها متى علم أو أرشد أو ربي أو وجه.

1 ينظر، أحمد، لطفي بركات، في الفكر التربوي الإسلامي، دار المريخ، ط3، (ص 27)

2 كولتشييسكايا، ي، تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ترجمة عبد المطلب أبو سيف، منشورات دار علاء

الدين، دمشق، ط1، 1997م (ص83).

خامساً: الحرية فريضة شرعية وضرورة إنسانية وقيمة تربوية ﴿فَأَرْسَلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

(الأعراف: 105)

لم يدرك الإنسان قيمة الحرية إلا حينما يقع عليه الظلم والاضطهاد، وحين يُحجب كُرْهاً عن سماع كلمة التوحيد التي هي أعظم كلمة حرية في الوجود، وفي هذا السياق، يقول محمد الغزالي في توصيف معنى الحرية التي يدعو إليها الإسلام ويجاهد من أجلها: "الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن، فالحرية العقلية والنفسية أساس الإنسانية"⁽¹⁾.

والحرية بكل أشكالها وأنواعها الفكرية والدينية والاقتصادية والسياسية قيمة عظيمة، والذي يعني الباحث في هذه الدراسة هي الحرية السياسية، التي كانت مطلباً مهماً لموسى عليه السلام ولقومه لينجوا من فرعون وظلمه، ويعيشوا في أمن وأمان، والعرب قبل الإسلام كانوا عبيداً لآلهة متعددة تشمل الحجر والبشر والشمس والقمر، حتى الموروث من العادات الظالمة، حتى جاء الإسلام ودعاهم لأعظم معنى من معاني الحرية وهي دعوة لا إله إلا الله، التي تفك قيود العبودية عن كل عابد لمخلوقٍ غيره⁽²⁾.

بها ينتشر العدل، ويسود الأمن والأمان، وفي أجوائها تتكون الشخصية التربوية الفاعلة والمؤثرة، أيًا كانت هذه الشخصية سواء كانت ترسل، أو تستقبل، كما أن الحرية قيمة تربوية، فالدعوة إليها سلوك أخلاقي، والسلوك الأخلاقي في نظر الإسلام هو كل سلوك خيّر يقوم به الإنسان، بإرادة خيرة، ولغاية خيرة، والإنسان الأخلاقي، هو الإنسان الخيّر في حياته الظاهرة والباطنة، لنفسه ولغيره على حدٍ سواء"⁽³⁾.

ويُفهم من ذلك أن المربي المسلم تحديداً وُجد على هذه الأرض ليُحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، "لا يستسلم للواقع، بل يعمل على تغييره كما أمر الله، ولا يعتذر بالقضاء والقدر، بل يُؤمن بأنه قضاء الله الغالب، وقدره الذي لا يُرد، إنه المسلم الذي يعمل لإقامة رسالة، وبناء أمة وإحياء حضارة"⁽⁴⁾.

1 الغزالي، محمد، خلق المسلم، (ص28).

2 يُنظر، الفنجري، أحمد شوقي، الحرية السياسية في الإسلام، دار القلم الكويت، ط2، 1938م، (ص24).

3 يالجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983م (ص12).

4 القرضاوي، يوسف، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء، مكتبة وهبي، القاهرة، ط3، 1992م، (ص6).

كما أن الحرية تعتبر من الأسس التي يقوم عليها التعليم في المدارس الحديثة، وهذه الحرية المضبوطة بضوابط تربوية مدروسة لن تؤدي إلى الفوضى المعطلة لعملية التعليم والتعلم، بل تساعد الفرد على النمو وتكسبه الخبرات واتقان المهارات، وتقوده إلى العمل المنظم المنتج. فالحرية ضرورية للكائن الحي لأنها شرط النمو، وكما أن النمو المادي يحتاج إلى مقومات هي الضوء والهواء والدفء وغيرها، فكذلك النمو العقلي يحتاج إلى مقومات. هي التي نسميها في مجموعها الخبرة التي تبرز ما يمكن من استعدادات وتبيح لها أن تتشكل في صورها المتناسقة المنتجة (1).

سادساً: أهمية العلم في الفكر التربوي ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 109)

العلم للمربي وتحديدًا للمربي المسلم هو من فروض الدين، ومن ضروريات الحياة، ومن أجديات علم التربية، والحديث عن العلوم بأنواعها المتعددة سواء كانت العلوم الشرعية، أو العلوم الإنسانية، بحاجة إلى أبحاث ودراسات، لكن الذي يعني الباحث في هذه الدراسة من العلوم هو علم التربية، الذي أصبح له أثره وخطره في الحياة التعليمية بمختلف مراحلها، وشتى ميادينها وأنواعها، وشيء آخر يجعل لعلم التربية أهمية خاصة بالنسبة إلى الداعية، ذلك أن الدعوة كالتربية؛ كلتاهما تسعى إلى التناثر في فكر الإنسان وانفعاله ونزوعه؛ بغية الارتقاء بمفاهيمه وأخلاقه وسلوكه. والداعية كالمربي في ذلك، وإن كان لكل منهما وسائل ينفرد بها، أو يتفوق فيها على صاحبه، وكثيراً ما يكون الداعية مربيًا، والمربي داعية⁽²⁾.

لذا وجب "على المجتمع الحديث كلما زاد التخصص فيه أن يستمر في تحسين التربية للغالبية من أعضائه حتى يضمن مقدرتهم على أداء الأدوار التي ينتظرها منهم، ويحتاج الجمهور الذي حصل على تربية أفضل إلى معلمين مدربين أفضل تدريب، أي أنهم أكثر تخصصاً. وكلما زاد نمو التدريس تخصصاً وأهمية بالنسبة للمجتمع صار أقرب لاعتباره مهنة، إذ يتحتم على المدرسين حالياً أن يكونوا أكثر معرفة وأكثر وعياً بمسؤوليتهم تجاه المجتمع"⁽³⁾.

1 ينظر، رمضان، محمد رفعت، وزميله، أصول التربية وعلم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، (ص187-188).

2 القرضاوي، يوسف، ثقافة الداعية، مكتبة وهبي، القاهرة، ط9، 1991م، (ص111).

3 مرسي، محمد منير، أصول التربية الثقافية والفلسفية، عالم الكتب، القاهرة، 1979م، (ص134).

ويقول ابن حزم الأندلسي⁽¹⁾ في فضل العلم وأهميته: " لو لم يكن من فضل العِلْم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك، لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة! ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ويغبط نظراءه من الجهال لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة لو لم يكن من فائدة العِلْم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضنية ومطرح الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس لكان ذلك"⁽²⁾.

ويتحدث ابن حزم أيضاً في نفع العلم وأهميته فيقول: "نفعة العِلْم في استعمال الفضائل عظيمة، وهو أنه يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة، ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله، والثناء الرديء فينفر منه فعلى هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل فضيلة وللجهل حصة في كل رذيلة ولا يأتي الفضائل"⁽³⁾.

ويرى ابن خلدون " أن الحذق في العلم، والتفنن فيه، والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً فتفتقر إلى التعليم؛ ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفق وجيل، ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحيات فيه"⁽⁴⁾.

وأخيراً من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان أن المرابي ينبغي أن يكون عالماً في أصول التربية التي جاءت بها شريعة الإسلام، وأن يكون محيطاً بأمور الحلال والحرام، وأن يكون على دراية تامة بمبادئ الأخلاق، لأن العلم بهذا كله يجعل من المرابي عالماً حكيماً يضع الأشياء في موضعها، ويربي الولد على أصولها ومقتضاها، ويسير في طريق الإصلاح والتربية على أسس متينة"⁽⁵⁾.

1 أبو محمد، علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان الأندلسي القرطبي الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف والمصنفات منها كتاب الإيصال إلى الفهم. و كتاب الخصال الجامعة ت456. سير أعلام النبلاء (18/184). ابن العماد، شذرات الذهب، (3/298).

2 ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، الأَخْلَاقُ وَالسِّيَرُ، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، ط1، 1988م، (ص63).

3 ابن حزم الأندلسي، الأَخْلَاقُ وَالسِّيَرُ، (ص69).

4 ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (1/430)

5 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (2/785).

وخلصاً أهمية العلم في الفكر التربوي: أن الداعية أو المربي يجب أن يعرف شيئاً عن كل شيء، سواء كانت هذه المعرفة في العلوم الشرعية أو العلوم الإنسانية، وأول هذه العلوم للمربي بعد العلوم الشرعية هي علم التربية؛ لأهمية هذا العلم، وآثاره في حياة الأمم والشعوب والأفراد وجمهور المعلمين والمتعلمين. فمن هنا كان موسى عليه السلام مطبقاً لهذه الإشارة فكان عالماً في كل ما كان يدعو إليه؛ لأن الله تعالى هو الذي علّمه وهذا ما يجب أن يكون عليه المربي.

سابعاً: الشورى قيمة تربوية وسياسية وإنسانية حتى عند غير المسلمين ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠)

الشورى مبدأ إنساني، كم هو مبدأ إسلامي، فهي فرعون يستشير حاشيته وقومه في أمر موسى عليه السلام، والأولى في تطبيق هذه القيمة الغالية أهل الإسلام، لذا كان من صفات القائد أو المربي أن يُرسخ هذا النهج وهذا الخلق، تصديقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (الن عمران: ١٥٩). والذي يستشير شخصاً أو جماعة يكون قد ضم عقول هؤلاء المستشارين إلى عقله، ونتيجة ذلك أن الرأي الذي يخرج به مجتمع الشورى أنضج وأسلم وأحكم، وهذا يتطلب استشارة أصحاب العلم والعقل والمعرفة، ولنا في الرسل الكرام أسوة حسنة، فإبراهيم عليه السلام شاور ولده إسماعيل في ذبحه، ومحمد عليه السلام شاور أصحابه في الكثير من القضايا الحساسة والخطيرة وهو النبي الموحى إليه، حتى أن الطغاة والمستبدين بعضهم استشار من حوله كفرعون حين استشار قومه في أمر موسى عليه السلام والسحرة، فقال ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠).

وملكة سبأ حين طبقت نظرية الشورى وبعدها التربوي فنجت بنفسها وقومها لأن " الشورى تقي الأمة سيئات شتى، منها إعجاب الغبي برأيه، ورجبته في فرضه على الناس، وقديماً قيل: من البلاء الرأي لمن يملكه لا لمن يُبصره"⁽¹⁾.

وعلى الصعيد التربوي جميل أن يشاور المربي والمعلم والداعية من يريهم، سواء كان هذا المربي معلماً في مؤسسة تعليمية، أو أباً في بيته، أو داعية في مجتمعه، لأن هذه المشورة وهذا التعاون يعمل على " تقوية الصلة بين المربي والولد، ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجه، ويكتمل التفاعل التربوي على أحسن وجه، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي على أنبل معنى"⁽²⁾.

1 الغزالي، محمد، أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية، دار الشرق الأوسط، ط1، 1990م، (ص33).

2 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (2/1022).

والخلاصة: أن على المربين والدعاة والمعلمين أن تكون الشورى نهجاً تربوياً في حياتهم يتعلمونها ويعلمونها لغيرهم، وتترسخ لديهم ثقافة وقناعة بهذا النهج وهذه القيمة التربوية التي لا تأتي إلا بخير، ولا تعود إلا بالنفع على كل العاملين في الحقل التربوي.

المطلب الثالث: مشهد اللقاء الثاني بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِقْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ (الأعراف: ١١٣ - ١١٨)

ويأتي هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين في الآيات الكريمة

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿

(الأعراف: ١١٣ - ١١٤)

يقول سيد قطب عن هؤلاء السحرة "إنهم محترفون ... يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدين... وكافأهم على الاحتراف... هم يقرون سلطانه باسم الدين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين! ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ووعدهم مع الأجر القربى منه، زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد" (1).

ويذكر السعدي في قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ (الأعراف: ١١٣) "طالبين منه الجزاء إن غلبوا ف ﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٣) ف { قَالَ } فرعون: ﴿ نَعَمْ ﴾ (الأعراف: ١١٤) لكم أجر ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٤) فوعدهم الأجر والتقريب، وعلو المنزلة عنده، ليجتهدوا ويبدلوا وسعهم وطاقتهم في مغالبة موسى" (2).

وزادهم أيضاً أن يجعلهم من خواصه ورجال قصره فقال ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٤) أي لدينا، وهنا تقدموا لموسى وكانهم على ثقة في قوتهم السحرية، وأن الجولة ستكون لهم، سواء تقدموا بإلقاء آياتهم السحرية أو تقدم موسى عليهم فقالوا" (3).

﴿ يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٥) "ويبدو التحدي واضحاً في تخييرهم لموسى. وتبدو كذلك ثقتهم بسحرهم وقدرتهم على الغلبة، وفي الجانب الآخر تتجلى ثقة موسى ﷺ واستهانته بالتحدي: ﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾ (الأعراف: ١١٦) .. فهذه الكلمة الواحدة تبدو فيها قلة المبالاة، وتلقي ظل الثقة الكامنة وراءها في نفس موسى" (4).

قال ابن عجيبة ما ملخصه: أن السحرة حين خيروا موسى يلقي هو في البداية أم هم كان ذلك أدباً منهم وتقديراً له، واطهاراً أنهم أقوياء وواقفين، مع أن رغبتهم الحقيقية هي الالتقاء قبله لأنهم عبروا عن إلقاء موسى بالفعل وعن إلقاءهم بالجملة الاسمية، وفيه إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون

1 قطب، ، في ظلال القرآن، (1349/3).

2 السعدي، ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص299).

3 أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير، (218/2).

4 قطب، في ظلال القرآن، (1349/3).

فيه (1). ويؤكد الزمخشري على معنى قريب من المعنى الذي وضحه ابن عجيبة، وهو أن السحرة كان تخييرهم لموسى ﷺ تخيير أدب وحسن مراعاة معه، كما يفعل المتحاورون وبعض أهل الصناعات والتخصصات إذا خاضوا في مناظرات أو حوارات، ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَحْنُ الْمُتْلِقِينَ﴾ (الأعراف: ١١٥) فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله ، وهذه الرغبة لم تخف موسى؛ بل نظر لهذه الرغبة نظرة ازدياء، وقلة مبالاة بهم، وثقة بما معه من التأييد الإلهي ، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً (2).

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ (الأعراف: ١١٦) «أي الحبال والعصي» ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ (الأعراف: ١١٦) أي خيلوا لهم وقلبوها عن صحة إدراكها ، بما يتخيل من التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد. ومعنى ﴿عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦) أي عندهم ؛ لأنه كان كثيرا وليس بعظيم على الحقيقة (3).

بعد هذه المحاورة والقاء السحرة حبالهم حيث سحروا أعين الناس وأرهبهم حتى موسى ﷺ أوجس في نفسه خيفة من سحرهم، أوحى الله تعالى: أن يا موسى ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ والقاء العصا معجزة حق ابتلعت سحر باطل ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١١٧ - ١١٩) ويصور سيد قطب لنا هذا المشهد الإيماني الرائع والمؤثر الذي حصل في المباراة بين موسى ﷺ وسحرة فرعون، فيقول ما ملخصه:

إنه الباطل ينتقش، ويسحر العيون، ويستترهب القلوب، ويغشي ببهرجه الكاذب وزخرفه الخادع على الأبصار والبصائر، حتى يَخِيل للكثيرين ممن يتشابهون معه في حياتهم اليومية، بأنه غالب، وأنه جارف، وأنه محيق! وما هو إلا أن يواجه الحق الهادئ الواثق، فيأخذ في النكوص والتراجع والتلاشي فينهزم في ميدان المواجهة والتحدي، ويبقى الحق راجح الوزن، ثابت القواعد، عميق الجذور، والتعبير القرآني هنا يلقي هذه الظلال، وهو يصور الحق واقعا ذا ثقل : ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ (الأعراف: ١١٨). وثبت واستقر .. وذهب ما عداه فلم يعد له وجود : ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١١٨)

(١١٨) وغلِبَ الباطلُ والمبطلون وذلوا وصغروا وانكمشوا بعد الزهو الذي كان يبهر العيون (4).

1 ينظر، ابن عجيبة ، البحر المديد (526/2).

2 ينظر، الزمخشري، الكشاف، (132/2). ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب،

تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، (260/9).

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (259/7).

4 قطب، في ظلال القرآن، (1350/3). الواحدي، الوجيز، (ص407). طنطاوي، الوسيط، (152/5)

السمرقندي، بحر العلوم، (554/1).

وخلاصة ما في هذا المطلب أن السحرة سيطر على نفوسهم الطمع المادي والمعنوي، وطلبوا من فرعون أن يجعلهم من حاشيته وخواصه إن هم غلبوا موسى عليه السلام بسحرهم، ظناً منهم أن ما جاء به موسى عليه السلام من معجزات هو سحر، ونسوا أنها معجزات حق أمام سحر باطل، وحين طلبوا من موسى عليه السلام أن يلقوا هم أولاً أم موسى يتبين في هذه الطلب: أمران اثنان على اختلاف أقوال المفسرين، الأمر الأول: أن طلبهم هذا فيه نوع من الأدب في الخطاب، والأمر الثاني أن طلبهم هذا كان فيه نوع من الثقة ونوع من التحدي لموسى عليه السلام وما جاء به من معجزات، إلا أنه في النهاية انتصرت المعجزة المؤيدة بالوحي الذي لا يُغلب أبداً، وانهمز السحر الباطل المقطوع عن الوحي والرسالة، مما أدى في النهاية إلى إيمان السحرة برب موسى وهارون.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. الاستغلال والطمع صفتان مذمومتان من الواجب الابتعاد عنهما. ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٤)
2. الحاكم العادل يقرب البطانة الحسنة ويبعد البطانة السيئة ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٤)
3. مراعاة الأدب في الحوار مع المخالف ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (الأعراف: ١١٥)
4. الداعية إلى الله موصل القلب بربه مطمئن لوعده على يقين بنصره ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ (الأعراف: ١١٦)
5. الحق هادئ واثق راجح الوزن ، ثابت القواعد ، عميق الجذور، وإن بدا في ظاهره ضعيفاً في بعض الأحداث والمواقف ﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ﴾

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون من إشارات

أولاً: الاستغلال والطمع صفتان مذمومتان الواجب الابتعاد عنهما. ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٤)

يذكر صلاح الخالدي: أن طلب السحرة الاجر من فرعون يدل على أن فرعون وملاه كانوا يستغلونهم قبل ذلك استغلالاً، ويشغلونهم سخرة، ولا يعطونهم على أعمالهم أجراً. وهذه طبيعة المسؤولين الظالمين المستبدين؛ يسخرون الآخرين لهم، ويستنزفون طاقتهم، ويسرقون جهودهم،

ويشرون ذمهم؛ ليكونوا إلى جانبهم، ويدعموهم في مواقفهم، ويدافعوا عن ظلمهم واستبدادهم، وهذه وسيلة يستخدمها المستبدون الطغاة قديماً وحديثاً⁽¹⁾.

وطلب السحرة الأجر من فرعون يُعتبر نوعاً من أنواع الطمع الذي يذل نفس صاحبه، "فإذا قطع العبد على نفسه الطمع من أسباب الدنيا، وغلب بعقله هواها، رجعت بطمعها إلى أسباب الآخرة، فإذا تجردت من أسباب الدنيا وأقبلت على نفسها بالإيأس من المخلوقين، رجعت برغبتها وطمعها إلى أسباب الآخرة، فجدت في طلبها واجتهدت، وعزفت عن الدنيا وباينت الهوى"⁽²⁾.

فالعبد المؤمن يتوجه دائماً إلى ربه بالسؤال، ويطلب منه العون، فإذا طلب من الله الرزق "صار عبداً لله، فقيراً إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق، فقيراً إليه"⁽³⁾.

وحتى يبقى العبد المؤمن عبداً لله لا لغيره، عليه التجرد من الطمع، وذلك بالتوحيد والتوكل والثقة بالله، لأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو⁽⁴⁾.

يتبين من كلام التزويين أن الطمع صفة مذمومة تذل صاحبها وتضعفه، فلا يُسمع منه ولا يوثق به، فالواجب على الداعية والمربي أن يكون عفيف النفس، كريم الخُطى، يترك أثراً طيباً أين ما حل وارتحل.

1 يُنظر، الخالدي، القصص القرآني، (2/434-435).

2 المحاسبي، آداب النفوس، (ص48).

3 ابن تيمية، العبودية، تحقيق، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط7، 2005م (ص82)

4 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص116)

ثانياً: الحاكم العادل يقرب البطانة الحسنة ويبعد البطانة السيئة ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

(الأعراف: ١١٤)

قال الزجاج^(١): "البطانة الدُّخلاء الذين يُنْبَسَط إليهم ويُسْتَبْطَنُونَ يقال فلان بطانة فلان أي مُدَاخِلٌ له مؤانس ويقال أنت أبطن بهذا الأمر أي أخبر بباطنه وتبطنت الأمر علمت باطنه وبطنت الوادي دخلته وبطنت هذا الأمر عرفت باطنه ومنه الباطن في صفة الله عز وجل والبطانة السريرة^(٢).

ويُفهم من التعريف لكلمة بطانة أن بطانة الرجل هم خاصته والمُقَرَّبون منه، وترجمة هذا المفهوم على عالم الحكام أدق، فالحاكم الصالح هو الذي يحرص أن يكون له بطانة خيرة تأمره بالخير وتحضه عليه، ويبعد عنه البطانة السيئة التي تزين له سوء أعماله فيهلك ويهلك غيره ممن ولي أمرهم، وهذا ما حث عليه الرسول ﷺ في قوله: "مَا اسْتُخْلِيفَ خَلِيفَةً إِلَّا لَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ"^(٣).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أهمية أن يختار الحاكم البطانة الصالحة، أو المستشار الأمين الذي لا يغشه في النصيحة، ويذكره بالاستقامة إذا انحرف، وبالعدل إذا ظلم، وبالدار الآخرة إذا غرت دار الدنيا، بهذه البطانة يعيش الحاكم والمحكوم في أمن وأمان وعدل وحرية.

ثالثاً: مراعاة الادب في الحوار المخالف. ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمُلْكَيْنِ﴾ (الأعراف: ١١٥)

والأدب كما عرّفه ابن قيم الجوزية: "هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه وصيانتها عن الخطأ والخلل"^(٤).

والأدب هو خلق إنساني، وقيمة تربوية عالية، به يُعرف المرابي أو الداعية، ويتميز به عن غيره من السوقة والعامّة، وأصحاب لغو القول ولغو الفعل هم الذين يُشوّهون معاني التربية الحقيقية، لذا

1 . إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، من كتبه معاني القرآن. الاشتقاق. خلق الانسان. الأمالي في الأدب واللغة. فعلت وأفعلت في تصريف الالفاظ. العروض والقوافي. وغيرها من الكتب، ت 31 هـ. المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (59/5). الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (232/7). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (613/6). الزركلي، الأعلام، (40/1).

2 ابن منظور، لسان العرب، (52/13).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب المعصوم من عصم الله، رقم (6237)، (2438/6).

4 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1973م (376/2).

كان من أهم أهداف التربية هو "إيصال المربي الى درجة الكمال التي هيأها الله لها . فتشمل جميع جوانب النفس الانسانية ، وتستعين بوسائل منها التعليم، فالتعليم وسيلة للتربية ومدلوله أضيق من مدلولها ،لأنه مرتبط بموضوع معين . والتعليم قد يهدف الى تحصيل المعرفة. أو التدريب على مهارة، أو حفظ نص من النصوص الأدبية ،إلا أن التربية تتخذ كل ذلك وسيلة لتربية المشاعر، وتنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون الذي صنعه الله ،وتربية الضمير والوجدان ،وتربية الإرادة الحرة الواعية، والقيم الانسانية ،والقيم الخلقية النابعة منها، وأنماط السلوك التابعة لها"⁽¹⁾.

لذا يوصي ابن القيم بالتزام " الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً... وقيل : الأدب في العمل علامة قبول العمل وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل ولهذا كان الأدب : استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل"⁽²⁾.

والأدب له عدة وجوه، منها، الأدب مع الله؛ وذلك بدوام الهيبة والمراقبة، والأدب مع الرسول ﷺ؛ وذلك بملازمة العلم واتباع السنة، والأدب مع الأولياء بالاحترام والخدمة، والأدب مع الإخوان بالبشر والانبساط وترك الإنكار عليهم ما لم يكن خرقاً شريعة أو هتكاً حرمة⁽³⁾.

والمروءة مع الخلق بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه، وليتخذ الناس مرآة لنفسه فكل ما كرهه ونفر عنه من قول أو فعل أو خلق فليجتنبه، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله، وصاحب هذه البصيرة ينتفع بكل من خالطه وصاحبه من كامل وناقص ومن سيئ الخلق أو حسن الخلق⁽⁴⁾.

وأدب المرء : "عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه : عنوان شقاوته ووباره فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب"⁽⁵⁾.

وأخيراً فإن "سوء الأدب يفسد السلوك كله، فهو يفسد العمل، ويفسد القلب، ويفسد آثار الذكر، وآثار الصمت، وآثار الخلوة والعزلة"⁽⁶⁾.

1 مدكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الاسلامي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1990، (ص268)

2 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (381/2).

3 السلمي، أبو عبد الرحمن، آداب الصحبة، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، (ص65)..

4 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (353/2).

5 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (391/2).

6 حوى، سعيد، تربيئتنا الروحية، دار السلام، مصر، ط3، 1990م، (ص203)

والخلاصة: أن الأدب هو من الأخلاق المهمة والأساسية للمربي المسلم؛ لأن ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان، والإيمان قوة عاصمة من الدنيا، دافعة إلى المكرمات فإن نمت الرذائل في النفس، وفشا ضررها، وتفاقم خطرهما، انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ من ثيابه، وأصبح ادّعاءه للإيمان زوراً، فما قيمة دين بلا خلق، وما قيمة خلق بلا أدب⁽¹⁾.

رابعاً: الداعية إلى الله موصول القلب بربه مطمئن لوعده على يقين بنصره ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا

﴿ الأعراف: ١١٦ ﴾

والمؤمن الموصول بالله عز وجل يكون ساكن النفس مطمئن القلب" وثمرة هذه السكينة الطمأنينة للخير تصديقاً وإيقاناً، وللأمر تسليماً وإذعاناً، فلا تدع شبهة تعارض الخير ولا إرادة تعارض الأمر فلا تمر معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة من مرور الوسوس الشيطانية التي يبتلى بها العبد ليقوى إيمانه، ويعلو عند الله ميزانه بمدافعتها وردّها وعدم السكنون اليها، فلا يظن المؤمن أنها لنقص درجته عند الله⁽²⁾.

ويرى ابن قيم الجوزية: أن حقيقة الطمأنينة هي "السكون والاستقرار؛ فهي التي قد سكنت إلى ربه وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره واطمأنت إلى لقائه ووعدده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربه وإلهها ومعبودها ومليكتها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين"⁽³⁾.

كما أن طمأنينة القلب وسكونه واستقراره وزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، كل هذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عجز قضي الله

1 الغزالي، خلق المسلم، (ص10-12).

2 ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، (4/202).

3 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (1/76).

سبحانه وتعالى قضاءً لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق ⁽¹⁾ لأن "الطمأنينة هي سكن القلب إلى الشيء ووثوقه به وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه" ⁽²⁾.
وأخيراً فإن التربية المؤثرة والفاعلة والتي تبقى القلب متصلاً بخالقه ومولاه، لها وسائل وأساليب ومن وسائلها الاتصال بكتاب الله العظيم تلاوةً وتأملاً وفهماً، وفتح منافذ القلب إلى هذا الروح العظيم ليبقى ساكناً مطمئناً ⁽³⁾.

وخلاصة هذه النقطة: أنه لا راحة ولا طمأنينة ولا استقرار نفسياً ولا قلبياً ولا روحياً ولا ذهنياً ولا عقلياً إلا بالاتصال بالله، وتلاوة كتابه وفهمه وتدبره وتطبيق ما جاء فيه من إرشادات وتعليمات وأوامر ونواهي، وعكس ذلك البعد والحرمان والشقاوة والقلق والاضطراب والاكنتاب حتى الهموم والأحزان تبقى تحوم حوله حتى الممات، فالمطلوب من المربي والمعلم والداعية المسلم أن يبقى على تواصل مع الله كما تقدم، وأن يدعو ويربي ويعلم غيره على هذه المعاني.

خامساً: الحق هادئ واثق راجح الوزن ، ثابت القواعد ، عميق الجذور. ﴿فَوْقَ الْحَقِّ﴾

(الأعراف: ١١٨)

وتشير هذه النقطة إلى أهمية الثبات على الثوابت، وإلى تمايز الداعية والمربي الذي يحمل رسالة الحق ويدعو بدعوة الحق، ويربي من يربيه على عظمة الحق، وأن الحق يحمل بذور بقاءه فيه، لذا يبقى الحق ثابت القواعد عميق الجذور راسخ القدم، وهذا يلزم المرين الذين يحملون هذا الحق المتمثل في هذا الدين وما جاء به من معاني تربية وقيم إيمانية، أن يكونوا نماذج رائعة وقدرات حسنة، حتى تنجح التربية وتنتشر الفكرة "ولا بد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين، وتتجذب إليه النفوس" ⁽⁴⁾.

فالمرشد الرباني، والعالم الواعي الناضج والداعية المصلح، هو الذي يعطي القدوة الكاملة عن الإسلام، فلا يجوز له في دين الله أن يكتفم علماً، أو يسكت عن حق، أو يتغاضى عن منكر، أو يتساهل في واجب، أو يحرف الكلم عن بعض مواضعه، أو يخشى أحداً من الناس، أو يحابي ذوي

1 ابن قيم الجوزية، الروح، (ص220).

2 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلّة، تحقيق: علي بن محمد، دار العاصمة الرياض، ط2، 1998م، (741/2).

3 زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ط2، (428/2).

4 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (653/2).

الجاه والسلطان، أو يجد في حق الله مقالاً ثم يسكت، وإذا فعل شيئاً من هذا يكون كاتماً لما أنزل الله من الهدى والبيّنات⁽¹⁾.

والخلاصة أن قوة الحق وتأثيره يكمنان في مدلولاته التربوية، وفي جمال سلوك صاحبه، وفي روعة منطقه، وفي رفعة من يعتنقه وعزته ويدعو إليه ويربي ويتربى عليه.

المطلب الرابع: السحرة ورحلة الإيمان

وفيه الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين في الآيات

يقول الله تعالى:

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَبِّحَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا ءَأَنْتَ ءَأَمِنَّا يَأْتِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (الأعراف: ١٢٠ - ١٢٦)

وهنا تبدأ رحلة الإيمان مع سحرة فرعون، إنها رحلة عجيبة ومذهلة ومحيرة لأولي الألباب، قبل برهة قصيرة من الزمن كانوا يحلفون بعة فرعون، بل طلبوا منه القرى سواء كانت هذه القرى الجاه أو المال أو المنعة والعزة والسيطرة أو كلها مجتمعة، وبعد المباراة التي حصلت بينهم وبين موسى عليه السلام يخرون للأذقان سجداً ويكون ويزيدهم خشوعاً، ويؤمنوا إيماناً أثبت من الجبال الرواسي حيث لا جدال في هذا الإيمان ولا شك معه، هذا ما صورته لنا الآيات الكريمة بالبلاغة والتأثير المألوف والمعروف لكلام الله تعالى، وسنتعرف على أقوال المفسرين في رسمهم لمشهد إيمان سحرة فرعون

1 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (849-850).

برغم التهديد والوعيد والانتقام .فقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا رَبَّ أَلْعَلَمِينَ ﴿١٣١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿الأعراف: ١٢٠ - ١٢٢﴾

إن السحرة حين تأكد لهم بحكم الخبرة والتخصص، أن ما حصل بينهم وبين موسى ﷺ من مبارزة لم يكن سحراً بين سحرة يظهر فيها أيهم أكثر احترافاً وأمهراً سحراً، بل إنها معجزة موسى الحق أمام سحرهم الباطل، كما قال أبو حيان الأندلسي ما ملخصه في هذا المشهد:

أن السحرة خرّوا سجداً كأنما ألقاهم ملق لشدة خروهم ، أو أنهم لم يتمالكوا أنفسهم مما رأوا فكأنهم ألقوا، وسجودهم كان لله تعالى لما رأوا من قدرة الله وعظمته تتجلى أمام أعينهم ، وقيل سجداً موافقة لموسى وهارون فإنهما سجداً لله شكراً على وقوع الحقّ فوافقوهما فكانوا أول النهار كفاراً سحرة وفي آخره شهداء بررة، حيث ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا رَبَّ أَلْعَلَمِينَ ﴿١٣١﴾ (الأعراف: ١٢١)

ويصور سيد قطب لنا مشهد إيمان السحرة تصويراً فنياً مؤثراً ورائعاً فيقول: "إنها صولة الحق في الضمائر، ونور الحق في المشاعر ، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين، إن السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنهم ، ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه. وهم أعرف الناس بالذي جاء به موسى إن كان من السحر والبشر ، أم من القدرة التي وراء مقدور البشر والسحر. والعالم في فنه هو أكثر الناس استعداداً للتسليم بالحقيقة فيه حين تتكشف له ، لأنه أقرب إدراكاً لهذه الحقيقة ، ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا القشور، ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق ، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين" (1).

فكانت المفاجأة والصدمة والذهول الذي أصاب فرعون، فأخذ يرغب ويتردد ويتوعد حتى قال للسحرة: ﴿ءَأَمَّنَّم بِهٖ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمۡ ﴿١٢٣﴾ (الأعراف: ١٢٣) وهنا تتحدث الآيات عن مشهد غرور فرعون وكبريائه وهزيمته النفسية التي تلقاها بعد هزيمة سحر السحرة الباطل أمام معجزة موسى الحق، ويتساءل كيف يؤمن هؤلاء السحرة دون مشورته وإذنه؟! " كأنما كان عليهم أن يستأذنه في أن تنتفض قلوبهم للحق ... أو كأنما كان عليهم أن يدفعوا اليقين وهو ينبت من الأعماق. أو أن يطمسوا الإيمان وهو يتفرق من الأغوار. أو أن يحجبوا النور وهو ينبعث من شعاب اليقين! ولكنه الطاغوت جاهل غبي مطموس وهو في الوقت ذاته متعجرف متكبر مغرور" (2).

وما زال السياق في أحداث قصة موسى وفرعون، ففي الآيات التي سبقت هذه الآيات مباشرة

1 قطب، في ظلال القرآن، (3/1350).

2 قطب، في ظلال القرآن، (3/1350).

والتي تمت فيها المبارزة بين موسى والسحرة بنصر موسى ﷺ وهزيمة فرعون النكراء بعد إيمان السحرة، وفي هذه الآيات يخبر تعالى عن محاكمة فرعون للسحرة حين ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ (الأعراف: ١٢٣) ﴾ أي للسحرة ﴿ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ﴾ (الأعراف: ١٢٣) أي بموسى ﴿ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣) أي في الإيمان به، وهي عبارة فيها رائحة الهزيمة والسفه والكبر، وإلا فهل الإيمان بحاجة إلى إذن مخلوق حين يتغلغل في شعاب القلوب، ثم قال لهم ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ (الأعراف: ١٢٣) أي أن هذا الذي قمتم به من ادعاء الغلبة لموسى ما هو إلا مؤامرة دُبرت لبليل بينكم وبين موسى، لتستولوا على المدينة وتخرجوا أهلها منها، وبدأ بالتهديد والوعيد فقال: ﴿ فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣) ما أنا فاعل بكم (1).

﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْمِنَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٤) " إنه التعذيب والتشويه والتتكيل، وسيلة الطواغيت في مواجهة الحق ، الذي لا يملكون دفعه بالحجة والبرهان، ولكن النفس البشرية حين تستعلن فيها حقيقة الإيمان تستعلي على قوة الأرض ، وتستهيئ ببأس الطغاة وتنتصر فيها العقيدة على الحياة ، وتحترق الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم " (2).

فقالوا وهم مطمئنون: ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِّنْآ إِلَآ أَن ءَأَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفَرَّغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦) ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٥) بالموت ، فيكرم مثوانا ، فلا نبالي بوعيدك ، كأنهم اشتاقوا إلى اللقاء ، فهان عليهم وعيده ، أو إنا وأنت إلى ربنا منقلبون ، فيحكم بيننا وبينك ﴿ وَمَا نُنْقِمُ مِّنْآ ﴾ (الأعراف: ١٢٦) أي : وما تعيب علينا ﴿ إِلَآ أَن ءَأَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾ (الأعراف: ١٢٦) ، وهو لا يعاب عند العقلاء ، لأنه أصل المناقب والمفاخر، ثم فزعوا إلى الله فقالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفَرَّغَ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ (الأعراف: ١٢٦) أي : اصعب علينا صبرًا يغمرنا ،

كما يُفرغ الماء على الشيء فيغمره ، ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٦) ثابتين على الإسلام (3). ويلخص لنا سيد قطب هذا المشهد، مشهد الثبات على فكرة الإيمان بالله الواحد الأحد،- وتحمل تبعاتها، والاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس من أجلها- لأن "الذي يدرك طبيعة المعركة بينه وبين الطاغوت .. وأنها معركة العقيدة في الصميم .. لا يداهن ولا يناور .. ولا يرجو الصفح والعفو من

1 ينظر، الجزائري، أيسر التفاسير، (221/2). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (260/7).

الشوكاني، فتح القدير، (241/2).

2 قطب، في ظلال القرآن، (1351/3).

3 ابن عجيبة، البحر المديد، (527/2). الزمخشري، الكشاف، (133/2). أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد

العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (262/2) ..

عدو لن يقبل منه إلا ترك العقيدة ، لأنه إنما يحاربه ويطارده على العقيدة ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنَّا إِلَّا أَن تَأْمَنَّا بِآيَاتِنَا رَبَّنَا ﴾ (الأعراف: ١٢٦) والذي يعرف أين يتجه في المعركة ، وإلى من يتجه لا يطلب من خصمه السلامة والعافية ، إنما يطلب من ربه الصبر على الفتنة والوفاء على الإسلام ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٦) " (1).

وبعد هذا المشهد يأتي مشهد المأ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، الذين يحرضون فرعون على موسى ﷺ وقومه إنه "مشهد التآمر والتناجي بالإثم والتحريض. بعد الهزيمة والخذلان في معركة الإيمان والطغيان" (2). فقال: ﴿ أَلَمْ أَكُ مِنَ قَوْمٍ فَرَعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسَجِيءُ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧)

المأ في الماضي البعيد كالحاضر القريب، ومأ الحاضر هم مستشارو الحكام المستبدين، الذين يزينون للحاكم سوء قوله أو سوء صنيعه، فيحرضونه على من يحكم ليؤذيهم بالسجن أو القتل أو قهرهم والسيطرة عليهم وإذلالهم، وهذا ما حصل من فرعون وملئه تجاه موسى وقومه، فأخبر تعالى عما تمألاً عليه فرعون وملؤه، وما أظهره لموسى ﷺ، وقومه من الأذى والبغضة: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧) أي: لفرعون ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ ﴾ (الأعراف: ١٢٧) أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، يا الله للعجب ! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون، ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا: ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧) أي: أتذره وقومه يفسدون وقد ترك عبادتك (3). ويفسر الشعراوي تحريض المأ على موسى وقومه بقوله أن "القوي حين يملك القدرة على الضعيف لا يشد الخناق عليه شداً ليفتك به؛ لأنه يعرف ضعفه، ويستطيع أن يناله في أي وقت، لكن لو كان الخصم أمامك قوياً فأنت ترهبه بالقوة حتى يخضع لك. وهنا يقول فرعون: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧) فرعون يؤكد لقومه أنهم مسيطرون وغالبون" (4).

1 قطب، في ظلال القرآن، (1352/3).

2 قطب، في ظلال القرآن، (1353/3).

3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (459/3).

4 الشعراوي، تفسير الشعراوي، (4305/7-4306)

الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. الفطرة السليمة البعيدة عن أي تشويه، تقود صاحبها إلى اعتناق الحق حين يتبين لها، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾.
 2. التكبر والغرور صفتان مذمومتان توردهما المالك ﴿عَامَنَّا بِهِ قَبْلَ أَنْ نَأْذَنَ لَكُمْ﴾.
 3. الحوار والمناقشة أساليب تربوية إنسانية حضارية راقية، بدل أسلوب الارهاب والتهديد ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾.
 4. من علامات الإيمان الحقيقي، التسليم والاتكال على الله تعالى، والثقة بما عنده ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.
 5. الإيمان بالله وآياته لا يعاب عند العقلاء بل هو أصل المناقب والمفاخر ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا﴾.
 6. الشدائد تصقل النفوس وترقق القلوب وترفع الدرجات ﴿رَبَّنَا أفرِّغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.
- آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون من إشارات

أولاً: الفطرة السليمة البعيدة عن أي تشويه، تقود صاحبها إلى اعتناق الحق ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾

(الأعراف: ١٢١)

حين خلق الله تعالى الخلق فطرهم على وجوده سبحانه، إلا أن الشياطين اجتالهم فضلتهم عن سبيله، وتبقى جذوة الحق الخاملة في النفوس تتحرك وتهيج وتظهر حين تلامس الحقيقة شغاف القلوب في لحظة صفاء أو في لحظة انكشاف الحقيقة أمام الفطرة المجردة فيحدث الرجوع إلى الحق بعد معرفته واستبانة أمره من الظواهر السلوكية لخلق حب الحق وإيثاره. والرجوع إلى الحق فضيلة من الفضائل التي دعا إليها الإسلام، وحث على الالتزام بها، وعمل على تربية المسلمين عليها، لذا وجب على الداعية أو المربي أن يتربى على اتباع الحق حين ينكشف له ويربي غيره على هذا الخلق. ووجد خلق الرجوع إلى الحق خلق الإصرار على الباطل، رغم انجلاء الغموض، ووضوح وجه الحق، وهذا لا يكون إلا من انحراف خلقي شائن، مدفوع بعوامل نفسية شتى، يدخل فيها الكبر، والاستعلاء، وحب الغلبة ولو بالباطل، وخوف الظهور مظهر ارتكاب الخطأ،.... والرجوع إلى الحق فضيلة خلقية راقية توجد عند أصحاب الفطر العالية من الناس، لأنهم

بفطرهم العالية لا يجدون في نفوسهم ما يصرفهم عن الاستجابة إلى الحق والرجوع إليه، فلا أنانية تصرفهم، ولا عصبية تصدهم، ولا عزة آثمة تحجبهم عن رؤية الحق⁽¹⁾.

ويقول أبو حامد الغزالي⁽²⁾ ما ملخصه:

أن من يتبع هواه وتسيطر عليه شهوته، ويُغشى على عقله بدافع التقليد الأعمى، لا يهتدي ولا يصل إلى الحق والحقيقة، أما الباحث عن الحق والحقيقة وإن اجتالته الشياطين أو غرته نفسه الأمارة بالسوء، فإنه مجرد ما تتكشف له الحقيقة ويناديه منادي الفطرة فإنه يرجع إلى ربه مؤمناً موحداً عابداً، لأن كل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق، لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف⁽³⁾.

ولذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ " . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: 30) " (4).

"أي أنه يولد على الفطرة السوية، وأبواه يجعلان هذه الفطرة تستقيم على طبيعتها السوية أو يعملان على انحرافها، وذلك حسب التوجيه الذي يوجهانه به، أو التربية التي يربيانها عليه... حقيقة أن المزاج الشخصي للطفل، ووراثاته القريبة والبعيدة من أبويه وأهله ذات أثر في تكوين شخصيته لا يمكن إغفاله"⁽⁵⁾.

1 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، (673-674).

2 محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الاسلام: قدم من بلاده إلى حلب، فيلسوف، متصوف،. مولده ووفاته في الطابران . صاحب الذكاء المفرد. تفقه ببلده أولاً، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلزم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين من كتبه البسيط، و"الوسيط"، و"الوجيز"، و"الخلاصة" في الفقه، و"إحياء علوم الدين"، وفي الأصول: "المستصفى"، و"المنحول"، و"اللباب"، و"بداية الهداية" وغيرها الكثير ت 505 هـ. (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،(62/11). سير أعلام النبلاء،(323/19). ابن العماد، شذرات الذهب،(195/7). الزركلي، الأعلام،(22/7).

3 الغزالي، إحياء علوم الدين،(14/3).

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، التفسير ، باب سورة الم، غلبت الروم، رقم(4479)،(4/1792)،.

مسلم، صحيح مسلم، كتاب، باب، معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم،(6926). (52/8).

5 قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1992م،(89/2).

ويقول ابن تيمية " فأنه سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً له وحده لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه وهذه كلها تغير فطرته التي فطره الله عليها وإن كانت بقضاء الله وقدره كما يغير البدن بالجدع ثم قد يعود إلى الفطرة، إذا يسر الله تعالى لها من يسعى في إعادتها إلى الفطرة والرسول صلوات الله تعالى عليهم بُعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها"⁽¹⁾.

ويرى ابن قيم الجوزية: أن الطفل غير مستقل بنفسه، ولذا لم يكن له بد من ولي يقوم بمصالحه، ويكون تابعا له، وأحق من نصب لذلك الألبان، إذ هما السبب في وجوده، وهم أحق بتربيته وتوجيهه، وكان من ضرورة ذلك أن ينشأ على دينهما كما ينشأ على لغتهما، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا موحدين مسلمين ربياه على التوحيد، فاجتمع له الفطرة الخلقية تربية الأبوين، وإن كانا كافرين أخرجاه عن الفطرة التي فطره الله عليها بتعليمه الشرك وتربيته عليه⁽²⁾.

ويذكر ابن القيم أن هداية الإنسان تكون بنور "الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع، والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة؛ بل يتصادقان ويتوافقان"⁽³⁾.

لذا كان من أهم أهداف التربية والتعليم في مجتمع صاعد كمجتمعاتنا العربية والإسلامية، أن يكسب الطلاب عادات التفكير الصحيح المبني على جمع الحقائق، والنقد الموضوعي، وحل المشكلات، والتفكير العلمي الموضوعي المجرد عن الهوى والأغراض الشخصية⁽⁴⁾. فمن هنا حارب الإسلام التقليد، ودعا إلى إطلاق العقل ليفكر، فتحرير العقل أساس الإيمان المحترم، والعقيدة المقبولة. وقلّ في الناس من يرزق العقل الحر الذي يتحرك فلا تنقله الموروثات الخاطئة⁽⁵⁾.

1 ابن تيمية، أمراض القلوب وشفائها، (ص26).

2 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف أحمد البكري، ط1 1997م، شاعر توفيق العاروري، دار ابن حزم، الدمام، (2/895).

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، اجتماع الجيوش الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م، (ص14).

4 صالح، أحمد زكي، علم النفس التربوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1979م، (ص514).

5 الغزالي، محمد، ليس من الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م (ص11).

وخلص ما تقدم أن الفطرة السليمة التي لم تخضع للتشويه والمسح، والتي لم تحرفها أفكار تربوية موروثة وخاطئة، تقود هذه الفطرة صاحبها إلى خالقه وبارئه، وهنا يأتي دور المربين والدعاة، بأن يدعو إلى تحرير نفوس الناس وعقولها؛ لتبقى الفطرة نقية صافية كما خلقها الله، لتخضع له سبحانه، وتنقاد إليه.

ثانياً: التكبر والغرور صفتان مذمومتان توردان صاحبهما المهالك ﴿ءَأَمْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ﴾

(الأعراف: ١٢٣)

التكبر والغرور من الأمراض النفسية الخطيرة والمدمرة، التي تضفي على صاحبها هالة وتضخيم لشخصيته؛ حتى يظن أن الله لم يخلق من البشر سواه، فيتباهى ويغبط الناس ويشوه جمال العلاقات الإنسانية، وفي هذا السياق يقول محمد الغزالي^(١): إن من أهم ما يميز الفكر التربوي الإسلامي تهذيب النفس الإنسانية، وبالذات النفسية الإسلامية؛ لترقى بأخلاقها وقيمها، وتتجرد من أمراضها المهلكة، ومن هذه الأمراض الخطيرة والفتاكة مرض التكبر والغرور، لذا كان من أهداف الإسلام الأولى تهذيب الأثرة في النفس، وجعل نظرة المسلم أرحب من ضيقها وإفهامه ان الحياة لم توجد له وحده كما أنه لم يوجد في الحياة وحده. وشعور الإنسان بحقوق الآخرين عندما يحس بحق نفسه، هو العاصم النبيل من سوءة الجشع والتطاول وحماقات الغرور والادعاء^(٢).

للقلوب معاصٍ كما للجوارح، بل معاصي القلوب أخطر من معاصي الجوارح، فالكبر أشد من السكر، مع أن الله تعالى عجل عقوبة للسكر في الدنيا بالجلد كباقي الحدود، إلا أنه أرجأ المتكبرين لتطأهم أقدام الناس لهوانهم على الله عز وجل، "وأشرُّ الشرِّ الذي لا خير فيه ولا قوام

1 ولد الشيخ محمد الغزالي في قرية "تكلا العنب" التابعة لمحافظة البحيرة بمصر في ونشأة في أسرة كريمة، وحفظ القرآن، وقرأ الحديث في منزل والده، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل به حتى حصل على الثانوية الأزهرية، ثم انتقل إلى القاهرة سنة 1356هـ والتحق بكلية أصول الدين، ثم تخصص في الدعوة، وحصل على درجة "العالمية" سنة (1362هـ) وبدأ رحلته في الدعوة في مساجد القاهرة. له مؤلفات كثيرة منها: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية، الإسلام المفترى عليه وغيرها الكثير، توفي في 1416هـ ودفن بالبقيع في المدينة المنورة. ينظر (أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، (ص284).

2 ينظر، الغزالي، محمد، ليس من الاسلام، (ص22).

لخير معه الكبر، وخير الخير الذي لا شر فيه التواضع، وهو أن تضع نفسك دون الناس، والكبر أن ترفعها فوق الناس، وما خير لعبد أثر على التواضع شيئاً⁽¹⁾.

وأما المغرور "فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره، مع جهله بالعاقبة، وذلك غاية الغرور"⁽²⁾.

كما أن "التعالي، والتكبر، والغرور من العقد التي لا يحبها الله وهي مهلكة للذات وللآخرين والإنسان منذ أن تتكون شخصيته وهو يحاول أن يتغلب على الشعور الطبيعي بالضعف، لأنه قد يقع من خلال عمليات المقاومة النفسية التي يدعوها علماء النفس بحيل التعويض إلى حب الشعور بالقوة والسيطرة والغرور والتعالي المرضي . وإذا لم توازن الأسرة والمربون بتربيتهم للأبناء من الشعور الفطري بالضعف ونزعة الشعور بالتغلب على هذا الضعف من خلال الحب وطلب القوة والسيطرة فقد تنحرف اهواء الابناء ورغباتهم الى الاستقرار في عقد التعالي والتكبر والغرور"⁽³⁾.

وعقدة التعالي والتكبر والغرور هي حالة نفسية تتكون لدى بعض المربين، مما ينعكس على نفسية بعض التلاميذ، فمثلاً التلاميذ في الصف يستمعون إلى الشرح نفسه من المعلم فإنهم يستوعبون المادة الدراسية بشكل مختلف، وذلك حسب الحالة النفسية التي يمثلها المعلم فإن كان مغروراً كان تأثيره أقل، وإن كان متواضعاً يكون تأثيره أكبر⁽⁴⁾.

ثالثاً: الحوار والمناقشة أساليب تربوية إنسانية حضارية راقية بدل أسلوب الإرهاب والتهديد

﴿ لَا فُطِنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الأعراف: ١٢٤)

يرى النحلوي أن: التعليم عن طريق الحوار أصبح أسلوباً تربوياً معتمداً، ومعناه تعليم الناشئ عن طريق التجاوب معه، بعد تحضير الأسئلة تحضيراً يجعل كل سؤال يُبنى على الجواب المأخوذ من المتعلم، على نحو يجعل المتعلم يشعر في نفسه بأن النتائج التي توصل إليها ليست جديدة عليه فيصل المتعلم إلى المعلومات التي يراد اقناعه بها دون عناء كبير، ودون أن يشعر أنها مفروضة

1 المحاسبي، آداب النفوس، (ص154)

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، (3/365).

3 عبد العزيز، مفتاح محمد، القرآن وعلم النفس، جامعة قار يونس بن غازي، ط1 1997م، (ص116).

4 ينظر ف.ف، بوغوسلوفسكي، وزميليه، علم النفس العام، ترجمة: جوهـر سعد، منشورات وزارة الثقافة،

دمشق، 1997م (ص10).

عليه، ودون أن يجد غرابة أو صعوبة في تلقي هذه المعلومات والافتتاح بها وتبنيها، فالمربي يُرجع إلى المتعلم ما أخذه منه بالاستجواب، بعد أن يُبنى عليه⁽¹⁾.

وأسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المعتمدة والمميزة في العملية التربوية، وهذا الأسلوب نقيض للسلطوية التربوية كما أن "السلطوية نقيض رئيس وعدو لدود للتربية، فالتربية تسعى لتفجير طاقات الفرد، بينما يعمل القهر على قتلها، وتهدف التربية إلى بناء شخصية الإنسان بشكل شامل، ومتكامل، ومتوازن، في حين ان الاضطهاد ينتج شخصية ضعيفة، ومشوهة، ومضطربة وغير متوازنة وتضع التربية نصب الأعين إعداد الفرد المفكر، والمبدع، والمتفوق أما الاستبداد فيؤدي الى تفويض مهارات الانسان، وشل قدراته، وتعطيل طاقاته"⁽²⁾.

فالحوار "دون التزام بضوابط أخلاقية أدنى إلى الثثرة، أو التهريج، أو العمل الصبباني"⁽³⁾.

كما أن الحوار في العملية التربوية يكون بطرح الأسئلة على التلاميذ ليثير انتباههم، ويحرك ذكاءهم، وينبه عقولهم، ويلفت نظرهم ليقنعوا بالفكرة المطروحة بالحوارة لا بالإكراه والتسلط وهذا الأسلوب التربوي المميز هو أيضاً أسلوب نبوي راقٍ وأخلاقي فكثير ما استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب في تربيته وتوجيهاته وإرشاداته، فعلى سبيل المثال لا الحصر⁽⁴⁾، يقول الرسول ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ «. قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا ذَرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ "⁽⁵⁾.

1 النحلاوي، عبد الرحمن، من أساليب التربية الإسلامية (التربية بالحوار)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م، (ص15).

2 السورطي، يزيد عيسى، السلطوية في التربية العربية، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2009م، (ص 8).

3 الشبخلي، أخلاقيات الحوار، (ص9).

4 ينظر، علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (712/2).

5 مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، رقم(6744). (18/8).

رابعاً: من علامات الإيمان الحقيقي، التسليم والاتكال على الله تعالى، والثقة بما عنده ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٥)

وفي قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٥) دعوة لأصحاب الدعوات إلى التوكل على الحي الذي لا يموت، لأن " ما يحقق النصر والغلبة لهم هو التوكل"^(١).
" والتوكل عمل القلب وعبوديته، اعتماداً على الله وثقة به، والتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضاً بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه، وحسن اختياره لعبده، إذا فوض إليه، مع قيامه بالأسباب المأمور بها، واجتهاده في تحصيلها"^(٢).
كما أن "التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم"^(٣)، والتوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى كفاية فان أُعطي شكر، وإنْ مُنِع صبر "^(٤).
والخلاصة: أنَّ على المري أن يطبق عقيدة التوكل في سلوكه اليومي، فيكون معتمداً على ربه مفوضاً أمره إليه، حتى يواجه شدائد الحياة بكل صبر ورجولة وثبات، ويربي تلامذته أو من يربيهم على هذه العقيدة التربوية الهامة، التي لا يستغني عنها داعية أو مربي أو معلم أو تلميذ.

1 ابن قيم الجوزية، إغائة اللفهان، (313/2).

2 ابن قيم الجوزية، الروح، (ص254).

3 ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (464/2)

4 الكردي، محمد أمين، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، دار الفكر، بيروت، 994م، (ص417).

خامساً: الإيمان بالله وآياته لا يعاب عند العقلاء بل هو أصل المناقب والمفاخر ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنَّا إِلَّا أَنَّا آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

وعكس الإيمان بالله تعالى الإلحاد، وهو إنكار الذات الإلهية، وجحود الرسالات السماوية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام، والاستهتار بكل القيم والفضائل المنسوبة إلى وحي السماء^(١). والإيمان يعني التصديق بالحقيقة الكبرى، واعتراف بالوجود الأعلى، وشعور بمنزلة الإنسان المحدود أمام رب واسع، بيده ملكوت كل شيء... ثم للإيمان بالله تعالى وظيفة تربوية مهمة وهي لا تنفك عنه، وهذه الوظيفة هي القوة الباعثة على العمل الصالح... وفراغ القلب من هذه العقيدة، معناه سقوط الأعمال التي تصدر عن الإنسان، إذ الإيمان بالله شرط صلاح العمل وقبول السعي^(٢). وأبرز ما يؤكد أهمية الإيمان أن التربية التي لا تركز عليه إنما هي تربية تهوي بالمتربين إلى الهاوية، لأن كل جهد أو عمل لا يقبل من الإنسان ما لم يكن قائماً على الإيمان الصحيح... لذلك فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان بل تقوم على التشكيك والظعن بل وفي بعض الحالات الانتكار للإيمان الصحيح والنقي والواضح المتمثل في الإيمان بالله تعالى^(٣).

سادساً: الشدائد تصقل النفوس وترقق القلوب وترفع الدرجات ﴿ رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفَنًا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

الطريق إلى الله تعالى والدعوة إليه، طريق شاق وطويل محفوف بالمكاره، لا يثبت عليه إلا من كان لهم حظ وافر من التربية الواعية والراسخة، الواعية بالفكرة وعياً تاماً وشاملاً، والراسخة في أعماق القلب والوجدان لا تلون ولا غدر ولا تخل عنها حتى ولو فنيت حياة المؤمن فيها لأن هذا الفناء هو عين البقاء" وأولو العزم من الرسل هم الذين ارتقت قوة إرادتهم في سبيل الله إلى مستوى العزم، الذين يستطيعون به تنفيذ ما يريدون مما يرضي الله تعالى، وهم يقارعون ويصارعون العقبات

1 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (2/909).

2 الغزالي، محمد، ليس من الإسلام، (ص155).

3 الحازمي، خالد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، المدينة المنورة، ط1، 2000م، (ص102).

الصلدة، ويتحملون الشدائد الكبرى بصبر وجلد، ولا يدخل الوهن إلى قلوبهم، ولو تعرضوا إلى الآلام التي لا تطاق، ولو استقبلوا من أجله مصارعهم^(١).

والأصل في الشدائد والمحن أنها تصقل النفوس وترقق القلوب وتهذب الطباع، فإذا لم تحدث هذه التأثيرات في نفس وسلوك الممتحن فيكون صاحب قلب قاس، وقسوة القلب "خلق ذميم قبيح ذو نتائج خطيرة على الفرد والمجتمع الإنساني والحياة كله، يجفّف في داخل النفس الإنسانية عاطفة الإحساس بآلام الآخرين وحاجاتهم، ويشتد هذا المرض ويشتد معه الجفاف النفسي، حتى ينعدم الشعور بالواجب الفطريّ نحو الخالق المنعم، الذي متى شاء سلب النعم كلها، ومنها نعمة الحياة. وفي هذه الحالة من حالات الجفاف النفسي تسمى القلوب مثل الحجارة التي لا ترشح بأي عطاء"^(٢).

ويعصور سيد قطب لنا مشهد أصحاب الأخدود كيف أن التهديد والوعيد وبعده التنفيذ لم يزداهم إلا إيماناً وتسليماً ولم يزداهم أيضاً إلا رفعة وعزة" وقد ارتفع الإيمان بهذه القلوب على الفتنة، وانتصرت فيها العقيدة على الحياة، فلم ترضخ لتهديد الجبارين الطغاة ولم تفتن عن دينها"^(٣).
ويدع السياق فرعون وملاه يتآمرون ، ويسدل الستار على مشهد التآمر والوعيد ليبدأ مشهد موسى عليه السلام مع قومه وهو يحثهم على الاستعانة بالله والصبر.

المطلب الخامس: مشهد موسى عليه السلام مع قومه وهو يحثهم على الاستعانة بالله والصبر
قال تعالى:

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّكَ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)

إنها رؤية «النبى» "الحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه...وما يرجوه منها الصابرون ..إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد ، وهو الملاذ الحصين الأمين،... وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه. ألا يعجلوا ... وإن الأرض

1 الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (ص 113-114-115-)

2 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها،(80/2).

3 قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1979م (ص174)

للّه. وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها. واللّه يورثها من يشاء من عباده،... وإن العاقبة للمتقين ..
طال الزمن أم قصر .. فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير»(1).

بهذا الأسلوب المؤثر البليغ ، وبهذه الوصايا الحكيمة ، وصى موسى ﷺ قومه بنى إسرائيل فماذا كان ردّهم عليه؟ لقد كان ردّهم يدل على سفاهتهم، فقد قالوا له ﴿ قَالُوا أَوَدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: 129)

يتبين من خلال الآيات أن بني إسرائيل ردواً رداً سيئاً ووقحاً؛ وذلك بعد سماعهم تهديد فرعون ووعيده، وردّهم هذا فيه إساءة الظن بالله تعالى وتطاول على عظّمته وجلاله، كما أن فيه تشكيك في رسالة موسى ﷺ ودعوته؛ بأن لا فائدة في هذه الرسالة وفي هذه الدعوة، طالما اننا تعرضنا للإيذاء قبل نبوتك وستعرض لها بعد ذلك، فكان رد بني إسرائيل رداً قبيحاً على موسى من بعد تهديد فرعون لهم، فقالوا لموسى أصابنا الأذى من فرعون من قبل أن تُرسل إلينا، فقد الكثير من أبنائنا وأدافنا العذاب ألواناً، وبعد ما جئت بالرسالة زاد تهديده ووعيده لنا فما الذي جنيناه من منك ومن رسالتك؟

ومع هذا الرد السفیه والقبيح من قوم موسى ﷺ ، نراه يرد عليهم بما يليق به فيقول ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ ﴾ (الأعراف: 129) فرعون الذي فعل بكم ما فعل من أنواع الظلم ، وتوعدكم بما توعد من صنوف الاضطهاد . ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: 129) للامتحان والاختبار فإن أحسنتم واستقمتم على الطريق، زادكم الله من نعمه وفضله، وإن أسأتم كان مصيركم مصير فرعون وقومه، ﴿ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: 129) أي : فيرى الله تعالى أعمالكم حسنّها وقبيحها فيجازي على كل فعلٍ ما يناسب وهو صاحب العقاب والثواب، إن شاء عاقب وإن شاء غفر،

وفي التعبير ﴿ عَسَىٰ ﴾ (الأعراف: 129) ما يدل على الرجاء وما يدل أيضاً على أدب موسى مع ربه وما يجب على المربين تعلم هذا الخلق السامي والراقي، كما في هذا التعبير منعاً لهم من الاتكال وترك العمل ، لأنه لو جزم لهم في الوعد فقد يتركون السعي والجهد اعتماداً على ذلك (2).

1 قطب، في ظلال القرآن،(3/1355).

2 ينظر، طنطاوي، التفسير الوسيط،(5/157). النسفي، أبو البركات عبد الله، تفسير النسفي، تحقيق :

مروان محمد الشعار، دار النفائس . بيروت 2005م، (2/63).

ويؤكد تلك المعاني سيد قطب الذي يصف لنا المناظرة بين موسى وقومه بأنها "كلمات ذات ظل! وإنها لتنشي بما وراءها من تبرم! أوذينا قبل مجيئك وما تغير شيء بمجيئك. وطال هذا الأذى حتى ما تبدو له نهاية! ويمضي النبي الكريم على نهجه. يذكرهم بالله ، ويعلق رجاءهم به ، ويلوح لهم بالأمل في هلاك عدوهم" (1).

ويأتي الكلام حول هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. طلب العون من الله تعالى نهج المربي المسلم في كل الظروف والأحوال ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾
2. العاقبة للمتقين فلا يخالج قلوب والمربين الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الرجاء والأمل والتفاؤل صفات لا تتفك عن الداعية المسلم في جميع مراحل حياته ﴿عَسَى﴾
3. ثالثاً: الرجاء والأمل والتفاؤل صفات لا تتفك عن الداعية المسلم في جميع مراحل حياته ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)
4. الاستخلاف في الأرض للامتحان والاختبار ليحي من حي عن بينة وليهلك من هلك عن بينة ﴿فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

الفرع الثاني: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: طلب العون من الله تعالى نهج تربوي عند الداعية المسلم في كل الظروف والأحوال، ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ (الأعراف: ١٢٨)

فالإنسان ضعيف وعاجز إذا أوكله الله إلى نفسه، أما إذا استعان بالله وتوكل عليه فهو أقوى من كل قوي على هذه الأرض؛ لأنه استمد قوته من قوة القوي التي تصغر وتتضاءل أمامها كل قوى

1 قطب، في ظلال القرآن، (3/1355).

الأرض وإن بدت متوهمة بأنها قوية لا تقهر فمن خلال ما تقدم يتبين أنه " لا نجاة من مصايد الشيطان ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان" (1).

فان تحرر الوجدان من شعور العبادة والخضوع لعبد من عباد الله، وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله، مستعيناً به متوكلاً عليه لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة، ولا بشعور الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة (2).

ويقول الرسول ﷺ في حديث " اُخْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ" (3). فأمره بالحرص على الأسباب والاستعانة بالمسبب ونهاه عن العجز وهو نوعان: تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها فالدين كله ظاهره وباطنه شرائعه وحقائقه تحت هذه الكلمات النبوية (4).

والاستعانة تجمع أصليين "الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به؛ لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به، لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به" (5).

وأخيراً "إذا حصلت الاستعانة بالله واستهداؤه ودعاؤه والافتقار إليه أو سلوك الطريق الذي أمر بسلوكها هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" (6).

ثانياً: العاقبة للمتقين فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)

هذه الإشارة التربوية فيها طمأنينة وراحة للدعاة إلى الله، وللمربين الأمناء، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله؛ بأن العاقبة لهم؛ وأن نهاياتهم سعيدة؛ برغم ما يلاقون في الدنيا من هم وغم؛ لأن النفوس المؤمنة المخلصة تطلع دائماً إلى النهايات والأواخر؛ ولهذا قال

1 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (5/1).

2 قطب، سيد، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، 1982م، (ص36).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم (6945). (56/8).

4 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (501/3).

5 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (75/1).

6 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصغدية، حقيق: محمد رشاد سالم، (295/1).

موسى عليه السلام للسحرة (ألقوا) فلما رأى الناس فعلهم تطلعو الى ما يأتي بعده، وأيضاً أن الله سبحانه آخر أفضل الكتب والأنبياء والأمم الى آخر الزمان وجعل الآخرة خيراً من الأولى والنهايات أكمل من البدايات"⁽¹⁾.

والعاقبة تكون عند الساعات الأخيرة من رحيل الإنسان، وعندها يُكرم المرء أو يهان، والخلاصة: أن المرابي العاقل، والداعية الحكيم، هو من يربي نفسه وغيره على النظر في النهايات، والتفكير بها، والتذكير الدائم بها ليبقى المرابي والمرابي على حذر ووعي وإدراك.

ثالثاً: الرجاء والأمل والتفاؤل صفات لا تنفك عن الداعية المسلم في جميع مراحل حياته

﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن فقال "لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيَعْجِبُنِي الْفَأَلُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ"⁽²⁾.

"وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل، ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة"⁽³⁾.

ويشير متن الحديث إلى أن التشاؤم من الزمان أو المكان أو الحيوان، ليس من التربية الإسلامية الصحيحة، وإن التطير أمر محرم في الشريعة، وأن الفاعل المطلق، والمؤثر الحقيقي هو الله وحده، فعلى المرابي المسلم أن يمضي إلى غايته، وأن يتوكل على الله في الوصول إلى هدفه دون أن يردّه شؤم، وأن يقعه عن العمل تطير⁽⁴⁾.

والأفضل بل الأوجب في حق الداعية والمرابي أن يعيش في حياته بين الرجاء والخوف، فلا يُفرط في الرجاء خشية أن يطمئن لأعماله حتى ولو كثرت؛ لأن كل عمل مهما بلغ مقابل نعم الله ورحمته ومثته وكرمه عمل تافه ضئيل قليل، كما أنه لا يبالغ في خوفه من ذنوبه مع الاستغفار، حتى لا يقنط، ومن هنا كان لا بد من "الخوف على قدر الذنوب، فلو كان الرجاء يستقيم بلا عمل لكان المحسن والمسيء في الرجاء سواء... فأما من عرف نفسه بكثرة الإساءة فينبغي أن يكون خوفه على قدر ذلك، ورجاؤه على قدر ما يعرف من نفسه من الإحسان"⁽⁵⁾.

1 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص64).

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب السلام، باب الفأل، رقم(5424). (2171/5). مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، رقم،(5933). (33/7).

3 الغزالي، إحياء علوم الدين، (4/544).

4 علوان، تربية الأولاد في الإسلام،(2/981).

5 المحاسبي، آداب النفوس (ص69).

فأما من " خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره في خطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه"⁽¹⁾.

مع أن " الرجاء لذيد، واليأس مؤلم، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو"⁽²⁾. وأخيراً يقول الشعراوي ما ملخصه:

إن الرجاء ورد ما يدل عليه في آيات سورة الأعراف بكلمة (عسى)، (وعسى) تفيد الرجاء، بمعنى أن ما يأتي بعدها يرجوه الناس، وهي غير التمني فالتمني، هو أن تطلب أمراً مستحيلاً، تعرف أنه لن يتحقق. وأداة التمني (ليت) بينما أداة الرجاء (عسى).

وموسى رسول مرسل لهداية قومه، مؤيد بمعجزات، فكان هذا موقفه فلن يرد الله له رجاء، ويكون الرجاء منه مقبولاً، اذا فالحديث هنا هو رجاء محقق الوقوع⁽³⁾.

والخلاصة: أن المري والداعية يجب أن يربي نفسه وغيره على البشر والتفاؤل والأمل لا على الإحباط واليأس والقنوط والاكتئاب.

رابعاً: الاستخلاف في الأرض للامتحان والاختبار؛ ليحيا من حيٍّ عن بينة وليهلك من هلك عن

بينة. ﴿فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩)

من سنة الله تعالى أنه جعل الناس مستخلفين في الأرض، لاستعمارها مادياً وروحياً، وتتعرض حياة الإنسان فيها لشتى أنواع الابتلاءات؛ ليمحصهم ويربيهم، فمن هنا كانت وما زالت " العلاقة التي تربط انسان التربية الاسلامية بالحياة هي علاقة ابتلاء، والابتلاء معناه الامتحان أو الاختبار. أي اختبار مدلول العبادة بمظاهرها الثلاثة : المظهر الشعائري، والاجتماعي، والكوني . فالابتلاء: هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله والإنسان"⁽⁴⁾.

ويقول ابن قيم الجوزية في هذا السياق: "إن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبئليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته، ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بغير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من

1 الغزالي، إحياء علوم الدين، (330/1).

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، (279/2).

3 الشعراوي، محمد متولي، قصص الأنبياء والمرسلين، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، ط2، 2001، (361-362).

4 الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الاسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، 1998م (ص174).

غشه، إلا بالامتحان، إذ النفسُ في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخُبث ما يحتاجُ خروجه إلى السَّبكِ والتصفية، فإن خرج في هذه الدار، وإلا ففي كِير جهنم، فإذا هُدِّب العبدُ ونُقِّي، أُذِنَ له في دخولِ الجنة⁽¹⁾.

ويرى أيضاً "إن عبادته وذكره وشكره تكليف ومشقة لمجرد الابتلاء والامتحان،... بل عبادته ومعرفته وتوحيده وشكره قرّة عين الإنسان، وأفضل لذة للروح والقلب والجنان"⁽²⁾.

ومن أهداف الابتلاء، تذكير المعاندين والعصاة بسوء ما ارتكبوا من معاصٍ؛ لعلمهم ينيبون إلى الله تعالى أو يرجعون، وفي التربية الحديثة، الهدف من العقاب المنضبط تربوياً، هو التأديب ورد المخالفين إلى الصواب، كما أن العقاب وسيلة من وسائل التربية في الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك لأهمية هذا الأسلوب في العملية التربوية.

لذا فإن "إتمام الأعمال، يستحق الإطراء دائماً، ولكن من المؤكد لا ينبغي دائماً أن نرشو الطفل ليكون ولداً طيباً، أو ليضطلع بمسؤولياته"⁽³⁾.

والخلاصة: أن الابتلاء هو سنة ربانية، وقيمة تربوية، تربي النفس وتمحصها هل تشكر أم تكفر، وهل تصبر أم تجزع، وهل تحسن الظن بالله أم تسيء، وبهذا النهج التربوي يتمايز المربي والمُربي، والمعلم والتلميذ، والداعية والمدعو، بل جميع أفراد المجتمع، تُعرف معادنتهم وولاءاتهم.

المطلب السادس: مشهد فرعون وآله يأخذهم الله بعاقبة الظلم والطغيان، ويحقق وعد موسى عليه السلام بقومه.

الثواب والعقاب أساليب تربوية تحدثت عنها الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، وإن اختلفت هذه الأساليب في بعض أشكالها ومضامينها بين التشريع والقانون، وفي موضوع هذه الدراسة التي نتحدث عن الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام ومن خلال الآيات الآتية، سنتعرف على

1 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994م، (18/3).

2 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان، (31/1).

3 فوستر، كونستانيس: تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط4، 1990م

العقوبات التي أرسلها الله على فرعون وقومه وأنواعها ودلالاتها التربوية وما يتوقع للمربي المسلم أن يستفيد منها ويُفيد، يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَنْزِلَ عَلَيْنَا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ وَلَنْزِلْنَا عَلَيْكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِلِغْوِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا ۗ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ (الأعراف: ١٣٠ - ١٣٧)

وبآتي تفصيل هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين في الآيات

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠) "إنها إشارة التحذير الأولى .. الجذب ونقص الثمرات .. و«السنين» تطلق في اللغة على سني الجذب والشدة والقحط. وهي في أرض مصر ، المخصبة المثمرة المعطاء ، تبدو ظاهرة تلفت النظر ، وتهز القلب ، وتثير القلق ، وتدعو إلى اليقظة والتفكير لولا أن الطاغوت والذين يستخفهم الطاغوت... فيطيعونه ، لا يريدون أن يتدبروا ولا أن يتفكروا" (1). ويقول أبو حيان الأندلسي: "الأخذ: التناول باليد، ومعناه هنا الابتلاء في المدة التي كان أقام بينهم موسى يدعوهم إلى الله" (2).

1 قطب، في ظلال القرآن،(3/1356).

2 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،(4/369).

وأما البغوي⁽¹⁾ فيرى أن الأخذ بالسنين هو العقوبة بالجذب والقحط ونقص الثمرات، أي المزروعات تصاب بالآفات والعاهات. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠) أي: يتعظون؛ وذلك لأن الشدة تترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل⁽²⁾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ (الأعراف: ١٣٠) وهكذا فإن الإهلاك لم يحدث دفعة واحدة؛ بل على مراحل؛ لعلهم إذا أصابتهم شدة يضرعون إلى الله. والسنة هي العام أي من مدة إلى نهاية مدة مثلها، إلا أنها تطلق على الجذب والقحط. ولذلك يقول الرسول ﷺ في دعائه على قومه: اللهم اجعلها سنين كسني يوسف⁽³⁾ وفي رواية أخرى "اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف"⁽⁴⁾. أي "أن ينزل بهم سبحانه بعضاً من الجذب ليتأدبوا قليلاً"⁽⁵⁾.

وكانوا _ أي قوم فرعون _ إذا وسَّعَ اللهُ تعالى عليهم في الرزق والعافية والخصب ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَلَرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١) ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ أي الخصب والسعة. ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي أعطيناها باستحقاق. ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي قحط ومرض ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى﴾ أي يتشاءموا به⁽⁶⁾.

غريب أمر هؤلاء القوم _ قوم فرعون _ على الرغم من ابتلائهم بالخير والشر، ومعايشتهم السعة والعافية والرغد من العيش، كما عايشوا العقوبات التي حلت بهم؛ وهي آيات بينات معجزات؛ لعلهم يعودون إلى رشدهم، ويتقون الله ربهم، فيشكروا على النعماء، ويصبروا على الضراء، إلا أنهم

1 الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، كان إماماً في التفسير والحديث والفقاهة تفقه على القاضي حسين، . من

تصانيفه: معالم التنزيل في التفسير، مصابيح السنة، التهذيب في فروع الفقه الشافعي، شمائل النبي المختار،

والجمع بين الصحيحين 510 هـ. (معجم المؤلفين، (61/4). الزركلي، الإعلام، (259/2).

2 البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وزميليه، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م، (268/3).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب دعاء النبي ﷺ رقم(961). (341/1).

4 (مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب، استحباب القنوت، رقم، (1574)، (135/2).

5 الشعراوي، تفسير الشعراوي خواطر، (4321/7).

6 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (264/7). الزمخشري، الكشاف، (136/2)، الرازي، تفسير الفخر الرازي،

(2043/1).

قالوا: ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٢)، وما أجمل ما وصفه لنا سيد قطب في المشهد من هذه الآية الكريمة حيث يقول: إنه "الجموح الذي لا تروضه تذكرة، ولا يرده برهان، ولا يريد أن ينظر، ولا أن يتدبر؛ لأنه يعلن الإصرار على التكذيب قبل أن يواجه البرهان ... وهي حالة نفسية تصيب المتجبرين حين يدمغهم الحق وتجههم البينة ، ويطاردهم الدليل" (1).

ويقول الشعراوي في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٢) ما ملخصه: ولو كانت الآيات التي جاء بها موسى ﷺ سحراً لَسَحَرَكُم واستراح دون أن يأتي ببينة أو دليل، وأنت ساعة تسمع كلمة «مهما» تعرف أن هناك شرطاً، وله جواب، ويقول العلماء: إن أصلها «مه» أي كُفَّ عن أن تأتينا بأية آية فلن نصدقك. وهذا يعني أن هناك إصراراً وعناداً على عدم الإيمان (2). ويرى طنطاوي أن منطقهم هذا يدل على منتهى العناد والجحود؛ فهم صاروا في حالة نفسية لا يُجدي معها دليل، ولا ينفع معها إقناع؛ لأنهم جاهروا بالتكذيب؛ وأصروا عليه، حتى لو جاءهم موسى ﷺ بأدلة دامغة متعددة ومتنوعة وكثيرة، وهذا شأن المنكبرين العتاة الذين قست قلوبهم، وأظلمت مشاعرهم ومسخت نفوسهم (3).

فكان إذاً لا بد من معاقبة المسيء، لعله يتذكر أو يخشى، فأرسل الله تعالى ﴿ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٣)

ثم حكى السورة الكريمة ما حل بهؤلاء الفجرة من عقوبات جزاء عتوهم وعنادهم فقالت: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٣): فأرسلنا على هؤلاء الجاحدين عقوبة لهم الطوفان، وبعد ذلك أرسل عليهم الجراد فأكل الزروع والثمار، حتى أصبحت أرضهم جرداء لا نبات فيها ولا أعشاب، وبعد ذلك أيضاً أرسل الله عليهم القُمَّل الذي هو السوس الذي أكل حبوبهم وأتلفها، كما أرسل الله عليهم الضفادع، فصعدت من الأنهار والخلجان والمنايع فغطت الأرض وضايقتهم في معاشهم ومنامهم . وآخر تلك العقوبات عقوبة الدم فصارت مياه الأنهار مختلطة به فأصبحت حياتهم صعبة لا تطاق، تلك هي العقوبات التي أرسلها الله تعالى على قوم فرعون على مراحل وفترات من الزمن، ومع ذلك لم يزدادوا إلا طغياناً وكفراً، مع أنها آيات بينات واضحات لا يشك عاقل في أنها في كونها آيات إلهية وقيل ﴿

1 قطب، في ظلال القرآن، (1385/3).

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، خواطر، (4318/7)، .

3 الطنطاوي، الوسيط، (162/5).

ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴿ (الأعراف: ١٣٣) أي : مميّزاً بعضها عن بعض ، منفصلة بالزمان لامتحان أحوالهم . ثم وضحت الآية في نهايتها موقفهم من هذا الابتلاء وتلك العقوبات فقالت : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٣) أي فاستكبروا عن الإيمان بموسى و عما جاء به من معجزات وطبيعتهم الإجماع والتمرد على أوامر الله ونواهيهِ (1).

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الأعراف: ١٣٤)

والرجز يعني العذاب المفصل الموجب للاضطراب، فطلبوا من موسى أن يدعو ربه ولم يقولوا ربنا، كبيراً وشماخه ﴿ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ (الأعراف: ١٣٤) أي من النبوة التي منها هذا البر الذي تراه يصنعه بك؛ ثم أكدوا العهد بقولهم استئنافاً أو تعليلاً : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ (الأعراف: ١٣٤) أي العذاب الذي اضطربت قلوبنا وجميع أحوالنا له ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾ (الأعراف: ١٣٤) أي لنجعلك آمناً من التكذيب بإيقاع التصديق ، ويكون ذلك خالصاً لأجلك وخاصاً بك) ﴿ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الأعراف: ١٣٤) أي في صحبتك (2).

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الأعراف: ١٣٤)

ويقول الشعراوي ما ملخصه:

طلب قوم موسى منه أن يرفع عنهم العذاب الذي حلّ بهم، وذلك بما أعطاه الله من النبوة التي هي السبب في الاستجابة لموسى من ربه، فإن استجاب ربك لك، وكشفت عنا ما نحن فيه من العذاب، لنؤمنن بك، ولنصدق ما جئت به، ولنرسل ونطلق معك بني إسرائيل، وقد كانوا يستخدمونهم في أخط وأرذل الأعمال (3).

1 ينظر ، طنطاوي، الوسيط، (164/5)

2 البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية، 1995م، بيروت (91/3).

3 ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي خواطر، (4322/7).

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَازَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٥) أي فلما رفع الله تعالى عنهم العذاب " إلى أجل هم بالغوه، أي إلى حد من الزمان هم واصلون إليه ولا بد فمعذبون فيه أو مهلكون، إذا هم ينكتون أي ينقضون العهد" (1).

بعد هذا الحلم العظيم عليهم من رب رحيم كان لا بد من الانتقام منهم؛ جزاء كفرهم وفسقهم وتمردهم على جلال الله تعالى وعظمته، فقال تعالى: ﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٦)

وكان الانتقام " بضربة واحدة ، فإذا هم هالكون. ومن التعالى والتطاول والاستكبار ، إلى الهوي في الأعماق والأغوار ، جزاء وفاقاً ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٦) فيربط بين التكذيب بالآيات والغفلة عنها ، وبين هذا المصير المقدر. ويقرر أن الأحداث لا تجري مصادفة ، ولا تمضي فلتات عابرة ، كما يظن الغافلون (2).

ويقول طنطاوي (3) في تفسير انتقام الله تعالى من فرعون وقومه ما ملخصه: إن الله تعالى انتقم منهم بعد بلوغ الأجل الذي أُعطي لهم، ليرجعوا عن إصرارهم على الكفر والعناد، إلا أنهم أصروا على عصيانهم، فأهلكهم بأن أغرقهم في اليم - أي البحر - ، وذلك بسبب تكذيبهم لآيات الله الواضحة ، وبراهينه الساطعة ، وكانوا عنها غافلين بحيث لا يتدبرونها ، ولا يتفكرون فيما تحمله من عظات وعبر (4).

وهكذا يسدل الستار على مشهد الهلاك والدمار (5) الذي حل بقوم فرعون، ويأتي المشهد الآخر المقابل، وهو مشهد الاستخلاف والعمار للقوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها من

1 الألويسي، روح المعاني، (9/36).

2 قطب، في ظلال القرآن (3/1360).

3 طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، ولد في قرية سلّيم، محافظة سوهاج ، 28 أكتوبر 1928م شيخ الجامع الأزهر من سنة 1996 لغاية وفاته في 10 مارس 2010م لُقّب بـ " الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ". نال تعليمه الديني و هو صغير في الإسكندرية. نال الدكتوراه في علوم التفسير و الحديث بدرجة امتياز سنة 1966م ، و اشتغل مدرساً في كلية أصول الدين في القاهرة ، و في 28 أكتوبر 1986م عُين مفتياً للديار المصرية ، و في سنة 1996م أصبح شيخاً للأزهر . <http://arz.wikipedia.org/wiki/>

4 ينظر ، طنطاوي، الوسيط، (1/1678).

5 قطب، في ظلال القرآن، (3/1361)

بني اسرائيل، وسنعيش هذا المشهد مع الآية التي توصفه لنا فقال تعالى: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧)

يقول الزمخشري ما ملخصه:

إن بني اسرائيل هم القوم الذين كانوا يُسْتَضَعُونَ من فرعون وقومه، وبعد هذا الاستضعاف أهلك الله فرعون وقومه بالغرق، ومكن لبني اسرائيل في أرض مصر والشام، وتصرفوا كيف شاؤوا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية، وهذه الأرض هي أرض بارك الله تعالى بخصوبة أرضها وسعة رزقها، وبكونها مساكن الأنبياء والصالحين ليكون ذلك امتحاناً لهم ، واختباراً لنفوسهم ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الأعراف: ١٣٧) وكلمة ربك الحسنی هي قوله تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (القصص: ٥) إلى قوله: ﴿ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: 6) ومعنى تمت على بني اسرائيل : مضت عليهم واستمرت بسبب صبرهم، وفي ذلك إشارة تربوية مهمة؛ وهي أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ، ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج . (يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ) ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور، أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء .و يعرشون من غرس الأشجار (1).

وجمع سبحانه" بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجده ، والمراد بهم بنو اسرائيل ، وذكروا بعنوان القوم ، إظهاراً لكمال اللطف بهم ، وعظيم الإحسان إليهم، حيث رفعوا من حضيض المذلة إلى أوج العزة" (2).

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. الثواب والعقاب أسلوب تربوي أقرته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ .
2. المرابي الناجح الذي ينسب كل توفيق إلى ربه، وكل تعثر وإخفاق إلى نفسه. ﴿ فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ .
3. الطيرة والتشاؤم من أخلاق الجاهلية ﴿ يَطِيرُوا ﴾ .

1 ينظر، الزمخشري، الكشاف، (2/140). الثعالبي، الكشف والبيان،(4/273). الواحدي، الوجيز، (ص410).

2 طنطاوي، تفسير الوسيط،(1/1679)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (3/266).

4. الإصرار والعناد على عدم الإيمان حالة نفسية تصيب المتجبرين حين يدمغهم الحق ويطاردهم الدليل ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

5. الصبر وأثره التربوي على المرابي والداعية ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾

الفرع الثالث: آراء المفسرين فيما استنبطه التربويين من إشارات

أولاً: الثواب والعقاب أسلوب تربوي أقرته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ (الأعراف: ١٣٠)

الثواب والعقاب أسلوب تربوي فاعل ومهم في العملية التربوية بشقيها التعليمي والتربوي، بمعنى أن على المرابي أن يستخدم سياسة ذي القرنين التي تقوم على الجزاء من جنس العمل، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ نُرِيدُ إِلَىٰ رَبِّهِ فِئَاجَهُ، عَذَابًا نَّكَرًا﴾ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنَّا مِنَّا يُسْرًا﴾ الكهف (٨٧ - ٨٨)، وإلا لتساوى المحسن والمسيء، والمجتهد والكسول، والأمين والخائن، وهذا ليس من التربية الصحيحة في شيء، ففكرة الثواب والعقاب وجدت مع الإنسان منذ أن وجد نفسه على هذه الأرض، فهو يرجو الخير لنفسه نظير أي عمل يقوم به في أسرته الصغيرة أو في مجتمعه الكبير، وهو في الوقت ذاته ينتظر العقوبة جزاء أي عمل مشين يقوم به كالقتل والسرقه وغير ذلك،... لذا فإن نار فكرة الثواب والعقاب ترد في مختلف العقائد الدينية، السماوية منها وغير السماوية كالبودية والزرادشتية والهندوسية وغيرها،^(١).

"وقد كان العقاب معروفاً في الممارسات التربوية منذ العصور القديمة كوسيلة لحفظ النظام، وحمل التلميذ على التعليم . إلا أن الثواب كان ينظر إليه أيضاً على أنه وسيلة أفضل .. ودعا كثير من المرابين على مختلف العصور على تفضيل استخدام أسلوب الثواب على أسلوب العقاب. والواقع أن العقاب كوسيلة للتأديب والتهديب شرعته الأديان والقوانين المدنية، والإسلام شرع العقاب لما فيه من صلاح حياة الناس واستقرار أمورهم"^(٢).

1 اللباني، عيسى ابراهيم، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، 2009، (ص88-89)..

2 مرسى، محمد منير، أصول التربية الثقافية والفلسفية، عالم الكتب، القاهرة، 1979م، (ص138).

ويرى بعض التربويين المعاصرين: أن العقاب ليس وسيلة تربية مجدية وراعدة ومفيدة للإنسان المُعاقَب مع أهمية هذا الأسلوب، إلا أن تأثير هذا الأسلوب يُعتبر في عملية التعلم غير مطرد، فقد يجعل استجابة المُعاقَب أكثر أو أقل احتمالاً، بل يُعتبر أن التعلم الذي يتم تحت تأثير المكافأة خير منه يتم تحت سيطرة العقاب. كذلك يظهر أن النتائج الاجتماعية التي تتألفها الشخصية في جو المكافأة أفضل من تلك التي تصيبها في جو العقاب. وتحديدًا من الناحية النفسية قد يجر على المتعلم عواقب وخيمة، فيجعله مثلاً ينفّر نفوراً شديداً من الظرف المؤلم، ويحول دون المزيد من التعلم، ويصيبانه باضطراب العلاقة الطيبة القائمة بينه وبين المعلم والتعلم عامة، ويفقدانه المقدرة على اكتشاف الاستجابة الصحيحة وتثبيتها. أما المكافأة، أو التقوية الصحيحة، التي تؤدي إلى تعلم مجد فعّال فهي تلك التي تبعث في النفس رضى وارتياحاً يصدران عن بلوغ المتعلم. هؤلاء الأولاد هم بأمر الحاجة إلى معلم بارع، صاحب شعور مرهف، يتفهم أحوالهم، ويحلل مشكلاتهم، ويدرك حاجاتهم ويحيطهم بعطفه⁽¹⁾.

إلا أن عبد الله علوان يختلف مع (حنا غالب) في نظريته لأسلوب العقاب؛ فيرى أن المربي حين يعاقب الولد المسيء حتى أمام إخوته وأقرانه، يكون لهذا الأسلوب التربوي أثر بالغ وهام في ردع المسيء، فيعتبر الولد ويتعظ مما حل بزميله؛ خشية أن يصيبه ما أصابه، بل ويرى علوان أن العقوبة اللفظية إن لم تجد مع المرءى، يتدرج في العقاب إلى حد العقوبة الجسدية بمعنى الضرب غير المبرح، وإذا لم يجد الضرب غير المبرح يستخدم الضرب المبرح، حتى ولو كان أمام زملائه؛ لأنه أجدى في الردع مع مراعاة الضوابط الشرعية في الضرب، كتجنب الأماكن المؤذية في الجسم كالرأس والوجه والصدر، وبعد هذا العقاب ينبغي على المربي أن يستلطفه وينبسط له ويشعره بالحنان وأن هذه العقوبة هي حبّ فيك وحرص عليك لا انتقام منك ساعتئذ لا يتعد الولد نفسياً كما يرى حنا غالب. ⁽²⁾

وفي الحديث: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ". ⁽³⁾ يتعلم الطفل هذا الحديث، وهو الآن يعرف أنه قد بدأ مرحلة المواظبة على الصلاة ولهذا ينصح بعض المربين أن يكون يوم بلوغ الطفل السابعة من عمره حدثاً متميزاً في حياته .

1 غالب، حنا، التربية المتجددة وأركانها، (434ص).

2 يُنظر، علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (767/2-768=769)

3 السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت، (185/1). قال الألباني

حسن صحيح.

لقد خصص النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات متواصلة لتأصيل الصلاة في نفوس الأبناء، ونكرر طلب الصلاة من الطفل باللين والرفق والحب ، وهذا يوضح لنا أهمية التكرار في العملية التربوية بما يناسب من بشاشة الوجه وحسن اللفظ ويظل الوالدان القدوة العملية أمام الطفل دائماً ومن الضروري أن نكرر دائماً في مرحلة السابعة على مسمع الطفل حديث رسول ﷺ الذي حدد مبدأ الضرب بعد العاشرة تحذيراً من التهاون في الصلاة ، فإذا ما أصر بعد ذلك على عدم المداومة على الصلاة فلا بد أن يعاقب بالضرب ، ولكن يظل الضرب معتبراً بالشروط التي حددها الرسول الكريم ﷺ إذا نشأ الطفل في بيئة صالحه. والذي يراه الباحث ودلت عليه آيات القرآن وأشارت إليه السنة النبوية: أن العقوبة بكل أشكالها اللفظية والمعنوية والجسدية كلها ضرورات تربوية، بشرط أن تُستخدم كل عقوبة في وقتها ومناسبتها وشروطها وضوابطها، وعدم المبالغة فيها، وإذا استخدمت بالشروط التي ذُكرت فلن يتأذى الولد نفسياً، ولا يحقد، ولا يكره، ولا يُحبط، وإن حصل منه ذلك تكون المشكلة في تركيبة الولد النفسية والذهنية، لا في الأسلوب التربوي المشروع والمقر من كل الجهات التربوية ومصادرها والمربين القدامى منهم والمعاصرين.

ثانياً: المربي الناجح الذي ينسب كل توفيق إلى ربه وكل تعثر وإخفاق إلى نفسه.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ (الأعراف: ١٣١)

من أدب المربي والداعي أن ينسب كل خير إلى ربه، وكل شرٍ أو إخفاقٍ إلى نفسه؛ لأن العبد كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً وبذلاً، وكلما ازداد قدراً وجاهاً، ازداد قرباً من الناس وقضاءً لحوائجهم وتواضعاً لهم، وهذه الصفات من علامة السعادة عند المربي المسلم، ومن علامات الشقاوة أنه كلما ازداد علماً ازداد كبراً وتيهماً، وكلما ازداد علماً ازداد فخراً واحتقاراً للناس وحسن ظنه بنفسه، ونسبة كل توفيق لها ^(١).

وفي موقف سليمان عليه السلام وقارون درس تربوي هام، يتمثل في أن سليمان عليه السلام نسب الفضل إلى ربه، وقارون نسب نعم الله عليه إلى نفسه وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية: " أن سليمان رأى ما أوتيته من فضل الله عليه ومنتته، وأنه ابتلى به شكره، وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه" ^(٢).

1 يُنظر، ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص155).

2 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص206)

ففي موقف سليمان عليه السلام قمة العظمة الإنسانية التي عرف سليمان من خلالها أن كل نعمة، وكل توفيق يوفق إليه الإنسان في هذه الحياة، هو بيد من بيده الأمر كله، بيد صاحب السلطة المطلقة في الوجود بيد المُنعم المتفضل الذي أعطاك هذه النعم والذي يمنعك إياها في أي لحظة إن شاء، ومن يظن أن النعم التي أنعم الله بها عليه هي بجهده وفصاحته وذكائه الخارق دون أن يرد الفضل إلى صاحب الفضل يصيبه الخذلان" والخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها، والتوفيق ضده؛ أن لا يدعه ونفسه، ولا يكله إليها؛ بل يصنع له، ويلطف به، ويعينه ويدفع عنه، ويكلؤه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه، فمن خلى بينه وبين نفسه هلك كل الهلاك" ⁽¹⁾.

وإذا أوكّل الله تعالى الإنسان إلى نفسه أهلكه؛ لأنه تعالى هو الذي يُقدر الخير لهذا المخلوق الضعيف العاجز؛ لأنه هو الذي يعلم ما يصلح هذا الإنسان وهو اللطيف الخبير، وفي هذا السياق يقول ابن قيم الجوزية: "التوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه مريداً له محباً له مؤثراً له على غيره ويبغض إليه ما يسخطه ويكرهه إليه" ⁽²⁾.

ثالثاً: الطيرة والتشاؤم من أخلاق الجاهلية ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ (الأعراف: ١٣١)

الطيرة والتشاؤم هي أخلاق مذمومة؛ لأن فيها شركاً، وذلك بعدم توكل صاحبها على الله تعالى، واعتماده على عادة جاهلية انقرضت منذ قرون، وبعد أن منّ الله تعالى على الأمة الإسلامية بهذا الدين الهادي العظيم وجب على أتباعه أن يؤمنوا بعقيدة التوكل، وأن يكفوا عن الطيرة، التي تربك صاحبها بسبب كلمة سمعها فيها تطير وتشاؤم

ووردت أحاديث عديدة تنهى المسلمين عن عادة التطير الجاهلية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما " يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ " ، قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَنْطَيِّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " ⁽³⁾.

1 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، تحقيق: محمد بدر الدين، دار الفكر، بيروت ، 1978م (ص100).

2 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (414/1).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، رقم، (6107)، (2375/5)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، رقم (546)، (137/1).

وقال ﷺ: " لا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ لَصَالِحِ الْكَلِمَةِ الْحَسَنَةُ " ⁽¹⁾.

وفي هذا السياق، يقول ابن القيم: "أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف، والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه" ⁽²⁾.

فالمطلوب أن يكون المؤمن قوياً بالإيمان، قوياً بالتوكل، عظيم الثقة بالله تعالى، لا يعيش في حياته على الهواجس والظنون، ولا على بعض العادات الموروثة والأعراف الباطلة، ولا يسيطر على حركاته وسكناته رعب العادة والعرف الخاطيء، وليس كل عرف خاطيء.

رابعاً: الإصرار والعناد على عدم الإيمان حالة نفسية تصيب المتجبرين حين يدمغهم الحق ويطاردهم الدليل. ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 132)

"فالعناد نوع من الصلف، ولا يعني قوة الشخصية كما يتوهم البعض . فالعناد هو عيب من عيوب الطبع، والذي هو نوع من الصلف، والذي يؤدي بصاحبه الى المعارضة من أجل المعارضة ليس إلا إذا استحكمت بالنفس، جعلها تصل الى مستوى متدنٍ في الحكم على الأشياء" ⁽³⁾.
ومع أن أسلوب الحوار والمناقشة من أساليب التربية المهمة في العملية التربوية، إلا أن من كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن، لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاء له بموجب عمله" ⁽⁴⁾.
وبعض الناس "يخاصم بغير علم، ويتناول الذي يطلب حقه، ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء، ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرته الحجة وإظهار الحق، ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهركم الخصم وكسره" ⁽⁵⁾.

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، رقم(5424)،(2171/5).

2 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (246/2)

3 اللوباني، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية، (ص134).

4 ابن تيمية، الجواب الصحيح، (219/1).

5 الغزالي، إحياء علوم الدين، (119/39).

وفي عالم السلوك والتربية يُذم سلوك اللدِّد (الخصومة) و الكذب و الإيذاء و التسلط على الخصم؛ كبيراً و عناداً و صلفاً، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، و ليس له إليها حاجة في تحصيل حقه، كذلك من يحملة على الخصومة محض العناد لقهر الخصم و كسره، فهذا هو المذموم، و أما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لد، و إسراف و زيادة لجاج على الحاجة، من غير قصد عناد، و لا إيذاء، ففعل هذا ليس حراماً، و لكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً⁽¹⁾.

وفي الفكر التريوي يوجد صفتان مذمومتان تقودان صاحبهما إلى المهالك؛ هما الكبر والعناد، ومن نصّب نفسه للناس إماماً، وهو متصف بهاتين الصفتين، لا يؤثر في أحد، ولا يتأثر به أحد، والكثير من أصحاب هذا التوجه المعاند، لا يُغلبون إلا بمعجزة مادية ظاهرة قاهرة، إن لم تقنعهم، تفحمهم وتضعف موقفهم وتكشف زيف باطلهم. إلا أن العلماء العاملين والمخلصين، لا يعرف الكبر والعناد لهم طريقاً، لذا "فالعلماء مبرؤون عن العناد لأن العناد هو رد الحق بعد المعرفة بأنه حق"⁽²⁾.

ويقول محمد الغزالي محذراً كل تريوي وداعية ومُحاورٍ من الكبر والعناد، وأن يكون حب الانتصار على المخالف أهم من ظهور الحق وغلبته: "ذلك أن هناك أحوالاً تستبد بالهنا، وتغرى بالمغالبة، وتجعل المرء يناوش غيره بالحديث، ويصيد الشبهات التي تدعم جانبه، والعبارات التي تروج حجته، فيكون حب الانتصار عنده أهم من إظهار الحق، وتبرز طبائع العناد والأثرة في صور منكرة"⁽³⁾.

والخلاصة: أن الكبر والعناد أمراض نفسية خطيرة وفتاكة تفتك بصاحبها فلا يرى الحق حقاً ولا الباطل باطلاً، فتضيع الحقائق وتظلم مع هذه الشريحة أو الفئة أو الشخص المتكبر، وتحديداً المري والمعلم والداعية من أو جب الواجبات أن يبتعد عن هذه الأمراض النفسية المزعجة والمسيسة، فالمطلوب من المري أن يكون وقافاً عند الحق ملتزماً به داعية إليه وبالذات إذا كانت الحجج والبراهين والأدلة واضحة دامغة مقنعة.

1 الذهبي، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، (ص21).

2 العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد: المدخل، دار الفكر، -1981م (4 / 271)

3 الغزالي، محمد، خلق المسلم، (ص64).

خامساً: الصبر وأثره التربوي على المربي والداعية ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (الأعراف: ١٣٧)

يقول ابن قيم الجوزية: "والصَّبْرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو ثلاثة أنواع: صَبْرٌ على فرائض الله، فلا يُضَيِّعُهَا، وصَبْرٌ عن محارمه، فلا يرتكبُهَا، وصَبْرٌ على أقضيته وأقداره، فلا يتسَخَّطُهَا، ومن استكمل هذه المراتب الثلاث، استكمل الصبر. ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفرُّ والظفرُ فيهما، لا يصلُ إليه أحدٌ إلا على جسْر الصبر، كما لا يصلُ أحدٌ إلى الجنةِ إلا على الصراطِ" (١).

ومن أنواعه أيضاً الصبر على المكاره : أي القدرة على التحمل، وضبط النفس، والاستبصار، كما يعني النظر إلى الأمور والتعامل معها بشكل واقعي، فالله يبتلي عبداً أحياناً ويمتحنهم تارة بالسراء وأخرى بالضراء، من خوف، ومرض، وجوع، ولقاء، وفراق، ونصر، وهزيمة، ليعلم من يصبر ويشكر، أو يضجر ويكفر" (٢).

ويرى المحاسبي (٣) أن من معاني "الصبر كتمان المصيبة وهو من كنوز البر، ومنها أيضاً الصبر على كتمان الطاعة، وحبس النفس عن ذلك كله، كما أن من علاماته الرضا عن الله، ومن علامات الرضا عن الله الرضا بقضائه وهو سكون القلب إلى أحكام الله والتفويض إلى الله قبل الرضا، والرضا بعد التفويض (٤).

1 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (333/4).

2 اللوباني، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية، (ص43).

3 . الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. وله كُتُب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرّد على المعتزلة والزائفة من كتبه آداب النفوس و شرح المعرفة والمسائل في أعمال القلوب والجوارح والمسائل في الزهد وكتاب التوهم ورسالة المسترشدين، ت 243 هـ ينظر، (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (1103/5). أبو عبد الله، علاء الدين ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (276/3). الزركلي، الأعلام، (153/2).

4 المحاسبي، آداب النفوس، (ص151).

والصبر: " قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه؛ لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز"⁽¹⁾.

وللصبر فضل عظيم يدل على: "كمال العقل، والبعد عن الطيش والرعونة، والتعبير عن حكمة في معالجة مشكلات الحياة. يضاف إلى ذلك أنه في مستواه الرفيع ثمرة من ثمرات الفهم عن الله، وتدبر حكمته العظيمة في تصريف الامور، وامتحان عباده في هذه الحياة، وثمره من ثمرات الرضا عن الله فيما تجري به مقاديره"⁽²⁾.

وخلق الصبر من الصفات الضرورية لكل إنسان؛ إذ بدونه لا يستطيع بلوغ ما يريد؛ لأن المراد إلا يُنال غالباً إلا بتحمل المكاره وحبس النفي عليها، وهذا الخلق بحاجة إليه كل إنسان، والداعية المسلم والمربي هو أشد حاجة إليه لما يجده من التواء للنفوس وبلادة في العقول، وعوج في السلوك، وفي عالم التربية والتعليم، تجد الطالب يحبس نفسه على المذاكرة والدرس وكف نفسه عما تهواه من لذة وراحة حتى يستوعب الدرس لينجح في الامتحان"⁽³⁾.

والخلاصة: أن خلق الصبر من الأخلاق التربوية الهامة التي يجب على المربي أن يتحلى بها؛ فلا يستعجل استجابة الناس لدعوته، ولا يعجل على بطاء فهم بعض التلاميذ لبعض المواضيع المعروضة للشرح والإيضاح، وخلق الصبر مجالاته واسعة ومتعددة، لا يكفي لتوضيحها إشارة تربوية خاطفة في دراسة محددة.

أبرز نتائج الفصل الثاني: مراحل الدعوة في قصة موسى عليه السلام وفرعون

1. الأسلوب القصصي في القرآن الكريم أسلوب من أساليب التربية المؤثرة والفاعلة.
2. شجاعة الدعاة والمربين في مخاطبة ذوي الجاه والسلطان بأدبٍ واعتزاز.
3. أسلوب الرفق واللين في مخاطبة الآخرين أسلوب تربوي رائع وراقٍ.
4. الحاكم العادل يقرب البطانة الحسنة ويبعد البطانة السيئة
5. مراعاة الأدب في الحوار مع المخالف
6. الثواب والعقاب أسلوب تربوي أقرته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.
7. الصبر وأثره التربوي على المربي والداعية

1 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (2/305)

2 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (2/343).

3 زيدان، أصول الدعوة، (336).

الفصل الثالث

موسى عليه السلام يواجه راسب الوثنية والردة في نفوس بني اسرائيل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مشهد بني إسرائيل عند تجاوزهم البحر وانحرافهم عن عقيدة التوحيد

المبحث الثاني: التربية والبناء :

تمهيد

في هذا الفصل تمضي قصة موسى عليه السلام في حلقة أخرى مع قومه بني إسرائيل، بعد أن أنجاهم الله من عدوهم، وأغرق فرعون وملاه، ودمر ما كانوا يصنعون وما كانوا يعرشون، إنه يواجه تحدياً من نوع آخر، ومعركة أشد وأنكى من معركة مع فرعون وقومه؛ إنها معركة النفوس المنحرفة والعقول الضالة، وباقي رواسب الوثنية في نفوس بني إسرائيل، التي أفسدت سلوكهم وأفسدت " طبيعتهم وأتوت فطرتهم، وانحرفت تصوراتهم، وامتألت نفوسهم بالجبن والذل من جانب، وبالحدق والقسوة من الجانب الآخر، وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية حيثما تعرضت طويلاً للإرهاب والطغيان" (١).

والحديث عن بني إسرائيل وانحرافاتهم في الماضي والحاضر حديث يطول، ويحتاج إلى دارسين وباحثين كثر ليعالجوا الموضوع من كل جوانبه، ولأن هذه الدراسة حدودها سورة الأعراف، فإنها تقتصر فقط على ما ورد في سورة الأعراف، وما ذكرت من انحرافات نفسية وفكرية عند بني إسرائيل.

ويأتي الحديث عن ذلك عبر المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مشهد بني إسرائيل عند تجاوزهم البحر وانحرافهم عن عقيدة التوحيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلبهم من نبيهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لغيرهم آلهة

لقد صور القرآن الكريم مشهد طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلهاً صنماً كما لغيرهم آلهة من الأصنام، فقال تعالى:

﴿ وَحُورٌ نَّازِجَاتٌ فِي الْبِحْرِ فَاَتَوْا عَلٰى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلٰى اَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوْا يٰمُوسٰى اَجْعَلْ لَنَا اِلٰهًا كَمَا لِهٰٓؤُلٰٓئِكَ اِلٰهَةٌ قَالِ اِنَّكُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُوْنَ ﴿١٣٨﴾ اِنَّ هٰٓؤُلٰٓئِكَ مُتَّبِعٌ مَا هُمْ فِيْهِ وَيَنْظِلُّ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْكُمْ اِلٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلٰى الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٤٠﴾ وَاِذْ اَبْغَيْنٰكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُوْنَ اَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِيْ ذٰلِكُمْ بَلٰٓءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ﴿١٤١﴾ (الأعراف: ١٣٨ - ١٤١)

1 قطب، في ظلال القرآن، (3/1364).

هذه الآيات وما بعدها تتحدث عن قصة موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل، بعد أن بينت الآيات التي سبقت قصته مع فرعون، وما حصل فيها من تحديات وصراعات انتهت بتدمير ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون، وقبل البدء في التعرف على أقوال المفسرين، لا بد من التعرف على المعنى اللغوي لبعض المفردات الواردة في الآيات ؛ لتسهل معرفة هذه المعاني في فهم واستنباط إشارات تربوية أدق وأوضح، فمن هذه المفردات، كلمة جاوزنا، وجاوزنا لغةً تعني "جازه سار فيه واجازه خلفه وقطعه"⁽¹⁾.

ومنها أيضاً: معنى يعكفون: كما ورد في لسان العرب: مأخوذة من (عكف) " عَكَفَ عَلَى الشَّيْءِ يَعْكَفُ وَيَعْكَفُ عَكَفًا وَعُكُوفًا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوَظِّبًا لَا يَصْرِفُ عَنْهُ وَجْهَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَعْكَفُونَ عَلَىٰ أَصْنَآءٍ لَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)"⁽²⁾.
ومعنى متبر "أَيُّ مُكَسَّرٌ مُهْلَكٌ"⁽³⁾.

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أقوال المفسرين في الآيات ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَآءٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨) إِنَّ هَتُوْلَاءَ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٩) قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١٤٠) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٣٨ - ١٤١).

يذكر الرازي ما ملخصه: أنه تعالى لما بين أنواع نعمه على بني إسرائيل بأن أهلك عدوهم، وأورثهم أرضهم وديارهم، أتبع ذلك بالنعمة العظمى؛ وهي أن جاوز بهم البحر مع السلامة، ولما بين تعالى في سائر السور كيف سيرهم في البحر مع السلامة، وذلك بأن فلق البحر عند ضرب

1 ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (520/7)

2 ابن منظور، لسان العرب، (255/9)

3 مرتضى، الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس،

تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (277/10).

موسى البحر بالعصا وجعله يبساً بين أن بني إسرائيل لما شاهدوا قوماً يعكفون على عبادة أصنامهم ، جهلوا وارتدوا وقالوا لموسى: ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) ، ولا شك أن القوم لما شاهدوا المعجزات الباهرة التي أظهرها الله تعالى لموسى على فرعون ، ثم شاهدوا أنه - تعالى - أهلك فرعون وجنوده ، وخص بني إسرائيل بأنواع السلامة والكرامة ثم إنهم بعد هذه المواقف والمقامات يذكرون هذا الكلام الفاسد الباطل كانوا في نهاية الجهل وغاية الخلف (١).

وفي هذا يقول الرازي أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا ﴾ (الأعراف: 138): أن التجاوز يعني قطع الشيء المُتجاوز ليكون وراء الظهر، والعكوف على الشيء تعني المواظبة والملازمة والاستمرار كما يتضح ذلك من المعنى اللغوي، ثم حكى تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) ، واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وخالقاً ومدبراً ، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره : لا يمكن أن يكون خالقاً للعالم ومدبراً له ، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسى ﷺ أن يعين لهم أصناماً وتمائيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى (٢).

و قوله تعالى أيضاً ﴿ وَجَوَزْنَا ﴾ (الأعراف: ١٣٨).
في هذه الآية تذكير بالنعمة الكبرى والمنة العظمى التي منّ الله تعالى بها على بني إسرائيل؛ وهي عبورهم البحر بأمنٍ وأمان حتى تجاوزوه، يصحبهم لطف الله تعالى، وتحدهم رعايته وعنايته.
وفي قوله تعالى: ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) " بيان لما شاهدوه من أحوال بعض المشركين عقب بحورهم البحر، ونجاتهم من عدوهم ،فماذا كانت نتيجة هذه المشاهدة ؟ لقد كان متوقفاً منهم أن يحتقروا ما شاهدوه ،وأن ينفروا مما أبصروه؛ لأن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون سوء العذاب في ظل عبادة الأصنام عند فرعون وقومه، ولأن نجاتهم مما كانوا فيه من ذل وهوان قد تمت على يدي نبيهم الذي دعاهم الى توحيد الله تعالى لكي يزيدهم من فضله" (٣).

1 ينظر، الرازي، تفسير الفخر الرازي ، (2047/1).

2 ينظر، المرجع نفسه، (2047/1).

3 ينظر، طنطاوي، محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997م، (ص497).

وفي قولهم لنبيهم : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ الْإِلَهَةُ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) قول و طلب مستغرب ومستهجن، وفيه دلالة وإشارة واضحة على غياب تلك العقول وبلادة تلك النفوس، التي رأت من آيات ربها الكبرى ما رأت، وعانيت وعاشت معجزة إنجائهم من البحر، مما أثار هذا الطلب حفيظة موسى ﷺ، وحرك فيه الغضب الشديد نصرته لدينه ولربه، فقال ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) أي: إنكم يا بني إسرائيل بطلبكم هذا أثبتتم أنكم قوم غارقون في الجهل التام الشامل الذي غطى على أبصاركم وبصائرکم، فأصبحتم لا تفرقون بين من يستحق الشكر والعبادة والتعظيم، وبين من هو على ضلالٍ مبين.

وفي هذا يقول الزمخشري: "تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى، والمعجزة الكبرى، فوصفهم بالجهل المطلق وأكده ، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع"⁽¹⁾.
 ويصف سيد قطب حالة قوم موسى ﷺ النفسية في طلبهم إلهاً يعبدونه، فيقول: "إنها العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام! ولكنها لا تصيبها حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية، وطبيعة بني إسرائيل - كما عرضها القرآن الكريم عرضاً صادقاً دقيقاً أميناً في شتى المناسبات - طبيعة مخلخلة العزيمة ، ضعيفة الروح ، ما تكاد تهتدي حتى تضل ، وما تكاد ترتفع حتى تتحط ، وما تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس"⁽²⁾.

ويقول سيد قطب واصفاً هذا الطلب بالجهل المطلق الشامل : " الجهل الكامل الشامل .. الجهل من الجهالة ضد المعرفة ، والجهل من الحماقة ضد العقل! فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود! ثم ليشير إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة وأن العلم والتعقل يقود كلاهما إلى الله الواحد وأنه ما من علم ولا عقل يقود إلى غير هذا الطريق "⁽³⁾.

1 الزمخشري، الكشاف، (141/2).

2 قطب، في ظلال القرآن،(1366/3).

3 قطب، في ظلال القرآن (1366/3).

وفي هذا يقول أبو حيان⁽¹⁾ ما ملخصه:

وذلك إشارة إلى هؤلاء العاكفين على عبادة الأصنام بأن فعلهم هذا متبرّ مهلك مدمر رديء سيئ العاقبة، وما هم فيه يعمّ جميع أحوالهم وبطل عملهم هو اضمحلاله بحيث لا ينتفع به وإن كان مقصوداً به التقرب إلى الله تعالى⁽²⁾.

ويشير (سيد قطب) إلى أن هذا العكوف " كله هالك وباطل ينتظره ما ينتظر كل باطل من الهلاك والدمار في نهاية المطاف! ثم ترتفع نعمة الغيرة في كلمات موسى عليه السلام على ربه والغضب له سبحانه والتعجب من نسيان قومه لنعمة الله عليهم"⁽³⁾.

الذين تبغون تقليدهم في عبادة الأوثان، محكوم على ما هم فيه بالدمار، ومقضي على ما يعملونه من عبادة الاصنام بالاضمحلال والزوال لأن دين التوحيد سيظهر في هذه الديار وستصير العبادة لله الواحد القهار وبهذا الرد يكون موسى عليه السلام قد كشف لقومه عن سوء ما يطلبون، وصرح لهم بأن مصير ما يبغونه إلى الهلاك والتدمير. ثم مضى موسى يستنكر عليهم هذا الطلب، وبين لهم أن الله تعالى وحده المستحق للعبادة فقال: ﴿ قَالَ أَعِيََّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٠) أي "أسوى الله ألتمسكم إلهاً، وأجعل لكم معبوداً تعبدونه، والله الذي هو خالقكم، فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم يقول: أفأبغيكُم معبوداً لا ينفَعكم ولا يضرُكم تعبدونه، وتتركون عبادة مَنْ فضلكم على الخلق؟ إن هذا منكم لجهل"⁽⁴⁾.

ويقول الرازي ما ملخصه: أن التعجب في هذه الآية جاء على وجه الإنكار والتوبيخ فقال: ﴿ أَعِيََّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ﴾ (الأعراف: ١٤٠). والمعنى: أن الإله ليس شيئاً يطلب ويلتمس ويتخذ، بل الإله هو

1 محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، له مؤلفات كثيرة منها: البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب، والتذييل والتكميل في شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ت 745 هـ ينظر، السيوطي، بغية الوعاة، (280/1). السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (275/9) الأندروبي، طبقات المفسرين، (ص278). معجم المؤلفين، (130/12). الزركلي، الأعلام، (152/7).

2 ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، (377/4).

3 قطب، في ظلال القرآن، (1366/3).

4 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط1، 2000م، (84/13).

القادر المعطي المانع الذي يقصد في الحوائج، فهذا الإله الذي يجب على الخلق عبادته ، فكيف يجوز العدول عن عبادته إلى عبادة غيره.⁽¹⁾

والتفضيل على العالمين - في زمانهم" يتجلى في اختيارهم لرسالة التوحيد من بين المشركين، وليس وراء ذلك فضل ولا منة. فهذا ما لا يعدله فضل ولا منة. كما أنه اختارهم ليورثهم الأرض المقدسة التي كانت إذ ذاك في أيدٍ مشرّكة، فكيف بعد هذا كله يطلبون إلى نبيهم أن يطلب لهم إلهًا غير الله، وهم في نعمته وفضله يتقبلون"⁽²⁾.

وهنا يُذكرهم الله تعالى بنعمة إنجائهم من بطش فرعون وفتكه، فيقول: ﴿وَإِذْ أُنجِيْتُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف: 1٤١).

وفي هذا يقول الرازي : أن الله تعالى لما أنعم على قوم موسى ﷺ بأنواع النعم ذكرهم إياها، ولا شك أن إزالة المضرة يجب أن تكون متقدمة على إيصال المنفعة، ولا شك أن إيصال المنفعة الدينية أعظم من إيصال المنفعة الدنيوية⁽³⁾.

وخلاصة القول: وبعد استعراض أقوال المفسرين في المطلب السابق تبين للباحث أن الله تعالى أنعم على بني إسرائيل نعماً جليلاً وعظيمة، تستحق الشكر والعرفان، لا الجحود والنكران اللذين يقودان إلى الكفر والفسوق والعصيان كما حصل مع قوم موسى ﷺ وملخص هذه النعم التي ذكرتها الآيات السابقة هي:

1. نعمة إنجائهم من العذاب؛ لئيبثليهم أيشكرون أم يكفرون، وهذه نعمة من نعم عديدة من الله تعالى بها على بني إسرائيل، حيث نجاهم من آل فرعون الذين كانوا يعذبونهم أشق العذاب وأصعبه، ويقصدون من ذلك إذلالهم، وامتهان كرامتهم وذلك بإزهاق أرواح الذكور من ذرياتهم، ويبقوا النساء على قيد الحياة؛ لخدمتهم وانتهاك عفتهم، وفي ذلكم العذاب وفي النجاة منه، اختبار لبني إسرائيل، وامتحان لهم بالسراء بعد الضراء، وبالعزة والحرية بعد الهوان والعبودية، فالواجب عليهم تجاه هذه النعمة وما سيتبعها من نعم أن يشكروا، ويقبلعوا عن السيئات، التي تؤدي بهم إلى الإذلال في الدنيا، والعذاب في الأخرى.
2. نعمة إغراق آل فرعون في البحر، وإغراق آل فرعون أمام أعين بني إسرائيل وإهلاكهم تلك نعمة أخرى من نعم الله المتتالية عليهم، هذه النعمة هي أدعى للشكر، والسجود للمنع، لا

1 ينظر، الرازي، تفسير الفخر الرازي، (2048/1).

2 قطب، في ظلال القرآن، (1367/3).

3 الرازي، تفسير الفخر الرازي، (3083/1).

للكفر والجحود، ولا شك أن مشاهدة المنعم عليه للنعمة فيها لذة كبرى، ورؤيته لهلاك عدوه فيها عبرة عظيمة، ومعابنته لانفراق البحر فيها تقوية لإيمانه، وتثبيت ليقينه⁽¹⁾.

3. نعمة العزة والحرية بعد الهوان والعبودية.

وهذه النعمة من أعظم النعم على بني إسرائيل، حيث أعزهم بعد ذل، وأكرمهم بعد هوان، وآمنهم بعد خوف وأطعمهم بعد جوع، وما زادتهم تلك النعم إلا جحوداً ونكراناً. وسيكون نعمٌ أخرى آتية أنعم الله تعالى بها على بني إسرائيل تُستنبط من أقوال المفسرين تُذكر في حينها، وذلك من خلال آيات سورة الأعراف فقط كما هي حدود الدراسة، مع أن نعم الله على بني إسرائيل ذكرتها آيات عديدة أغلبها تركزت في سورة البقرة، وفي غيرها من السور ولو بنسب متفاوتة. ومن هنا فالحرية فطرة في الطبيعة الإنسانية فالله سبحانه خلق الإنسان حراً، لأنه جعله مسؤولاً عن تنفيذ منهجه في الأرض، أي أن الحرية ليست مجرد منحة يمنحها النظام الاجتماعي للإنسان، أو يمنعها عنه، وإنما هي قيمة غريزية غرزها الله في خلق الإنسان حين خلقه⁽²⁾.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. النعم توجب الشكر والعرفان لا الجحود والنكران. ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَحْرِ﴾ (الأعراف: 138)
2. المواظبة على كل عبادة من دون الله هلاك وخسران ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ﴾ (الأعراف: 139)
3. أقبح الرذائل رذيلة الجهل الشامل الذي هو ضد المعرفة وجهل الحمق الذي هو ضد العقل. ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: 138)
4. الإنكار والتوبيخ والتقريع أساليب تربوية يستفاد منها عند الضرورة ﴿قَالَ أَعْيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: 140).
5. الإرهاب والطغيان يفسدان النفس بالذل والهوان، كما يرى ذلك سيد قطب ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف: 141).

1 ينظر، طنطاوي، بنو اسرائيل في القرآن والسنة، (ص352-355-356).

2 ينظر، مذكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الاسلامي، (ص208)

الفرع الثالث: آراء التربويين في الإشارات المستنبطة من أقوال المفسرين

أولاً: النعم توجب الشكر والعرفان لا الجحود والنكران. ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٣٨)

الشكر واجب أخلاقي، وسلوك تربوي، كما هو قضية إنسانية، يجب على أفراد المجتمع المسلم أن يتربوا على هذه الثقافة، وأن يربوا غيرهم عليها، وأولى الناس بالتعامل بهذا الخلق المربون والمعلمون، الذين يعلمون الناس الخير، فعلى المربي أن يغرس في نفوس من يربيهم هذا الخلق القيم، وأن يُترجم إلى سلوك في حياتهم اليومية، فالتلميذ يجب أن يشكر معلمه على ما يقدم له من علم نافع، والابن يشكر أباه على تعهده بتربيته ورعايته، والكل يجب عليه شكر الذي أمدنا بالحياة وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة؛ هو الله جل في علاه. ويعتبر ابن القيم أن الشكر "امتحان يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور"^(١).

ويرى أيضاً "أن رأس الشكر الثناء والحمد"^(٢).

فالشكر يزيد النعم، فكلما زاد العبد من شكره زاده الله من نعمه، وكلما زاده من نعمه ازداد ذلاً وانكساراً وخضوعاً بين يديه، وقياماً بشكره وخشيته له سبحانه أن يسلبه إياها؛ لعدم توفيقه شكرها، كما سلب نعمته عن من لم يعرفها ولم يرعها حق رعايتها فإن لم يشكر نعمته وقابلها بصد ما يليق أن يقابل به سلبه إياها^(٣).

فالله سبحانه يجب أن يُشكر، عقلاً وشرعاً وفطرة، فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب، وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته وذكر آلائه وإحسانه وتعظيمه وتكبيره والخضوع له والتحدث بنعمته والإقرار بها^(٤).

1، ابن قيم الجوزية، الفوائد (ص155).

2 ابن ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة، (4/1490).

3 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص205).

4 ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، (ص21).

ويؤكد ابن أبي الدنيا⁽¹⁾ أن النعمة موصلة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد⁽²⁾.

ويرى المحاسبي: أن أصل الشكر أن يعرف العبد أن ما به من نعمة فمن الله بقلبه علم يقين لا تخالطه الشكوك، فإذا عرف بقلبه ذلك ذكره بلسانه فحمده عليه، ثم لم يستعن بشيء من نعم المنعم على شيء مما يكره المنعم، وأعلى من ذلك من الشكر أن تعد كل بلاء نزل بك نعمة؛ لأن الله من البلاء ما أنزله بغيرك أشد وأعظم من الذي أنزله بك⁽³⁾.

ويبين الغزالي أن إظهار الشكر لله تعالى يكون بالتحميدات الدالة عليه بالقول، وأما الجوارح فيستعان بها فبشكر الله تعالى على نعمه وذلك بطاعته وعدم الاستعانة بها على معصيته، فشكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه، فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به⁽⁴⁾.

وهنا تأتي أهمية التوجيه والتربية الإسلامية، فيتبصر المراهق حقيقة نفسه ويعلم أن النعم التي يرفل فيها تستوجب شكر المنعم وهو الله عز وجل، فإن الشكر ليزيد النعم، وإن العجب والخيلاء والاستعلاء على الآخرين مفسد لها ومضيع⁽⁵⁾.

وخلاصة ما سبق من رأي التربويين في خلق الشكر: أن الشكر خلق إسلامي عظيم، كما هو قيمةً تربويةً وإنسانيةً يجب أن نترى عليها كمسلمين، وتحديدًا، كتربويين، ونربي غيرنا عليها، فكل فرد من أفراد المجتمع المسلم كبيراً أو صغيراً، معلماً أو متعلماً، حاكماً أو محكوماً، الواجب عليه أن

1 عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر: حافظ للحديث، أكثر من التصنيف. له مؤلفات كثيرة منها "الفرج بعد الشدة، ومكارم الأخلاق، و" ذم الملاهي، والشكر، والإشراف في منازل الإشراف، ومن عاش بعد الموت، وكتاب "الجوع، والصمت. وأخبار قريش. " وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ت 281 هـ. ينظر، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (6/768). أبو عبد الله، علاء الدين، (إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (8/781). الزركلي، الأعلام، (4/118).

2 ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر، الشكر، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامي، الكويت، ط2، 1980م، (ص11).

3 المحاسبي، آداب النفوس، (ص67).

4 الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (4/84).

5 الزعبلوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط3، 1997م، (ص286-287)

يتجمل ويتخلق بهذا الخلق، ويطبق هذه القيمة التربوية في حياته، ولأنه بالشكر تزيد النعم، وبالجحود والنيكران تزول، مع مراعاة أن الشكر للمنعم واجب شرعي، وخلق تزيوي، وضرورة إنسانية، سواء زالت هذه النعم أو زادت .

ثانياً: المواظبة على نصره الفكرة الباطلة كبر وعناد ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّمًا هُمْ فِيهِ﴾ (الأعراف: ١٣٩)

إن الالتفاف حول الفكرة الباطلة ومناصرتها والمواظبة في الدفاع عنها وتبنيها مرض نفسي خطير، سببه الكبر والهوى والعناد، والفكرة الباطلة لها صور متعدّدة، وأشكال متنوعة؛ منها عبادة الصنم والعجل كما مر معنا في قوم من بني إسرائيل، ومنها العكوف المعنوي على المعبود، وليس الزمني، بمعنى إن لم تركع جباههم للمعبود الذي صنعوه بأيديهم تركع عقولهم وقلوبهم لهذه الفكرة الآثمة الخاطئة، وهذه الفكرة تكون في فكر ضالّ أحياناً، أو موروث فيه انحراف، أو عادة تربي عليها مجموعة من الناس يعكفون عليها يرون في مخالفتها انحرافاً أو تمرداً أو وكفراً وعصياناً. ومن أسباب المواظبة على الفكرة الباطلة وبالذات المراهقين هو الكبر، "والكبر سلوكٌ انفعاليّ خطيرٌ يؤدي إلى انحراف المراهق في خلقه وأنماط سلوكه، وهو من أبرز المظاهر الدالة على سوء تكيف المراهق مع نفسه وبيئته الاجتماعية، ولما كان الكبر مرضاً نفسياً خطيراً في أي صورة من صوره توعده الله تعالى المستكبرين لغير الحق بالخلود في النار"^(١).

كما أن الرسول ﷺ ذكر في الحديث الذي رواه الإمام مسلم " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ! « فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ»." ^(٢).

وأخيراً المواظبة على الفكرة الباطلة عبارة عن انحراف نفسي ينتج عنه " مرض كسائر الأمراض الأخرى، يظهر على شكل سلوك نفسي وعضوي شاذ، تتفاوت حدته بمستوى الصرع الداخلي الذي يحياه الفرد، والانحراف النفسي هو نتيجة عاملين الأول ذاتي، والثاني موضوعي يؤثران بنسب متفاوتة من فرد إلى آخر"^(٣).

والخلاصة: أنّ العقل الذي يسلم صاحبه إلى خير هو من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، أما العقل الذي يقود صاحبه إلى الانحراف السلوكي والتربوي؛ وذلك بإلغائه وتغييبه عن البحث والتفكير

1 الزعبلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس (ص137).

2 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، رقم (275)، (65/1).

3 عبد العزيز، مفتاح محمد، القرآن وعلم النفس، جامعة قار يونس بن غازي، ط1 1997، (ص62)

والترجيح، يجعله يمارس الكثير من العادات السيئة، والأعراف الباطلة، والسلوك المنحرف بل ويصبح عنده عادةً موروثةً يصعب التخلي والاستغناء عنها، وهي ما تسمى بفكرة المواظبة والاستمرارية العمياء على اعتناق وممارسة الفكرة الباطلة.

ثالثاً: أقبح الرذائل رذيلة الجهل الشامل الذي هو ضد المعرفة وجاهل الحقم الذي هو ضد العقل

﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨)

لأنه بالعلم يُعرف الله تبارك وتعالى، ومعرفة الله هي أرقى وأسمى وأولى أنواع المعرفة، بالعلم يرفع الوضيع، ويعز الذليل، ينتفع به صاحبه، وينتفع به غيره ممن تعلمه، به توصل الأرحام، وتؤدى الحقوق، وتسود الأمة وتقود، وأما الجهل فيورد المهالك، ويجلب المصائب. المعصية أثر من آثاره، وثمرة من ثماره، يضع رفيع النسب، ويذل عزيز القوم، يُفسد ولا يُصلح، ويُخرب ولا يُعمّر. مرض وبيل، وداء عضال، شفاؤه التعلم والسؤال، ومن أنواع الجهل الحقم، الذي هو ضد العقل، والذي يتعرض بعض المراهقين لانفعال السفه، ومظهره الاستهتار، وعدم المبالاة، والخفة والطيش والجهل والحقم، واضطراب السلوك، وهذه المظاهر الانفعالية لا يمكن عزوها إلى دافع نفسي واحد أو مظهر نمائي واحد، كما لا يمكن عزوها إلى البيئة الاجتماعية وحدها؛ بل يُعزى الجهل إلى الجاهل نفسه الذي يرفض في بعض الأحيان التعلم، والبحث عن المعلومة التي تفيده في دنياه وأخراه، وهنا يأتي دور المربي؛ الذي يجب عليه أن يحرض الناس على التعليم، وأن يأخذ بيد الآخرين ويعقولهم إلى العلم النافع والمفيد^(١).

والتعلم تغير في السلوك ليس بسبب النضج، والإرشاد النفسي أو العلاج، محور اهتمامه تغير السلوك، ولذا يجب أن يكون الإرشاد والعلاج لوناً من التطبيق العملي للمتعلم ولنظريات التعلم، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، فمعظم أساليب الإرشاد والعلاج لم تظهر نتيجة لنمو أو تطور نظريات التعلم، بل تظهر حسب استعداد المتعلم للتعلم، وحسب استعداد المعلم ليُعلم ويطور أداءه التعليمي^(٢).

مع أن "الإنسان يولد خيراً، ويفسده المجتمع، وسبيل إصلاحه حماية هذه الخيرية الطبيعية من إفساد المجتمع لها، أو بعبارة أخرى فإن السبيل لإصلاح الأفراد هو إصلاح المجتمع، والعقل قادر

1 الزعبلاوي، تربية المراهق بين الإسلام و علم النفس، (ص138).

2 باترسون، س.هـ، نظريات الارشاد والعلاج النفسي، ترجمة حامد عبد العزيز الفقي، دار القلم، الكويت، ط1،

1981م، (ص19).

على أن يهديننا سواء السبيل، ومن ثم فإن كل قانون وكل عرف وكل مؤسسة لا بد أن نخضعها لاختبار معقوليتها"⁽¹⁾.

إلا أن الباحث يرى أن العقل وحده لا يهدي صاحبه سواء السبيل؛ بل الذي يهدي صاحبه سواء السبيل العقل المستنير بنور الوحي، لأن الوحي من عند الله الذي خلق العقل، والخالق أعلم بما ينفع للمخلوق.

فالإسلام يحسم "بين الدين والعقل ويحرر الإنسان من قيود التفكير فهو يكبر العقل، ويؤيد العلم، ويدعو إلى دراسة الظواهر الكونية بعقلية علمية، ويعطي عناصر ومؤشرات تساعد على البحث والتجريد والتطبيق، فهو بأسلوبه هذا يعتبر رائداً في وقتنا هذا لتطوير أساليب التربية والتعليم، وحينما اتبع المسلمون نهج الإسلام في حياتهم برزوا في عصور الإسلام في مختلف العلوم والفنون سواء في البحوث النظرية أم التطبيقية"⁽²⁾.

ومن هنا فلا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة في عالم التربية والتعليم؛ وهي أن عملية التربية عملية قد يقوم بها المعلم أو غير المعلم، ومن الخطأ أن يظن المعلم أنه ليس ثمة مربٍ سواه، أو أن يقتصر في تربية تلاميذه على الوسائل المدرسية؛ ككتب التدريس والفروض المدرسية دون غيرها، بل يجد المتعلم تربية ناجعة قديمة تضاهي التربية التي يلقاها بين جدران المدرسة؛ وهي التربية بالتجربة، ووحى التجربة يكاد يتفق مع حقائق العلم والعقل في بعض نظرياته، والتربية عملية طويلة الأمد أولها المهّد، وآخرها اللحد"⁽³⁾.

وعلى كل من المعلم والمتعلم: "أن يقدم طهره النفس عن رديء الأخلاق، وألا يتكبر على العلم وأهله، على المتعلم ألا يدع فناً من فنون العلم إلا وينظر فيه، ألا يخوض في فنون العلم دفعة، بل يبدأ بالمهم فالأهم"⁽⁴⁾.

ولأن من أنواع الجهل الحمق الذي هو ضد العقل، فيكون "الهدف النهائي للتربية هو الفهم العقلي، فالغرض الأعلى للمجهود الإنساني اكتساب المعرفة، والمعرفة التي جمعها الإنسان هي كنزه الثقافي الغالي. ويتمتع الدارس والعالم والفيلسوف بتقدير واحترام كبيرين، وجميع الاهتمامات الإنسانية

1 برينتون، كرين، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوق جلال، دار العين للنشر والتوزيع، مصر، 2001م، (ص133).

2 أحمد، نازلي صالح، التربية الديمقراطية في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م، (ص30-31).

3 شهلا، جورج، الوعي التربوي، ط2، 1961م، (ص43).

4 الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط1، 1964م، (ص235).

الأخرى تعتبر ثانوية لنمو الذكاء. ويجب أن تخضع المشاعر للسيطرة العقلية، ويجب أن تكون وظيفتها العليا المعونة العاطفية للمجهود العقلي والعمل أن يوجهه الذكاء⁽¹⁾.

والجهل هو ضد العلم، يكون على وجوه منها: "هو خلو النفس من العلم، الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل ومن علامات الجهل النفي والإثبات دون دليل، هو أيضا من علاماته السطحية والتي تعني عدم القدرة على استخدام مستويات التفكير⁽²⁾.

وأخيراً فالجهل: يري صاحبه "الحسن في صورة القبيح والقبيح، في صورة الحسن، والكمال نقصاً والنقص كمالاً والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه فيغضب في موضع الرضا⁽³⁾.

ولأن التربية الإسلامية ترفض التقليد الأعمى جعلت "تحرير العقل أساس الإيمان المحترم والعقيدة المقبولة. وقَلَّ في الناس من يرزق العقل الحر الذي يتحرك فلا تنقله الموروثات الخاطئة⁽⁴⁾.

خامساً: الإنكار والتوبيخ والتفريع أسلوب تربوي يستفاد منه عند الضرورة ﴿ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلَهَا ﴾ (الأعراف: ١٤٠)

وهذا الأسلوب أسلوب تربوي نبوي استخدمه الرسول ﷺ في علاج حالات بعض المظاهر السلوكية الخاطئة، فعلى سبيل المثل لا الحصر عالج ﷺ خطأ سلوكياً ارتكبه الصحابي الجليل أبو ذر⁽⁵⁾

1 فينكس فيليب ه.، فلسفة التربية، (ص482-483)،

2 اللوياني، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية، (ص128-129).

3 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (3/308).

4 الغزالي، ليس من الإسلام، (ص11).

5 هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، من السابقين في الإسلام،

يضرب به المثل في الصدق. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي

عثمان، فسكن دمشق وكان نصيراً للفقراء، وكان من نبلاء الصحابة وفضلائهم وقرائهم، ، وَكَانَ يُؤَاوِي ابْنَ مَسْعُودٍ

فِي الْعُلْمِ وَالْفَضْلِ، وَكَانَ زَاهِدًا أَمَارًا بِالْمَعْرُوفِ، رَوَى عَنْ: النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ مَعَاوِيَةَ، تُوْفِيَ 32 هـ، يَنْظُرُ، (البخاري

الكلاباذي، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسادات،(1/146). الأصبهاني، أبو نعيم، معرفة الصحابة،

(2/557). شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ، (2/218). ابن كثير، التكميل في

الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ وَمَعْرِفَةِ الثَّقَاتِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْمَجَاهِيلِ، (3/177). الزركلي، الأعلام، (2/140).

بحق رجل حين عبّره بأمه فقال له: يا ابن السوداء، فقال له الرسول ﷺ "يا أبا ذرٍّ أعبّرتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليّةٌ، إخوانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جعلَهُمُ اللهُ تحتَ أيديكُمْ، فمنَ كانَ أخوهُ تحتَ يدهِ فليطعمهُ ممّا يأكلُ، وليلبسهُ ممّا يلبسُ، ولا تكلفوهُم ما يغلبُهُم، فإن كلفتموهُم فأعينوهُم"⁽¹⁾.

والشاهد في هذا الحديث أن الرسول ﷺ استخدم مع أبي ذر أسلوباً تربوياً فيه التوبيخ والإنكار والتفريع حين قال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، بسبب قول أبي ذر لشخص ما إنك ابن السوداء، ثم وعظه بما يلائم المقام ويناسب التوجيه⁽²⁾.

أسلوب التوبيخ والتفريع والتعنيف أسلوب تربوي مشروع، أقره علماء التربية القدامى والمعاصرون المسلمون وغير المسلمين، وهذا الأسلوب ليس عاماً يستعمله المربي أو المعلم متى شاء وكيف شاء؛ بل يُستعمل مع من أخطأ فأصرَّ على الخطأ، يستوي فيه من أخطأ في موقف، وأصرَّ عليه غير عارف بخطئه، ومن عرف أنه مخطئ فأصرَّ عليه معانداً، وإن كان الثاني أشدَّ زلةً، إذاً فالتوبيخ والتفريع نتيجة لتكرار الخطأ دون الرغبة في تركه إلى الصحيح من القول والفعل.

وقد يكون هذا الأسلوب: عادة يأتي بعد فضح المواقف التي اتسم بها من حاد عن الصواب، فاستحق العقاب وفي الحياة المدرسية يصاب أولاد كثيرون مرة بعد مرة بالخبية، ويتعرضون للانتقاد، والتوبيخ، والاحتقار. فتنبط عزائمهم ويفقدون الثقة بالنفس وينحط عندهم مستوى الطموح، ويشعرون بالنقص وعدم الاستحقاق النفس. هؤلاء الأولاد هم بأمس الحاجة إلى معلم بارع، صاحب شعور مرهف، يفهم أحوالهم، ويحلل مشكلاتهم، ويدرك حاجاتهم ويحيطهم بعطفه⁽³⁾.

والخلاصة: أن أسلوب التفريع والتوبيخ أسلوب تربوي مشروع، يمكن استخدامه بالضوابط والشروط التي وضعها التربويون القدامى منهم والمعاصرون.

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر، رقم(30). (20/1).

مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك، رقم(4403). (92/5).

2 ينظر، علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (765/2).

3 غالب، حنا، التربية المتجددة وأركانها، (434ص).

سابعاً: الإرهاب والطغيان يملأ النفوس بالجبن والذل، وبالحدق والقسوة

﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف: ١٤١)

يرى ابن القيم الجوزية أن طلب موسى وهارون عليهم السلام من فرعون "أن يرسل معهما بني إسرائيل ويخلي بينهم وبينهما ولا يعذبهم، ومن طلب من غيره ترك العدوان والظلم وتعذيب من لا يستحق العذاب فلم يطلب منه شططاً، ولم يرهقه من أمره عسراً؛ بل طلب منه غاية النصف"^(١).

لأن "عبودية الناس لغير الله تعالى تنشئ في نفوسهم الذلة، وقد أراد الله أن يقيمها على الكرامة، وتنشئ في الحياة الظلم والبغي، وقد أراد الله أن يقيمها على القسط والعدل"^(٢).

ويقول محمد الغزالي: "إن الاستبداد السياسي من أول أسباب الشلل الفكري عند المسلمين، إنه ليس هيناً أن يسير الإنسان في الطريق خائفاً يترقب، فقد تهوي عصا على أم رأسه تؤدي بحياته، أو تناله صفة على قفاه تؤدي بكرامته، أو يؤخذ بتلابيبه فيرمى في السجن لا يدري شيئاً عن أهله وولده، إن الحاجة إلى الاستقرار النفسي كالحاجة إلى القوت"^(٣).

ومن أهداف الإسلام "حرب السلطات الطاغية، والفتن المضللة، حتى تتوطد في الأرض حرية الضمير والعقل، فلا يذل حق، ولا يهون إيمان، إن الجهاد المثمر يحول الخير من علوم نظرية، ومسالك فردية، إلى حقائق ثابتة، وتقاليد عامة، ومناهج منظمة"^(٤).

وأخيراً فإن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، وكره أن يتسلط إنسان مهما بلغت درجته على بقية عباد الله وتحت أي ذريعة كانت، ويسوم الناس سوء العذاب ظلماً وعدواناً، ويفرض عليهم ما يشاء من قرارات تمس شؤون حياتهم المختلفة، فالطغيان من أسوأ أشكال الظلم، وأسوأ أنواعه أن يكون جماعياً منظماً ممثلاً لحالة استبداد عامة ذي آليات عمل منظمة وأساليب وتكتيكات ممنهجة للوصول إلى حالة استعباد العباد والإفساد في البلاد دون رقيب أو رادع أو حسيب، ويدلل ذلك على العمل الطغياني الجماعي المنظم لإحكام القبضة على الشعور بالقوة والسيادة على الناس بالحديد والنار يرهق النفوس ويذلها ويقتل إبداعاتها"^(٥).

1 ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، (2/396).

2 قطب، في ظلال القرآن، (4/1867).

3 الغزالي، محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار النشر، القاهرة، (ص45-46).

44 الغزالي، محمد، ليس من الإسلام، (ص25).

5 اللوياني، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية (ص167).

المطلب الثاني: مرحلة الإعداد والتربية للداعية والمدعويين

ويأتي تفصيل هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين

إن مرحلة الإعداد والتربية لا بد منها لصاحب الدعوة ومعلم الناس الخير والقُدوة في التربية هي من أنجح الوسائل المؤثرة في اعداد الولد خلقياً، وتكوينه نفسياً واجتماعياً، ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل والأسوة الصالحة في عين الولد يقلده سلوكياً، ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تتطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري !! ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في الإصلاح للولد أو فساده: فإن كان المربي صادقاً أميناً خلقاً كريماً شجاعاً عفيفاً نبيلاً. نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة والنبل، وإن كان المربي كاذباً خائناً متحلاً بخيلاً جباناً ندلاً، نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والندالة⁽¹⁾.

ومن هنا كان لابد للمربي والداعية من تربية وإعداد، حتى يتحمل تبعات هذه الدعوة وثقل هذه المواجهة، فيثبت ولا ينكص ويصبر ولا يجزع، وتحتمل نفسه كل هذا العنت وهي راضية مرضية معتمدة على ربه متوكلة عليه ترجو ما عنده، وترى في لقائه سبحانه عوضاً عن كل فائت، وهذا ما حصل مع موسى عليه السلام حيث "انتهت المرحلة الأولى من مهمة موسى عليه السلام التي أرسل لها. انتهت مرحلة تخليص بني إسرائيل من حياة الذل والهوان والنكال والتعذيب بين فرعون وملئه وإنقاذهم من أرض الذل والقهر إلى الصحراء الطليقة، في طريقهم إلى الأرض المقدسة، ولكن القوم لم يكونوا بعد على استعداد لهذه المهمة الكبرى، مهمة الخلافة في الأرض بدين الله"⁽²⁾. كما سيتضح للباحث والقارئ من خلال أقوال المفسرين في هذه الآيات في هذا المطلب، يقول الله تعالى:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ

1 علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، (633/2).

2 قطب، في ظلال القرآن، (1367/3).

بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ (الأعراف: ١٤٢ - ١٤٥).

يقول سيد قطب: "كانت هذه المواعدة إعداداً لموسى لنفسه، كي يتهيأ في هذه الليالي للموقف الهائل العظيم، ويستعد لتلقيه. وكانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة، أضيفت إليها عشر، فبلغت عدتها أربعين ليلة، يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود وينعزل فيها عن شواغل الأرض ليستغرق في هواتف السماء ويعتكف فيها عن الخلق ليستغرق فيها في الخالق الجليل وتصفو روحه وتشف وتنضج وتنقى عزيمته على مواجهة الموقف المرتقب وحمل الرسالة الموعودة" (١).

ويقول محمد رشيد رضا (٢) في موضوع المواعدة ما ملخصه: أن سياق هذه الآيات معطوف على السياق التي قبلها المبدوء بقوله تعالى ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ (الأعراف: ١٣٨) وكلمة (واعدنا) مأخوذة من المواعدة، باعتبار أن الله تعالى ضرب لموسى موعداً لمكالمته وإعطائه الألواح المشتملة قواعد الشريعة الموجهة لبني إسرائيل، والميقات أخص من الوقت فهو الوقت الذي قرر فيه عمل من الأعمال كمواقيت الحج، والمراد بالليلة ما يشمل الليل والنهار في عرف العرب عند الإطلاق. (٣).

وفي قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ (الأعراف: ١٤٢) ما يدل على "التحنن، أي أنني لي بك صلة قبل أن تكون شريكاً لي في الرسالة، فأنا أخ لك وأنت أخ لي، ومن حقي عليك أن تسمع كلامي وتخلفني. فالأخوة مقرونة بأنك شريك معي في الرسالة إذن نجد أن موسى قد قدم حيثية الأخوة والمشاركة في الرسالة" (٤).

فأوصى موسى ﷺ أخاه هارون بقوله:

1 قطب، في ظلال القرآن، (3/1367).

2 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب. من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة بالقاهرة. ومن أهم مؤلفاته: "تفسير المنار الذي وصل فيه إلى سورة يوسف. الوحي المحمدي. نداء للجنس اللطيف. وتاريخ الأستاذ الإمام والخلافة. السنة والشيعية. وحقيقة الربا. ومناسك الحج. ت 1354هـ، ينظر (ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين) ص(74). الزركلي، الأعلام، (6/126).

3 رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المنار، مصر، ط2، 1948م (9/120).

4 الشعراوي، تفسير الشعراوي، (7/4338).

﴿أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢) ويوضح (سيد قطب) من خلال هذه الآية أن "المسلم للمسلم ناصح، والنصيحة حق وواجب للمسلم على المسلم . ثم إن موسى يقدر ثقل التبعة، وهو يعرف طبيعة قومه بني إسرائيل! وقد تلقى هارون النصيحة، لم تنتقل على نفسه! فالنصيحة إنما تنتقل على نفوس الأشرار؛ لأنها تقيدهم بما يريدون أن ينطلقوا منه، وتنتقل على نفوس المتكبرين الصغار، الذين يحسون في النصيحة تنقصاً لأقدارهم! إن الصغير هو الذي يبعد عنه يدك التي تمتد لتسانده ليظهر أنه كبير"^(١).

وبعد النصيحة التي وجهها موسى ﷺ لأخيه هارون اتجه موسى ﷺ للقاء ربه، وعندما وصل موسى ﷺ في موعد المحدد والميقات المعلوم، ﴿وَكَلِمَةُ رَبِّهِ قَال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) وكلام الله تعالى ليس ككلام البشر؛ فكان لحظات تختلط فيها المشاعر، وتمتزج فيها العواطف، إنها لحظات "مذهلة وموسى يتلقى كلمات ربه وروحه تتشوف وتتشف وتشتاق إلى ما يشوق! فينسى من هو، وينسى ما هو، ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشر في هذه الأرض"^(٢).

يطلب الرؤية الكبرى وهو مدفوع في زحمة الشوق ودفعة الرجاء ولهفة الحب ورغبة الشهود، حتى تنبئه الكلمة الحاسمة الجازمة: «﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾﴾ (الأعراف: ١٤٣) ثم يترفق به الرب العظيم الجليل، فيعلمه لماذا لن يراه، إنه لا يطيق ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ (الأعراف: ١٤٣) والجبل أمكن وأثبت. والجبل مع تمكنه وثباته أقل تأثراً واستجابة من الكيان البشري، ومع ذلك فماذا؟ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رَجُلًا مِّنَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ (الأعراف: ١٤٣) وقد ساخت نتوءاته فبدا مسوياً بالأرض كأن لم يكن هناك جبل شامخ مرتفع .. وأدركت موسى رهبة الموقف ، وسرت في كيانه البشري الضعيف ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف: ١٤٣) مغشياً عليه ، غائباً عن وعيه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) وثاب إلى نفسه ، وأدرك مدى طاقته ، واستشعر أنه تجاوز المدى في سؤاله ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣). بتزهت وتعاليت عن أن ترى بالأبصار وتدرك ﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) .. عن تجاوزي للمدى في سؤالك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣). والرسول دائماً هم أول المؤمنين بعظمة ربهم وجلاله^(٣). وخالصة ما سبق في موضوع طلب موسى رؤية الله عز وجل، دلالة على أن

1 قطب، في ظلال القرآن، (1368/3).

2 قطب، في ظلال القرآن، (1368/3).

3 قطب، في ظلال القرآن، (1369/3)،. الجزائري، أيسر التفاسير، (225/2).

ابن عاشور، التحرير والتنوير، (89/9).

البشر جميعاً قدرتهم جُداً محدودة، وعليهم أن يصرفوا تفكيرهم إلى ما يُعرفُهُم بربهم أكثر ويبصرهم بحقيقة وجودهم في الأرض.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. العزلة والاتصال وموقف المُربي الناجح والداعية الواعي ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾

(الأعراف: 142)

2. الإمارة والقيادة الصالحة المصلحة شرط لتنظيم حياة الناس. ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾

(الأعراف: 142)

3. الاستعانة ببعض الدعاة والمربين في تحمل تكاليف الدعوة وفي الاستفادة من خبراتهم

التربوية ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾ (الأعراف: 142)

4. قبول المسلم النصيحة من غيره علامة خير وإيمان ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (الأعراف: 142)

5. أنين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين ﴿بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 143)

(143)

6. أنا الخير وأهميتها في التربية الإيمانية ﴿بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 143)

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: العزلة والاتصال وموقف المُربي الناجح والداعية الواعي. ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾

(الأعراف: 142)

العزلة بمفهومها السلبي "خروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع"⁽¹⁾.

وعلى صعيد تربية الطفل يحذر بعض المتخصصين في علم التربية والسلوك من عزلة الطفل القاتلة والسلبية، والتي سببها الحب الكثير الزائد والمفرط، والذي من شأنه أن يتساوى مع الحرمان من الحب؛ إذ كلاهما ضار مثل الإكثار من الطعام أو الحرمان منه، كلاهما ضار. فالحب الزائد يعوق نمو الطفل، ولا يعطيه فرصة في الاستقلال والاعتماد على النفس، بل يشعره بالعجز عندما

1 المناوي، التوقيف على مهام التعريف، (ص513).

يخرج الى الحياة الاجتماعية، فيصبح الفرد متمركزاً حول ذاته أنانياً. فعندما يكبر الطفل ويخرج للحياة لا يجد الاهتمام الذي كان يجده من أسرته ومن أفراد المجتمع، فيحس بأن الدنيا لا تقدره، فيختل توازنه وتوافقه مع الآخرين ويتخذ سلوكه شكلاً عدوانياً أو انسحاباً وانعزالاً عن الحياة⁽¹⁾.

إلا أن العزلة بالمفهوم الإيجابي، هي العزلة الشعورية حيث " كان هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية، فهو انفصل نهائياً من بيئته الجاهلية واتصل نهائياً ببيئته الإسلامية، حتى ولو كان يعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر "⁽²⁾.

والعزلة تعني الإحساس بعدم الانسجام، مع هذا النسق الاجتماعي، أو ذلك النظام الأخلاقي، والاختلاف مع هذا المجتمع في مسائل جوهرية وهو يعني بالضرورة عزلة شعورية، نشعرنا أننا لا ننتمي لذلك المجتمع، (ثقافياً وأخلاقياً). لكننا في الوقت نفسه نتفاعل مع مؤسساته التعليمية والاقتصادية، والسياسية كذلك، والعزلة الشعورية لا تعني الانزواء عن المجتمع وهجره، وقطيعة مع أفرادها، وفي ذات الساق يقول محمد الغزالي: إنه " لا بد من طليعة، تعزم هذه العزلة، وتمضي في الطريق، وهي تزاوّل نوعاً من العزلة من جانب، ونوعاً من الاتصال من الجانب الآخر، مع شرائح المجتمع، المطلوب دعوتها وتربيتها ومفهوم العزلة هنا عزلة الشعور من أن يدنسها رغام الجاهلية، عزلة النفس واستعلاء إيمانها وهي تمضي ثم إن العزلة والاختلاط لا يمكن أن يكونا صفتين دائمتين للإنسان. فليقسم المسلم وقته بين الخلوة النافعة والاختلاط الحسن، ليخرج من الحالين بما يصلح شأنه كله"⁽³⁾.

فَالْمُخَالَطَةُ إِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَهِيَ مَحْمُودَةٌ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَهِيَ مَذْمُومَةٌ بَلْ وَمَنْهِيٌّ عَنْهَا، وَكَذَلِكَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي يَزْدَادُ الْعَبْدُ بِهَا إِيمَانًا إِمَّا لِإِنْتِفَاعِهِ بِهَا وَإِمَّا لِإِنْفَعِهِ لَهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ أَوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَفَكُّرِهِ

1 معوض، خليل ميخائيل، سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية،

ط3، 1994، (ص 58)

2 قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1979م، (ص17).

3 الغزالي، خلق المسلم، (ص156).

وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُشْرِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ فَهَذِهِ يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى انْفِرَادِهِ بِنَفْسِهِ لِيَخْلُوَ مَعَ رَبِّهِ فَيَهْتَبُ نَفْسَهُ وَيُرَبِّيهَا عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ⁽¹⁾.

كما "أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق، وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك، فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستنقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه وديناه في الانتقام منهم"⁽²⁾.

كما أن العزلة لا تعني بأي حال من الأحوال أن يعمل الإنسان "لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن أن تتجح حياته أيضاً إذا عاش حياة منعزلة فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة بما يصاب به في النهاية من أمراض نفسية، كما أنه ضار تربوياً تجاه الطفل إذا أبعده عن المجتمع"⁽³⁾.

ويقول محمد الغزالي: "اننا قد نبيح عزلة مؤقتة يحصن المرء فيها نفسه، ويسد الثغور التي ينفذ فيها عدوه، حتى إذا قوي واستكمل الأهبة خرج منازلنا لأعداء الله، ومعلينا شعار الحق وربما تعلق المعتزل بأنه سيكون أهدأ بالاً، وأرق روحاً، وأدوم ذكراً لله، وهذا تعلق مرفوض، فإن تعريف الجاهلين بربهم، وتذكير الناس بولي أمرهم ونعمتهم، أهم وأجدى من صفاء النفس وهدوء الأعصاب"⁽⁴⁾.

ومن شروط التربية السليمة أن لا يحيا المربي حياة سلبية منطوية معزولة" فالشرط الأول أن يكون المرء مربيّاً صالحاً، ومحبة الأطفال والشعور بالحاجة إلى التضحية في سبيل أضعف المخلوقات وأكثرها انفتاحاً على المؤثرات جميعها وأشدّها ثقة بقوة الراشد وصلاحه، وتفترض محبة الأطفال قدرة المربي على أن يبقى هو نفسه شاباً، إذ عليه أن يكون إيجابياً وعملياً مباشراً، وليس بعيداً منعزلاً"⁽⁵⁾.

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1987م (162/2).

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، (230/2).

3 يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية، (ص56).

4 الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم دمشق، 1997، ط2، (ص74).

5 وبير، رونيه، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1972م، (ص781-782).

وخلص ما سبق: أن العزلة لا تعني الانقطاع التام عن دعوة الناس وتربيتها وتوجيهها وإرشادها بحجة صفاء العقل ونقاء النفس وعدم التلوث بلوثة الانحرافات الفكرية والسلوكية التي تعيشها بعض المجتمعات، وهكذا كانت عزلة موسى انقطاع مؤقت عن المجتمع هذا من جانب، ومن جانب آخر اتصال وخلوة مع ربه ليتقوى على اقتحام الأخطار ومواجهة التحديات، وبعد ذلك يعود إلى قومه يدعوهم ويبلغهم ويرشدهم ويصحح سلوكهم المنحرف، وفكرهم الضال.

ثانياً: الإمارة والقيادة الصالحة المصلحة شرط لتنظيم حياة الناس ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾

(الأعراف: ١٤٢)

فمن هذا المفهوم أخلف موسى ﷺ أخاه هارون على قومه؛ ليكون لهم قائداً وموجهاً تربوياً وناصحاً وهذا شرط مهم من شروط الفكر التربوي، والقيادة لا تتربى ولا تربي غيرها إلا إذا تربت على العبادات التي شرعها الله لعباده المؤمنين والتي بدورها تربي في النفوس روح القوة. قوة العقيدة، وقوة الإرادة، وقوة السيطرة على جوامح النفس ونوازعها، فإذا كان الإسلام ينمي في أتباعه هذه الروح الواثبة، فينبغي على كل شاب مسلم أن يرسم لنفسه طريقاً في الحياة، وأن يتخذ لنفسه مثلاً أعلى يعمل على تحقيقه، وليعلم علم اليقين أن الله عز وجل دفع بالإنسان إلى هذه الحياة وهو مزود بمواهب معينة، هذه المواهب تذبل وتموت عند الإنسان الخانع الكسول المحب للراحة والدعة أما الذي يحرص على تربية نفسه فسيقود ويسود ويفوز ويؤثر فيمن حوله وفيمن يربيهم^(١).

وعلى صعيد عملية التعليم والتعلم فالمطلوب إيجاد كفايات تدريسية لازمة للمعلم المتدرب ليصبح قائداً تربوياً مؤثراً وفاعلاً وعلى العموم، يمتاز برنامج الإعداد بالكفايات التدريسية بالخصائص الآتية:

1. يتكون برنامج الكفايات من مجموعة من المهارات التدريسية المتدرجة التي يراها المربون ضرورية لنجاح عمليات التعليم في المدارس الواقعية
2. يتميز برنامج الكفايات بكونه برنامجاً تحضيرياً انتقائياً يستخدم في آن واحد مفاهيم وتنظيمات متنوعة للتربية العملية، كالملاحظة والتعلم الفردي الخاص والمعلم المساعد والمعلم المتمرن المقيم وتدريب الفريق والتدريس المصغر وغيرها.

1 واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبي القاهرة، ط3، 1989م، (ص223).

3. يتميز برنامج الكفايات في اعتماده الواسع على وسائل وتكنولوجيا التعليم في عمليات إعداد الطلبة وتدريبهم على المهارات المطلوبة.

4. يتميز برنامج الكفايات بالفردية في عمليات التعلم والتعليم _ أهدافاً ومحتوى أنشطة ومدى زمنية. يتقدم كل طالب متدرب حسب سرعته الذاتية، متعلماً ما يحتاج من مهارات ومنفذاً إياها في الوقت الذي يستأنس بقدرته على ذلك⁽¹⁾.

ثالثاً: الاستعانة ببعض الدعاة والمربين في تحمل تكاليف الدعوة وفي الاستفادة من خبراتهم

التربوية ﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ (الأعراف: ١٤٢)

فموسى عليه السلام في رحلته الطويلة والشاقة مع فرعون، ومع قومه بني إسرائيل، كان بحاجة إلى من يعاونه ويسانده بعد الله تعالى من البشر، وبالذات من الأقربين الصالحين، فهذا هو يطلب من الله تعالى أن يجعل له معيناً من أهله وظهره، فمَنَّ اللهُ تعالى عليه بأن جعل له أخاه هارون ظهيراً ومعيناً ونصيراً، كما أنه يجوز للدعاة والمربين من بعد موسى أن يستعينوا بالأقرباء الصالحين ومما توفر من الصالحين غير الأقربين؛ لأن قرابة المرء وصحبته ومعاونيه هم أهل الإيمان وإن بعدت بينهم القرابة والعشيرة، ولكن إذا اجتمع في الإنسان عنصراً القرابة والدين فهذا جمال على جمال، وفي هذا السياق يقول الشعراوي:

أن الإنسان بطبيعته وفطرته بحاجة إلى من يساعده على نوائب الدهر، ولا أحد يستغني عن هذه المساعدة، وليس أحد من البشر إلا وفيه نقص وثغرة في سلوكه وتربيته، فإن اكتملت في الإنسان صفة نقصت فيه أخرى، وإن نقصت في غيره صفة اكتملت فيها صفات مما يدل على أن كلاً من البشر يكمل نقص الآخر، وهذا الكلام الذي سبق يتبين لنا جلياً في قصة موسى عليه السلام مع أخيه هارون، حيث أن كلاً منهما يُعَوِّضُ النقص في أخيه. فهارون عليه السلام كان به لينٌ وحلمٌ، وموسى كان حاداً سريع الغضب، فكان هارون للين، وموسى للشدة.⁽²⁾

فمن هنا لا بد من معرفة الفروق الطبيعية والفردية بين الخصائص والصفات التي أودعها الله تعالى في الناس فتجد إنساناً قوياً في جسده ضعيفاً في عقله واستيعابه، وآخر شجاعاً مقداماً لكنه فظ غليظ قاسٍ، وفي المقابل تجد شخصاً آخر رقيقاً ليناً، وتجد شخصاً عاطفياً انفعالياً سريع الغضب، وتجد آخراً عاقلاً حكيماً بطيء الغضب، فما المطلوب تربوياً في هذه الحالات النفسية المختلفة!

1 حمدان، محمد زياد، التربية العملية الميدانية مفاهيمها وكفاياتها وممارساتها، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م، (ص36-37).

2 ينظر الشعراوي، قصص الانبياء والمرسلين، مكتبة التراث الإسلامي، ط2، 2001م، (ص347-348)

المطلوب أن يكون بين تلك الحالات تكامل لا تفاضل، بمعنى أن يكمل كل منهم نقص الآخر لا يرى نفسه أفضل منه في بعض الصفات التي من الله تعالى عليه بها، لأن الكل عنده نقص، ومن هنا تبرز أهمية مراعاة الفروق الفردية في عملية التعليم والتعلم لأنه ما من تلميذين يستجيبان لمؤثرات ظرف تعليمي معين الاستجابة نفسها، بل يسلك كل منهما سلوكاً فريداً خاصاً به، نتيجة للفروق الفردية القائمة بينها في الوراثة، والبلوغ الجسدي، والذكاء، والمهارات لعضلية والعقلية، والحالة الصحية، والخبرات السابقة. كل هذه وكثير غيرها تعمل معاً لعل كل فرد يسلك سلوكاً فريداً. والحق يقال إن الناس يختلفون لعقولهم وشخصياتهم اختلافهم بمهاراتهم الخارجية. فهم ينمون بمعدلات مختلفة. ويبلغون مستويات نماء وتحصيل قصوى مختلفة. ونماؤهم العقلي أكثر تقلباً من نموهم الجسدي لأنه يتأثر بالتشجيع والفرص لذا لا بد من مراعاة هذه الفروق بين التلاميذ حتى يتعاونوا ويكمل بعضهم بعضاً لا يفضل بعضهم بعضاً⁽¹⁾.

رابعاً: قبول المسلم النصيحة من غيره، علامة خير وإيمان. ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (الأعراف: ١٤٢)

يقول ابن قيم الجوزية "والنصيحة لقاح العقل فكلما قويت النصيحة قوى العقل واستتار"⁽²⁾. والنصيحة واجبة على الناصح تجاه المنصوح، كما هو واجب على المنصوح أن يتقبل نصيحة الناصح، بل قبول النصيحة من الأخلاق الفاضلة التي توجب على المربي أن ينصح غيره ويقبل نصيحة غيره، وفي عملية التعليم والتعلم وفي عالم التربية والسلوك، أن ينصح المعلم المتعلم ويقبل المتعلم النصيحة، وأن ينصح المربي تلاميذه ويستجيب الطلبة والتلاميذ لإرشادات ونصائح مربيهم،

يقول ابن قيم الجوزية: تذكير العبد بمراد الله تعالى من النصيح والنصيحة، وسواء كانت هذه النصيحة بالإرشاد والتحذير، أو بالتهديد والوعيد، فهي منة الله، وإلا فهي حجة وكل بصيرة وموعظة وتذكير وتعريف من تعريفات الحق سبحانه إلى العبد اتصل به عبرة ومزيد في العقل ومعرفة في الإيمان فهي منة وإلا فهي حجة وكل حال مع الله تعالى أو مقام اتصل به السير إلى الله وإيثار مراده⁽³⁾.

1 غالب، حنا، التربة المتجددة وأركانها، (ص451)،

2 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص200).

3 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (1/173).

وواجب النصيحة الأصل أن يقوم به العلماء والمريون، وأن يسلكوا سلوك تربية الأنبياء وطريقتهم في التبليغ، وذلك بالصبر والاحتمال، ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان، والرفق بهم، واستجلابهم الى الله بأحسن الطرق، وبذل ما يمكن من النصيحة لهم؛ فإنه بذلك يحصل له نصيبهم من هذا الميراث العظيم وقدره الجليل⁽¹⁾.

والمربي الناصح والداعية المرشد يجب ألا يحمل في قلبه الغل والغش في النصيحة، لأن "مناصحة أئمة المسلمين هذا أيضا مناف للغل والغش؛ فإن النصيحة لا تتوافق مع الغل؛ إذ هي ضده فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل والغش فإن صاحبه لزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ويسوؤه ما يسوؤهم ويسره ما يسرهم وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن⁽²⁾.

ومن هنا جاءت توجيهات الرسول ﷺ يبين فيها أن " الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "⁽³⁾.

وأخيراً على المسلم قبول النصيحة ممن كانت وممن خرجت فالحكمة ضالة المؤمن فإن وجدها كان أحق الناس بها، وهذا ما يؤكد أبو حامد الغزالي في قوله للمنصوح "واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم"⁽⁴⁾.

والخلاصة أن النصيحة هي عبارة عن تواصلٍ بالحق والصبر ولا خير في الإنسان إن لم ينصح من أخطأ ولا خير في المنصوح إن لم يقبل نصيحة الناصح، فمن هنا على المربي والداعية ألا يجامل الناس على أخطائهم بل ينصح ويذكر بأدب النصيحة وشروطها، والمنصوح عليه أن يستجيب للنصيحة وإن رفضها يكون مبتلى بأمراض نفسية خطيرة كالكبر والغرور والعجب عليه معالجتها.

1 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (66/1).

2 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (72/1).

3 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم(205)، (53/1).

4 الغزالي، إحياء علوم الدين، (55/1).

خامساً: أنين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين ﴿بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الأعراف: ١٤٣)

الخطأ طبيعة البشر كما هو النسيان، والمسلم كباقي البشر يُخطئ كما يُخطئون وينسى كما ينسون، إلا أن الله تعالى جعل للمسلم علاجاً تربوياً عندما يُخطئ أو يرتكب ذنباً، وهذا العلاج هو الاستغفار، حتى أن رَسُولَ ﷺ يقول: "إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، مِئَةَ مَرَّةٍ"^(١). فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ "يَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ مَعَ عِظَمِ شَأْنِهِ وَكَوْنِهِ مَعْصُوماً. فَكَيْفَ لَا يَشْتَغِلُ بِالْإِسْتِغْفَارِ لَيْلاً وَنَهَاراً مَنْ أَتَقَلَّتْ ظَهْرُهُ الذُّنُوبُ وَالْأَوْزَارُ، وَاسْتَكْتَرَّ مِنَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ" كان الأبرار يتواصلون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة^(٢).

ولعلاج الخطأ والخطيئة التي تحصل من الإنسان لا بد من الاعتراف بالخطأ، لأن الاعتراف يزيل مشاعر الخطيئة والإثم، ويخفف من عذاب الضمير ويطهر النفس المضطربة. وأن يكون عنده استبصار والاستبصار يزيد المريض القدرة على تنمية الذات البصيرة، وهي الذات التي لها القدرة على التحكم بالسلوك السوي للإنسان وبعد هاتين الخطوتين التوبة والتي تعتبر هي طريق الأمل بالغفران، فهي تشعر الفرد بالتفاؤل والراحة النفسية^(٣).

أما العُجب فإنه يورث الكبر الباطن والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال وبهذا المرض النفسي الخطير تفسد الأعمال^(٤).

ويقول ابن قيم الجوزية: أن المؤمن يعمل الحسنة وتزين له نفسه أنه فعل شيئاً عظيماً فهذا التزيين يمن به على الله تعالى، مما يؤدي هذا المن إلى التكبر الذي بدوره يؤدي إلى التناول والعُجب والغرور، مما يؤدي هذا المرض _العُجب_ إلى هلاك صاحبه، فمن هنا إذا أراد الله تعالى بهذا الإنسان خيراً ابتلاه بأمر يكسر غروره ويرده إلى الله تعالى مخلصاً معترفاً بذنبه وسوء أدبه فيشعر

1 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والإكثار من، رقم(7033).

(72/8).

2 ابن قيم الجوزية، العزلة والانفراد، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار الوطن، السعودية، 1997م،

(ص101).

3 عبد العزيز، مفتاح محمد، القرآن وعلم النفس، (ص183).

4 الغزالي، إحياء علوم الدين، (3/353).

بالألم والأنين، ويعتصر ألماً على ما بدا منه من عُجبٍ وتكبرٍ وغرور فعندئذٍ يصدق قول القائل أنين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين⁽¹⁾.

ويرى الباحث أن الكبر والغرور والعُجب أمراض نفسية تربوية مختلفة في الألفاظ، متداخلة متشابهة في دلالاتها التربوية والنفسية، وكأنها تتحد في المعنى وتختلف في اللفظ فقط، فمثلاً يتبين أن الغرور؛ سببه الكبر والعُجب، ولو لم يكن الإنسان متكبراً لم يكن مغروراً، فمن هنا يكون أنين المذنبين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين.

وأخيراً يُعتبر "انفعال العجب من أبرز الانفعالات التي يتعرض إليها المراهق في هذه المرحلة النمائية، والتي تشمل جميع جوانب شخصيته، ذاته الجسمية، طاقاته النفسية، قدراته العقلية والإنشائية، ميوله ورغباته وإمكانياته الاجتماعية لغير ذلك من مظاهر النمو، فينشأ العجب عندما تستولي الذات الجسمية على تفكير المراهق، فنكون شغله الشاغل يأخذ بالمقارنة بين ذاته الجسمية وذوات أقرانه، ويعجب المراهق بنسب أسرته ومنزلتها الاجتماعية وكثرتها العددية وتراثها المالي وغير ذلك"⁽²⁾.

سادساً: أنا الخير وأهميتها في التربية الإيمانية. ﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) كلمة (أنا) في العرف الاجتماعي السائد بين الناس كلمة مكروهة في معظم الأحوال التي تُذكر فيها؛ لأن فيها إشارة إلى الحديث عن الذات، والمبالغة في الإطراء عليها بحق، أو بغير حق، إلا أنها في التربية القرآنية لها إشارات ودلالات مختلفة، منها ما له إشارة أو دلالة سلبية، والتي تسمى (أنا) الكبر، ومنها ما له إشارة إيجابية، وهي (أنا) الخير (أنا) العطاء، (أنا) التضحية، (أنا) الفداء. والقرآن الكريم لم يكتفِ منّا بالسرعة والتسارع؛ بل دعانا إلى السبق، بل يريدك أن تكون الأول في كل شيء، والأنا التي يحبها الله تعالى ليست (أنا) الكبر وليست (أنا) الأنانية والأثرة، أنا وليذهب الجميع إلى الجحيم،" وكان الصحابة الكرام، خير مثال لأنا الخير والبذل والتضحية والفداء والعطاء، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَانِئًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. قَالَ «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. قَالَ «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. قَالَ «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ

1 ينظر، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985م، (ص11).

2 الزعبلاوي، تربية المراهق بين الاسلام وعلم النفس، (ص183).

مَرِيضًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽¹⁾.

وفي ذات السياق يؤكد محمد الغزالي أن الأنانيين في كل مجتمعٍ لعنةٌ ماحقةٌ، تحترق في سعيها الفضائل والمصالح، وتذوب في مرضاتها الأفراد والجماعات، وأن الأنا التي يقولها امرؤ في مجال الطمع، غير (أنا) التي يهتف رجال في مجال الفزع، وبين الاثنين بُعدُ المشرقين. كما أنه يوجد فريق من الناس يربط رأيه بمدى المنفعة التي تعود عليه، فإن امتلأت يده صاح حامداً، وإن نسي أو تنوسي انفتل يصخب ويحتج ويتلمس المطاعن ويتتبع عورات الآخرين يكتم الخير وينشر السوء والشّر مما يدل على أن صاحب هذه النفسية تسيطر عليه (أنا) الطمع و(أنا) الأنانية، كما أن جمهوراً كبيراً من الناس يعيشون في حدود مطالبهم الخاصة، فإذا كانت لهم حاجة اشتد إحساسهم بها، وطال إلحاحهم في قضائها، أما إذا كان عليهم شيء فهم يذهلون عنه، وهذا لون من الأثرة الجشعة الجائرة⁽²⁾.

والخلاصة أنه يوجد أكثر من نوع من الأنا: (أنا) الكبر و(أنا) الأنانية و(أنا) الغرور، كلها مذمومة، والأنا المرغوبة والمطلوبة هي: (أنا) إنكار الذات (أنا) الهمة (أنا) العطاء (أنا) الوفاء والخ.

المطلب الثالث: اصطفاء الله تعالى لموسى ﷺ في تلقي الرسالة والكلام

والذي يقول الله تعالى في وصف مشهده: ﴿ قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مَنِ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ (الأعراف: 144-145) وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أقوال المفسرين:

يقول سيد قطب: إن الله تعالى حين أمر موسى ﷺ أن يأخذ ما آتاه، وأن يشكر الله تعالى على نعمة الاصطفاء والعطاء، كان أمراً للتعليم والتوجيه لما ينبغي أن تقابل به نعمة الله.

1 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم 2421، (92/3).

2 الغزالي، جدد حياتك، شركة نهضة مصر، ط9، 2005م (ص 139-140-147)

والرسل -صلوات الله وسلامه عليهم -قدوة للناس، وللناس فيهم أسوة، وعلى الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والشكر؛ استزادة من النعمة، وإصلاحاً للقلب، وتحرزاً من البطر، واتصالاً بالله.

ثم يبين السياق ماذا كان مضمون الرسالة، وكيف أوتيتها موسى عليه السلام: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٤٥).

والمهم هو ما في هذه الألواح، إن فيها كل شيء يختص بموضوع الرسالة وغايتها من بيان الله، وشريعته، والتوجيهات المطلوبة لإصلاح حال هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل، وطال عليها الأمد فأمرهم الله تعالى أن يأخذوا تعليمات ما في هذه الألواح ﴿ بِقُوَّةٍ وَأْمُرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ (الأعراف: ١٤٥)، والأمر الإلهي الجليل لموسى عليه السلام أن يأخذ الألواح بقوة وعزم، وأن تكون له جديته في النفس، وصراحته وحسمه. ولا ينبغي أن يؤخذ في رخاوة، ولا في تميم، ولا في ترخص، ذلك أنه أمر هائل في ذاته، فضلاً عن أن تكاليفه باهظة لا يصبر عليها من طبيعته الرخاوة والتميم والترخص، والجديّة لا تعني التشدد والتعنّت والتعقيد والتنطع المؤذي والمسيء، فهذا ليس من طبيعة دين الله ^(١).

ويرى الشعراوي أن الاصطفاء هو استخلاص الصفوة، وقوله: ﴿ أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (الأعراف: ١٤٤) تعبير فيه دقة الأداء؛ لأنه لو قال "اصطفيتك" فقط، ولم يقل على الناس، فقد يفهم الاصطفاء على الملائكة أيضاً. ولكن الاصطفاء هنا محدد في دائرة الاصطفاء البشري، وقوله تعالى: ﴿ فَخَذُّ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٤). أي لا تنظر إلى ما منعتك، بل اذكر أنني اصطفيتك وكلمتك، وعليك أن تشكر لي هذا. ولذلك يجب على الإنسان المؤمن حين يتلقى قضاء الله فيه أن ينظر دائماً إلى ما بقي له من النعم، لا إلى ما سلب عنه من النعم ^(٢).

خلاصة ما ورد في هذا المطلب أن الله تعالى حين يصطفي إنساناً ويختاره لحمل رسالته وتبليغ دعوته، فهذا شرف عظيم له ونعمة جليّة القدر، من الله تعالى به عليه، و تستوجب منه الشكر والثناء على الله تعالى، والشكر يكون بالقول والفعل، كما أن الناس الذين اصطفى الله تعالى موسى عليهم هم أهل الزمان الذي عاش فيه موسى، وبعد اختيار موسى رسولاً إلى بني إسرائيل أنزل إليه ألواحاً تحمل في طياتها ما يختص بموضوع الرسالة؛ من بيان التشريعات والإرشادات التي تدعو إلى إصلاح تلك النفوس التي طال عليها الأمد فقتت قلوبها، فأمرهم الله تعالى أن يأخذوا تعليمات

1 قطب، في ظلال القرآن، (3/1369-1370).

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، خواطر، (7/4345-4346). ابن عجيبة، البحر العميق، (2/541).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (7/280). الزمخشري، الكشاف، (2/149).

ما في هذه الألواح ،بقوة وجدية وعزم وصدق نية؛ لأن تكاليف الدعوة إلى الله تعالى لا يحملها إلا الرجال الأقوياء في أخلاقهم، وأجسادهم، وعلمهم، وهذا يتطلب من كل مربٍ وداعية أن تجتمع فيه جميع عناصر القوة ما أمكنه له ذلك.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين:

1. حمل رسالة العلم والتربية والدعوة، شرف عظيم، يصطفي الله تعالى له خيرته من عباده.

﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ (الأعراف: ١٤٤)

2. المربي المسلم يأخذ تشريعات الله وتوجيهاته بجدية وحزم لا يتميخ وترخص. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ

وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ (الأعراف: ١٤٥)

3. كلام الحبيب مع الحبيب، فيه متعة وأنس، وعدم شعور بطول الزمن. ﴿وَبِكَلِمَةٍ﴾ (الأعراف:

١٤٤)

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: حمل رسالة العلم والتربية والدعوة، شرف عظيم، يصطفي الله تعالى له خيرته من عباده.

﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ (الأعراف: ١٤٤)

من الأمور المهمة الواجبة على المربي أن يتحلى بها، بل ويجب أن تكون صفة أصيلة من صفاته أن يكون عالماً بأصول التربية، وأن يكون محيطاً بأمر الحلال والحرام، وأن يكون على دراية بمبادئ الأخلاق وأن يعرف شيئاً عن كل شيء؛ وذلك لأن العلم بهذا كله يجعل من المربي عالماً حكيماً، يضع الأشياء في موضعها، ويربي الولد تربية على أصولها ومقتضاها، ويسير في طريق الإصلاح والتربية على أسس متينة من تعاليم القرآن، وهدى النبي ﷺ... وأما إذا كان المربي جاهلاً، ولا سيما في القواعد الأساسية في تربية الولد، فإن الولد يتعقد نفسياً، وينحرف خلقياً، ويضعف اجتماعياً، ويكون إنساناً من سقط المتاع؛ لا وزن له ولا اعتبار في أي مجال من مجالات الحياة... فعلى المربين أن يتزودوا بالعلوم النافعة، والمناهج التربوية الصالحة من أجل تربية جيل صالح لإرث الآخرة، وقيادة الحياة عن اقتدار^(١).

1 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (785/2).

والدعوة إلى الله "أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام والله يؤتي فضله من يشاء"⁽¹⁾.
والخلاصة أنه من أراد الله به خيراً، يزيد في علمه، بعد إيمانه واستقامته، فيرفع الله ذكره وقدره، في الدنيا والآخرة، ويهبه الحكمة ويُعلِّمه ما لم يكن يعلم، بشرط أن يبلغ هذا العلم للناس بصدق وإخلاص ووعي وفهم لمقاصد الشريعة.

ثانياً: المربي المسلم يأخذ تشريعات الله وتوجيهاته بجدية وحزم لا بتمتع وترخص.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حَسَنًا﴾ (الأعراف: ١٤٥)

والمربي المسلم تحديداً ينبغي أن يكون صالحاً مصلحاً، فاهماً للإسلام على حقيقته، مندفعاً له، مجاهداً في سبيله، مُطَبِّقاً لحدوده وأحكامه، وقافاً عند أوامره وزواجره، لا تأخذه في الحق لومة لائم، فالمربي المسلم، والداعية إلى الله هو الذي يعطي القدوة الكاملة عن الإسلام، فلا يجوز له في دين الله أن يكتم علماً، أو يسكت عن حق، أو يتغاضى عن منكر، أو يتساهل في واجب، أو يحرف الكلم عن مواضعه، أو يخشى أحداً من الناس، أو يُحابي أحداً من ذوي الجاه والسلطان، أو يجد في حق الله مقالاً ثم يسكت⁽²⁾.

ومن هنا كان علماء السلف الصالح قدوات واعية، ونماذج رائعة، في حمل الإسلام ونشر رسالته، بل وتربية الناس عليه، فجمعوا بين العبادة والجهاد، ووقفوا في وجه الظلم والاستبداد، كما أنهم ربطوا الحق بشريعة الإسلام الحق لا بأشخاصهم الفانية، وأخذوا بأمر الله تعالى ونواهيه بكل جدية وحب وتقان⁽³⁾.

الواجب على الداعية أو المربي أن يُعظم شعائر الله؛ لأن تعظيمها من تقوى القلوب، كما أن أخذ تشريعات الله وتوجيهاته بالجدية والحزم والقوة والعزم هي صفات لا بُد من توفرها في الداعية حتى يُصدقه الناس ويتبعوه، قناعة وإعجاباً، وحتى يؤثر فيمن يربيه.

1 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (1/154).

2 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (2/848-850).

3 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (2/858).

ثالثاً: كلام الحبيب مع الحبيب، فيه متعة وأنس وعدم شعور بطول الزمن ﴿وَبِكَلِمَةٍ﴾ (الأعراف: ١٤٤)

في سؤال الله تعالى لموسى عليه السلام عن العصا أطال موسى عليه السلام في الإجابة؛ لأن الكلام بين الحبيب ومن يحبه فيه متعة وانسجام ولذة لا يعرفها إلا من عاش لحظات حب حقيقية، وهل أمتع وألذ وأطيب من الحديث مع رب السماوات والأرض، مع الله الكبير المتعال عز وجل، وهو "الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه، وقال الله تعالى: على لسان شعيب عليه السلام ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود: ٩٠) وما ألطف اقتزان اسم الودود بالرحيم وبالغفور؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه، ولا يحبه وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه، مع ذلك فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه، عبده أحبه ولو كان منه ما كان ^(١).

ومن حُبَّ الله تعالى لعبده المؤمن ما يمثله الحديث القدسي الذي يقول الله تعالى فيه على لسان رسوله ﷺ: "وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" ^(٢).

هذا الحب بين الله تعالى وأوليائه من البشر، يحبهم ويحبونه، وفي عالم البشر هل يوجد تربية اسمها التربية بالحب؛ نعم يوجد تربية اسمها التربية بالحب، فالأب يجب عليه أن يُسمع أبناءه ما يحبون من الكلمات اللطيفة والودودة، لأن الصورة التي يرسمها الطفل عن نفسه هي أحد نتائج الكلام الذي يسمعه، ومن أنواع التربية بالحب التربية بالعينين، فاجعل عينيك في عين طفلك مع ابتسامة خفيفة وتمتم بصوت غير مسموع بكلمة "أحبك يا فلان، كما أن ضمة الطفل وإشعاره بالحب والحنان، أسلوب تربوي فعّال ومؤثر، والحديث عن التربية بالحب أوسع من أن يُختزل في أسطر قليلة، لكنها لمسات وإشارات مختصرة لعلها تفيد المربين في تربيتهم للأصناف التي يربونها، سواء في البيت، أو في المسجد، أو في المدرسة، أو في الجامعة، أو في أي مكان يلتقي بمن يربيه. ^(٣)

1 ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، (ص 57)

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (6137). (2384/5).

3 /http://islamstory.com/ar

المطلب الرابع: مشهد الهبوط والتردي بانحرافات قوم موسى ﷺ في عبادتهم العجل

ويأتي تفصيل هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين

قال تعالى:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ
وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ (الأعراف: ١٤٨ - ١٤٩)

ويعتبر الطبري^(١) وغيره من المفسرين: أن اتخاذ قوم موسى ﷺ عجلاً جسداً لا حراك فيه، في دلالة على أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل والرشد والحكمة. وذلك أن الله جلّ جلاله الذي له ملك السموات والأرض، ومدبر ذلك، لا يجوز أن يكون جسداً له خوار، لا يكلم أحداً ولا يرشد إلى خير، فهؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهاً كما يقول ابن عجيبة: ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٨) في اتخاذه لأنهم وضعوا الأشياء في غير موضعها، وبعد هذه الاتخاذ ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٤٩) وذلك كناية عن اشتداد ندمهم، فإن النادم المتحسر يعرض يده غمماً، فتصير يده مسقوطاً فيها. ولمّا ندموا على ما فعلوا، ﴿ وَرَأَوْا ﴾ (الأعراف: ١٤٩) أي: علموا ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ (الأعراف: ١٤٩) باتخاذ العجل، وحين صاغ لهم العجل من حليهم ليكون ميلهم إليه أتم لأن قلب الإنسان يميل حيث ماله سيما إذا كان ذهباً أو فضة وكثير من الناس اليوم عبيد الدراهم والدينار وهما العجل المعنوي لهم وإن لم يسجدوا له، إلا أنهم ندموا ندماً شديداً فقالوا ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ (الأعراف: ١٤٩) بالتجاوز عن خطيئتنا ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٩)

1 (ابن جرير الطبري) ت 310 هـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب، صاحب التصانيف البديعة، له الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الأمم، وله كتاب التفسير الذي لم يصنف مثله، وكتاب تهذيب الآثار، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة، الخطيب البغدادي، ينظر، تاريخ بغداد، (2/166). الذهبي، تذكرة الحفاظ،

(201/2). سير أعلام النبلاء (267/14). الزركلي، الأعلام، (6/69)

دنيا وأخرى. وفي اتخاذ هؤلاء القوم الهاً إشارة تربية هامة وهي أن كل من ركن إلى شيء وعكف على محبته من دون الله فهو في حقه عجل يعبد من دون الله⁽¹⁾.

ويختم سيد قطب بقوله: أن طبيعة بني إسرائيل هي ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوي عن الطريق، فلما رأوا ذلك العجل الجسد طاروا إليه، وتهافتوا ولم يتذكروا وصية نبيهم لهم من قبل بعبادة ربهم الذي لا تراه الأبصار، ولم يتدبروا حقيقة هذا العجل الذي صنعه لهم واحد منهم! وإنما لصورة زرية للبشرية تلك التي كان يمثلها القوم في الماضي، مع مراعاة أن الخطاب موجه إلى كل صاحب عقل وعدل وإنصاف، وحر وشريف في الحاضر والمستقبل، فيقول: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٨) وهل أظلم ممن يعبد خلقاً من صنع أيدي البشر. والله خلقهم وما يصنعون؟! ﴿وَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩) يقال: سقط في يده إذا عدم الحيلة في دفع ما هو بصدده من أمر، وندم على ذلك، ولما رأى بنو إسرائيل أنهم صاروا -بهذه النكسة - إلى موقف لا يملكون دفعه فقد وقع منهم وانتهى! قالوا قولتهم هذه: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩).. وهذه القولة تدل على أنه كان فيهم - إلى ذلك الحين - بقية من استعداد صالح. فلم تكن قلوبهم قد قست كما قست من بعد، فلما أن تبين لهم ضلالهم ندما وعرفوا أنه لا ينقذهم من عاقبة ما أتوا إلا أن تدرهم رحمة ربهم ومغفرته، وهذه علامة طيبة على بقية من استعداد في الفطرة للصلاح⁽²⁾.

وخلاصة ما تقدم من أقوال المفسرين في هذا المطلب هو: أن بني إسرائيل طبيعتهم الإسفاف والوجع والانحراف في الفكر والتربية والسلوك، ويتبين هذا الادعاء من خلال اتخاذهم عجلاً جسداً لا يجلب لهم خيراً، ولا يدفع عنهم شراً، وعاشوا وعابنوا تلك اللحظات التي أغرق الله فيها عدوهم ونجاهم بعد طول عناء، مما يدل على أنهم يؤثرون المحسوس المادي العاجل ولو كان ضاراً على المحجوب الآجل ولو كان نافعاً، والآجل هو رضا الله والتعلق بما عنده، كما أن في اتخاذهم للعجل دلالة أخرى؛ وهي مدى حب بني إسرائيل للذهب والفضة والمال، والتي يحبها كل الناس، إلا أن البعض يحبها لكنه يكتسبها بالحلال وينفقها كذلك وهذا أمر محمود بل مطلوب، أما أن يشرك

1 ينظر، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (117/13). ابن عجيبة، البحر المديد، (544/2) الألوسي،

روح المعاني، (85/9)، الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، (654/1). الشعراوي، تفسير الشعراوي، (7/4359-4362). الواحدي،

الوجيز، (ص413). ابن كثير، تفسير ابن كثير، (475/3). الألوسي، روح المعاني، (246/16).

2 قطب، في ظلال القرآن، (3/1374-1375).

الإنسان يريه بسبب هذا المال، فتتحرف تربيته وسلوكه فهذا هو الأمر المذموم، ومع كل ما ارتكبه من انحراف إلا أن فيهم بقية خير وإيمان؛ وذلك بإحساسهم بالندم وطلبهم من ربهم المغفرة، وهذا يدل على روعة النص القرآني في عرض الفكرة، كما يدل ذلك على عظمة الله تعالى الذي يذكر في كلامه تعالى وفي معرض حديثه عن الأمم والشعوب الخير الذي تنطوي عليه نفوسهم ولو كان مثقال حبة من خردل.

الفرع الثاني: خلاصة الإشارات التربوية من أقوال المفسرين

1. عبادة غير الله تعالى، سفه وحمق وطيش وهبوط وانحطاط. ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ

بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ (الأعراف: ١٤٨)

2. الاستغفار والتوبة دأب الصالحين وسلوك المريرين

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: عبادة غير الله تعالى ظلم وسفه وحمق وطيش وهبوط وانحطاط. ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ

حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ (الأعراف: ١٤٨)

يقول ابن قيم الجوزية "المشرك أجهل الجاهلين بالله؛ حيث جعل له من خلقه نداً، وذلك غاية الجهل به كما أنه غاية الظلم منه وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه"⁽¹⁾.

وعبدة الأصنام وغيرها من هذه المعبودات العاجزة الضعيفة التي لا تملك لمن يعبدها حياة ولا موتاً ولا نشوراً، وعابدها يعلمون ذلك، إلا أنهم سوا بين هذه الآلهة وبين الله تعالى، في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الجهل والظلم⁽²⁾.

ويقول النحلاوي: أن الله تعالى هو الذي تفرد بخلق الخلق، فالواجب على هؤلاء المخلوقين أن لا يشركوا معه آلهة مزعومة عاجزة، بل يجب عليهم أن يفرده بالعبادة كما تفرد هو بخلقهم؛ من أجل

1 ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص 89).

2 ينظر ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص 92).

أن يحققوا الهدف الذي خلقوا من أجله، وبذلك تتحقق لهم السعادة الأبدية في عالم الآخرة، بشرط أن يتقوا غضبه، وأن يبتعدوا عما حرّم الله عليهم من الشرك⁽¹⁾.

فمن هنا" قسم سبحانه الخلائق قسمين: سفيهاً لا أسفه منه، ورشيداً، فالسفيه من رغب عن ملته إلى الشرك، والرشيد من تبرأ من الشرك قولاً وعملاً وحالاً، فكان قوله توحيداً، وعمله توحيداً، وحاله توحيداً، ودعوته إلى التوحيد"⁽²⁾.

والخلاصة أن "الإيمان بالله الواحد ليس لعبة سياسية أو تشريعاً استثنائياً، كلا، إنه الحقيقة التي ضل عنها الغافلون أو المستغلون، أو النور الذي أغلقت دونه أوجان العيون، أما الرجال الذين رزقوا صفاء الفطرة، ونقاء الفكر، فلن يتيهوا عن الله أبداً، إن هذا الإيمان الوثيق معدن قلما تخلو منه نفس عظيمة"⁽³⁾.

ثانياً: الاستغفار والتوبة دأب الصالحين وسلوك المرابين ﴿لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَعْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩)

التوبة والاستغفار قيم إيمانية، وصفات تربوية، وسلوك أخلاقي، لا بد من توفر هذه الأمور في المربي المسلم، وأن يكون الاستغفار جزءاً مهماً وأصيلاً من حياته اليومية، وثقافته التربوية، وأخلاقه الإيمانية؛ حتى يكون مؤدياً لواجبه تجاه ربه، وتجاه من يربيه، فإذا "شهد العبد من نفسه أنه لم يوف ربه في عبوديته حقه ولا قريباً من حقه علم تقصيره ولم يسعه مع ذلك غير الاستغفار والاعتذار عن تقصيره وتقريطه وعدم القيام بما ينبغي له من حقه"⁽⁴⁾.

ويؤكد ابن قيم الجوزية أن النفس السعيدة هي التي تلوم صاحبها على فعل الشر، وترك الخير، فتبادر إلى التوبة والنفس الشقية بالضد من ذلك⁽⁵⁾.

ويذكر أيضاً أن "التوبة وكما لها وما أحدثت المعصية للعبد من الذل والخضوع والإنابة والحذر والخوف من الله والبكاء من خشية الله، وقد تقوى على هذه الأمور حتى يعود التائب إلى رفع من

1 يُنظر، النحلاوي، من أساليب التربية الإسلامية: التربية بالحوار، (ص173)

2 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (482/3).

3 الغزالي، جدد حياتك، (ص165-166).

4 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، جلاء الأفهام، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، دار العربية، الكويت، ط2، 1987م، (ص123).

5 ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، (ص13).

درجته، ويصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة، فإنها نفت عنه داء العجب، وخلصته من ثقته بنفسه⁽¹⁾.

ويرى الغزالي أن "أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة، فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد، ثم الثبات، ثم البيان ثم الفكر، ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالة"⁽²⁾.

وأخيراً فإن للتوبة أثرها على الفرد بنجاته من عذاب الله، كما لها أثراً على المجتمع؛ لأنها تعيد للمجتمع فرداً شرد عنه، وبذلك تستأصل جرثومة الفساد، فالمجرم إذا علم أن الله لا يغفر له وأن المجتمع لا يغفر له، جريرته فإنه يتمادى في الجريمة. بخلاف ما إذا علم أن الله يقبل توبته، وأن المجتمع يرحب به عضواً نافعاً؛ فإن ذلك أجدى على المجتمع وأنفع⁽³⁾.

المطلب الخامس: موسى عليه السلام، وغضبه القولية والفعلية

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاءُ لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأعراف: ١٥٠ - ١٥٤)

ويأتي تفصيل هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

1 ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص 59).

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، (4/48).

3 سليم، عبد العاطي على، خلق المؤمن، تحقيق: محمد عبد العاطي سليم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1،

2007م، (ص 129).

الفرع الأول: أقوال المفسرين في الآيات

في هذا الآيات يصف سيد قطب مشهد الغضب في قول موسى عليه السلام وفعله على قومه حين علم بأنهم ارتكسوا وانتكسوا واتخذوا عجباً للعبادة وتركوا عبادة الله تعالى، فظهر غضبه في قوله بأن قال لهم: ﴿يَسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) وظهر أيضاً في فعله إذ أخذ برأس أخيه يجره إليه ويعنفه. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠) وهذه الغضبة القولية والفعلية من موسى عليه السلام مبررة ومشروعة بل واجبة في حق الدعاة والمربين، وكان مع غضب موسى عليه السلام تألمه الشديد على انحراف قومه، وكأنه يقول لهم: تركتكم على الهدى فخلفتموني بالضلال، وتركتم على عبادة الله فخلفتموني بعبادة عجل جسد له خوار، ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٥٠) أي استعجلتم قضاءه وعقابه، أو استعجلتم مواعده وميقاته، ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠) وهي حركة تدل على شدة الانفعال، فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه. وهو لا يلقها إلا وقد أفضده الغضب زمام نفسه. وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه. وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب! فأما هارون فيستجيش في نفس موسى عاطفة الأخوة الرحيمة، ليسكن من غضبه، ويكشف له عن طبيعة موقفه، وأنه لم يقصر في نصح القوم ومحاولة هدايتهم: جَقَالَ ابْنُ أُمَّ إِنْ أَلْقَوْمْ أَسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) ويتبين من وصف الآية لموقف قومه كم هم في حالة هيجان واندفاع أهوج إلى هذا العجل، حتى شكل اندفاعهم خطراً على حياة هارون، بسبب محاولته منعهم عن الترددي والانتكاس والهبوط والإسفاف عن هذه العبادة السخيفة والمقيبة. وفي نداء هارون لموسى يا ﴿ابْنُ أُمَّ﴾ (الأعراف: ١٥٠) لمسة رقيقة وحانية، فذكره بعاطفة الأخوة من جهة الأم؛ لأنها أقرب وأحن، وأكثر تأثيراً في عاطفة الأخوة، ولأن الأمومة مستقر الأرحام؛ لذلك أنت تجد أخوة من الأم، وأخوة من الأب فقط، وأخوة من الأب والأم، والأخوة من الأب والأم أمرهم معروف، لكن نجد في أخوة الأم حناناً ظاهراً^(١).

ويرى محمد رشيد رضا أن: "القوي الشديد الغضب للحق بالحق كموسى عليه السلام يشعر بما لا يشعر به من يغلب عليه الحلم، ولين العريكة كهارون"^(٢).

ويقول الشعراوي في وصف حالة الغضب التي مر فيها موسى عليه السلام مع من اتخذوا العجل معبوداً أو كون موسى عليه السلام يعود إلى قومه حالة كونه غضبان أسفاً والغضب؛ والأسف عملية نفسية، إلا أنه

1 ينظر، قطب، في ظلال القرآن، (1374/3). الشعراوي، تفسير الشعراوي، (4365/7).

2 رضا، تفسير المنار، (208/9).

يوجد ثمة فارقٌ بين من يحزن ويكبت في نفسه، وبين من يغضب، فمن يغضب؛ تنتفخ أوداجه، ويحمر وجهه، وتبرق عيناه بالشر، محاولاً تنفيذ غضبه بفعل مادي كما حصل مع موسى عليه السلام حين أخذ رأس أخيه يجره إليه، وهذا اسمه: غضبان. وصار موسى عليه السلام إلى الحالتين الاثنتين؛ وقدّم الغضب لأنه رسول له منهجه. ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط؛ بل لا بد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح ⁽¹⁾.

وفي لحظات غضب موسى عليه السلام القولية والفعلية نطق هارون بكلمات حق وصدق موضعاً موقفه من ارتداد قومه وانحطاطهم بأنهم هموا بقتله فقال: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) فهذا دليل على أنه وقف منهم موقف المعارض والمقاوم الذي أدى ما عليه إلى درجة أنهم فكروا في قتله، ويتابع الحق بلسان هارون: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠) والشماتة هي إظهار الفرح بمصيبة تقع بخصم، والأعداء هم القوم الذين اتخذوا العجل، لذلك يذيل الحق الآية بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ⁽²⁾.

ويطلب موسى لنفسه ولأخيه الرحمة ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥١) فهذا يعني أنه سبحانه لم يمنع الرحمة من خلقه على خلقه؛ فمن رحم أخاه سُمِّيَ رحيماً، وراحماً، ولكن الله أرحم الراحمين؛ بمعنى رحمته أيضاً لا نهاية لها. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن اتخاذ العجل فيما خُلِقَ له فلا غبار عليه، لا ينالنا غضب من الله، أما الذين سينالهم غضب الله فهم من اتخذوا العجل في غير ما خُلِقَ له، فالذين اتخذوه إلهاً هم الذين ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (الأعراف: 152) وقوله ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ (الأعراف: 152) يدل على أن أوان الغضب والذلة لم يأت بعد، وسيحدث في المستقبل، كما أن الغضب ليس على من اتخذوا العجل إلهاً فقط بل على كل مفتر يتجاوز حده فوق ما شرعه الله يستحق هذا الجزاء؛ لذا قال الله تعالى محذراً كل من يقوم ما قام به عبدة العجل، والعجل ليس بالضرورة أن يكون عجباً جسداً له خوار؛ بل كل معبوداً من دون الله يناله ما نالهم، وهو سبحانه ينه كل من يرغب أن يتعظ ويعتبر حتى لا يصيبه ما أصاب السابقين من عذاب وغضب في الآجلة والعاجلة، وإذا استمروا على ضلالتهم سيحقيق بهم سخط شديد من ربهم، ولا تقبل توبتهم إلا إذا قتلوا أنفسهم، وسيصيبهم كذلك هوان وصغار في الحياة الدنيا، ويمثل هذا الجزاء

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، خواطر، (4363/7).

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، (4365/7).

يُجازى المفترون جميعا في كل زمان ومكان، لخروجهم عن طاعة الله، وتجاوزهم لحدوده، فهو جزاء متكرر كلما تكررت الجريمة من بني إسرائيل وغيرهم⁽¹⁾.

ثم فتح - سبحانه - بابه لكل تائب صادق في توبته فقال: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٥٣) والمعنى: والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعد فعلهم لها توبة صادقة نصوحا، ورجعوا إلى الله - تعالى - معتذرين نادمين مخلصين الإيمان له، فإن الله - تعالى - رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين. وإلى هنا تكون الآيات الكريمة - بعد أن دمغت بني إسرائيل بما يستحقونه من تقيع ووعيد - قد فتحت أمامهم وأمام غيرهم باب التوبة ليفيئوا إلى نور الحق، وليتركوا ما انغمسوا فيه من ضلالات وجهالات⁽²⁾.

وتكمل الآيات مشهد موسى عليه السلام بعد سكوت الغضب عنه فيقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي سُخْتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٤) والتعبير القرآني يشخص الغضب، فكأنما هو حي، وكأنما هو مسلط على موسى، يدفعه ويحركه، حتى إذا «سكت» عنه، وتركه لشأنه عاد موسى إلى نفسه، فأخذ الألواح التي كان قد ألقاها بسبب دفع الغضب له وسيطرته عليه، ثم يقرر السياق مرة أخرى أن في هذه الألواح هدى، وأن فيها رحمة، لمن يخشون ربهم ويرهبونه فتفتح قلوبهم للهدى، وينالون به الرحمة، والهدى ذاته رحمة. فليس أشقى من القلب الضال، الذي لا يجد النور، وليس أشقى من الانسان الحائر الذي لا يجد الهدى ولا يجد اليقين، ورهبة الله وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى وتوقظها من الغفلة، وتهيئها للاستجابة والاستقامة⁽³⁾.

ويرى الرازي أن المراد بالسكوت السكون والزوال، وعلى هذا جاز ﴿ سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ (الأعراف: ١٥٤) ولا يجوز صمت؛ لأن سَكَتَ بمعنى سكن، وأما صمت فمعناه سد فاه عن الكلام، وذلك لا يجوز في الغضب. وظاهر الآية يدل على أنه عليه السلام لما عرف أن أخاه هارون لم يقع منه تقصير، وظهر له صحة عذره، فعند ذلك سكن غضبه⁽⁴⁾.

1 ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي، (4366-4368). طنطاوي، الوسيط، (196/5).

2 طنطاوي، الوسيط(196/5).

3 قطب، في ظلال القرآن(1376/3).

4 الرازي، الفخر الرازي، (2058/1).

وخلص ما جاء في المطلب السابق: أن موسى عليه السلام حينما توجه إلى جبل الطور لتلقي التوراة وما فيها من تشريعات، انتهز السامري هذا الغياب، وصنع لبني إسرائيل عجلاً ذهبياً، وحرصهم على عبادته، وقد أخبر الله تعالى موسى عليه السلام بهذا الحدث الجلل، مما جعله يغضب لهذا الانحراف ولهذا الضلال، كما أنه حزن حزناً شديداً وتألم ألم النبي الحريص على قومه والغيور على توحيد ربه، ومن شدة غضبه جعله يأخذ برأس أخيه وبلحيته موبخاً إياه ولو أن موسى استقبل خبر هذه العبادة الذميمة بأعصاب هادئة، لاستوحى بنو إسرائيل من هذا السلوك تشريعاً وإقراراً من موسى عليه السلام بصحة أفعالهم وسلوكياتهم الخاطئة. وفي لحظات غضب موسى القولية والفعلية وضح هارون موقفه؛ بأنه لم يقرهم على باطلهم بل قومهم بما استطاع إلا أنه قدر أن مقاومتهم بشدة وعنف قد يؤدي إلى ضرر أكبر من هذا الضرر، فتنة بني إسرائيل بعضهم ببعض، والخوف من قتله هو وحين تبين لموسى اجتهاد هارون سكن غضبه ودعا له ولأخيه بالرحمة والمغفرة.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. الغضب القولي ﴿يَسْمَا حَلَفْتُهُنِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) والغضب الفعلي ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠) أسلوبان تربويان هامان في علاج انحرافات نفسية وسلوكية خطيرة.
2. الحزن والألم والأسى على انتهاك حرمت الدين صفات لا بد من توفرها في المربي ﴿أَسْفَا﴾ (الأعراف: ١٥٠).
3. تطبيق أسلوب أخف الضررين وأهون الشرين في العملية التربوية ﴿أَسْتَضَعُّونِي﴾ (الأعراف: ١٥٠).
4. خلق الرحمة وأثره في تربية الفرد والمجتمع ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي سُخْتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً﴾ (الأعراف: ١٥٤).
5. رهبة الله وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى وتوقظها من الغفلة وتقودها للاستقامة. ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤).

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: **الغضب القولي** ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) **والغضب الفعلي** ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠) **في سلوك موسى عليه السلام وما يستفيد منه الدعاة والمربون**

العواطف والانفعالات الإيجابية منها والسلبية لا يخلو منها إنسان على وجه هذه البسيطة؛ لأنها صنع الله تعالى في الإنسان؛ فالرضا والغضب والحب والكره والحزن والفرح وغير ذلك كلها صفات فطرية فطر الله تعالى الناس عليها، إلا أنه مع هذه الفطرة أنزل لنا كتاباً، وأرسل لنا رسولاً، يربينا ويعلمنا ويرشدنا، فمن أخذ بهذه التربية ضبط عواطفه وهذبها، فلا يغضب في حالة الرضا ولا يرضى في حالة الغضب المحمود، ولا يفرح في حالة الحزن ولا يحزن في حالة الفرح، ولا يحب ظالماً معتدياً ولا يكره مؤمناً مخلصاً صادقاً، فالغضب هو "جماع الشر، ومصدر كل بلية، فكم مُرِّقت به من صلات، وقُطعت به من أرحام، وأشعلت به نار العداوات، وارتكبت بسببه العديد من التصرفات التي يندم عليها صاحبها ساعة لا ينفع الندم. إنه غليان في القلب، وهيجان في المشاعر، يسري في النفس، فتري صاحبه محمر الوجه، تقدح عينيه الشرر، فبعد أن كان هادئاً متزناً، إذا به يتحول إلى كائن آخر يختلف كلية عن تلك الصورة الهادئة، كالبركان الثائر الذي يقذف حممه على كل أحد"⁽¹⁾.

هذا الوصف الذي سبق هو الغضب المذموم، أما الغضب المحمود فهو غضب مشروع، بل يعتبر سلوكاً تربوياً صحيحاً لا بد منه إذا اقتضت الضرورة التربوية ذلك، مثل غضب موسى عليه السلام على من عبدوا العجل، ومن لم يغضب حين تنتهك حرمان الله مثلاً أو حين يحصل سلوك مشين من بعض أفراد المجتمع فهذه بلاذة واستكانة لا حلم وصبر، إذ فالغضب هو سلوك انفعالي يوجه ضد شخص ما أو شيء أو فعل كدلالة على عدم الرضا، وهناك نوعان من الغضب: غضب انفعالي مؤقت، ويمثل نوعاً من الاستنكار، أو الاستهجان لشيء ما، وبخاصة في الأمور التي تمس العقائد والاتجاهات النفسية، مثلما حدث في موقف موسى عليه السلام مع قومه، وهذا النوع مؤقت ويعتبر

¹ اشتبهه، فوزي فايز وآخرون، **مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها**، دار صفاء للنشر والتوزيع -

عمان، ط1، 2011م، (ص42-43).

ردّ فعل منعكساً لمساندة الحق وتحدي الضلال ولا علاقة له بالسلوك غير السوي الذي نعنيه هنا، وهناك غضب يحدث بسبب فعل القوى الغضبية في النفس دون داعٍ لذلك مما جعله سلوكاً منحرفاً عن السواء بسبب عدم قدرة الشخص على السيطرة عليه⁽¹⁾.

لذا كان من الممكن أن يكون الغضب عنصراً من عناصر السخط الأخلاقي، الذي يجب أن يحس عندما يعامل الناس معاملة غير عادية وغير إنسانية، وقد يساهم هذا الغضب في تفسير ملائم للخطأ الأخلاقي، وهذا لا يعني أن الانفعالات الصرفة يمكن أن تكون مرشداً للسلوك الأخلاقي، فالانفعالات تحتاج إلى التأمل فيها وتثقيفها⁽²⁾.

وهل يستريب عاقل في أن النبي ﷺ لما قال " ا يقضينَّ حَكَمَ بين اثنين وهو غضبان " ⁽³⁾. إنما كان ذلك لأن الغضب يشوش عليه قلبه وذنه، ويمنعه من كمال الفهم، ويحول بينه وبين استيفاء النظر، ويعمى عليه طريق العلم والقصد⁽⁴⁾. ويتفق الباحث مع تفسير حديث الرسول ﷺ في حُكم نهى القاضي أن يقضي بين المتخاصمين وهو غضبان وسواء كان الغضب غضباً محموداً أو مذموماً؛ لأن الغضبان سواء كان على حق أو على باطل فإن غضبه يفقده السيطرة على التركيز في الحكم، فبسهولة متناهية يقع منه الخلل في القضاء وهذا توجيه نبوي وتربوي راق وناضج ومقنع ومريح.

ومع أن كلمة الغضب تثير " لدى معظمنا صوراً مخيفة ومنفرة، فغالباً ما تربط عقولنا بين هذه العاطفة ومشاعر الإساءة والأذى والعنف والتدمير. لكننا نعلم هذه العاطفة الأساسية الطبيعية بهذه السمعة البشعة؛ فهذه العاطفة في الأساس وسيلة بناء إيجابية للحفاظ على الحياة، ووظيفتها إمدادنا بالطاقة العاطفية والجسدية حين تشتد حاجتنا إلى الحماية أو للانتقام جروحنا" ⁽⁵⁾.

1 اللوباني، الإعجاز القرآني، (ص106-107).

2 هيلد. فيرجينيا، أخلاق العناية، ترجمة ميشيل حنا متياس، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، سنة 2008م (ص15)

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب: هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، رقم، (2739)، (2616/6).

4 ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، (217/1).

5 لندفيد، جيل، إدارة الغضب، مكتبة جرير، الرياض، ط4، 2008م، (ص1).

هذا الغضب الإيجابي والمحمود كما ذكر سابقاً في هذه النقطة، أما الغضب السلبي وغير المبرر فهو مؤذٍ ومدمر.

وهناك نوع آخر من أنواع الغضب هو الغضب نحو الذات؛ أي نحو ذات الغضبان؛ وذلك في حالة أن يغضب الإنسان من شخص ما، ولكنه في الوقت نفسه يخشى أن يظهر غضبه نحوه لما يمكن أن يلحق به من عقاب. وفي مثل هذه الحالات قد ينقل الغضب أيضاً فيتجه لأشخاص آخرين، أو إلى أشياء مادية فيقوم بتحطيمها، أو قد يتجه إلى ذاته ونفسه فيقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلى ذاته. وذكر القرآن مثلاً واقعياً يوضح عملية نقل العدوان وتوجيهه إلى الذات بدلاً من توجيهه إلى الشخص المثير إلى الغضب في الحقيقة، وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين، وحينما يعض الإنسان أنامله من الغيظ، فإنما يوجه العدوان إلى نفسه، ويقوم بإيذائها ولو بشكل رمزي، بدلاً من توجيهه العدوان إلى الآخرين وإيذائهم... ولما كان الإنسان يفقد القدرة على التفكير السليم أثناء ثورة الغضب، وفي أثناء الانفعالات الشديدة بعامة، فإنه يجدر بالإنسان أن يمتنع في أثناء ثورة الغضب عن القيام بأفعال قد يندم عليها فيما بعد، كما يجب عليه أن يتعلم كيف يسيطر على غضبه. وتتضح من ذلك الحكمة في توصية الله تعالى في التحكم في انفعال الغضب، وكظم الغيظ⁽¹⁾.

فَالغضب في حد ذاته انفعال عام يوجد مع الإنسان طفلاً، وصيباً، ومراهقاً، وشاباً، ورجلاً، وشيخاً. وهو لا يدل على عدم التكيف إلا في الحالات الشاذة التي ينطلق فيها الغاضب بلا حدود ولا ضوابط تحول بينه وبين التورط بالمهالك. والغضب المعتدل أمر تفرضه الطبيعة السوية وذلك أنه يساعد الفرد على المجابهة إذا ما اعتدى عليه أو على عقيدته أو وطنه فيتحفز بالدفاع عنه ودرء الخطر وهذا هو الغضب الإيجابي والمحمود كالذي حصل مع موسى عليه السلام حين عبد قومه العجل⁽²⁾.

وعالجت السنة النبوية حالة الغضب التي تعترى الإنسان في لحظة من اللحظات علاجاً نفسياً وتربوياً رائعاً، حين قال في الحديث الصحيح موصياً ومعلماً ومريباً ومرشداً قال: "لا تغضب" ورددتها للسائل قائلاً لا تغضب⁽³⁾.

فالرسول ﷺ طبيب حكيم، والطبيب الحكيم هو الذي يتبصر بواقع حال مريضه، فيصف له علاج مناسب لحالاته المرضية⁽⁴⁾.

1 نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، (ص80-81-82).

2نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، (ص173)

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب البر والصلة، باب الحذر من الغضب، رقم(5765)، (2267/5).

4 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (343/2).

وأخيراً، فالتحكم بانفعال الغضب مفيد سواء كان الغضب إيجابياً أو سلبياً من عدة وجوه: منها أن الإنسان يحتفظ بقدرته على التفكير السليم، وإصدار الأحكام الصحيحة، فلا يتورط في أعمال أو أقوال يندم عليها فيما بعد، ويحتفظ الإنسان باتزانه البدني؛ فلا ينتابه التوتر البدني الناشئ عن زيادة الطاقة التي تسبب زيادة إفراز الكبد للسكر، فيتجنب الاعتداء على الآخرين، كما أنه يتحكم في انفعال الغضب وعدم الاعتداء على الغير، بدنياً أو لفظياً، ومن شأن ذلك أن يبعث الهدوء في نفس الخصم، ويدفعه إلى مراجعة نفسه⁽¹⁾.

ثانياً: الحزن والألم والغيرة على انتهاك حرمت الدين صفات لا بد من توفرها في المربي.

﴿أَسْفًا﴾ (الأعراف: ١٥٠)

المربي المسلم تحديداً هو إنسان حساس ذواق، يتألم لآلام الآخرين، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، ويتضاعف ألمه وحزنه حين يُعتدى على حرمت الله وشعائر دينه، فموسى عليه السلام تألم ألماً شديداً، وحزن حزناً عميقاً، حين رأى قومه عبدوا العجل من دون الله، فمن هنا كانت الوظيفة الرئيسية للحزن "هي مساعدة الحزين على التوافق النفسي في حالة فقدان شخص عزيز، والحزن يؤدي إلى الهبوط في الطاقة وفي الحماسة، وخاصة في مجال اللهو والترويح عن النفس، فيما يعمق تراجع النشاط الشعور بالحزن الذي يقترب من الاكتئاب"،⁽²⁾.

مع أن الألم والحزن دافعه الغيرة على وحدانية الله تعالى المطلقة والكاملة في الوجود؛ لأن الغيرة عبارة عن مزيج من الانفعالات المختلفة؛ كالخوف، والغضب، والحقد، والشعور بالنقص، وحب التملك، وتسبب الغيرة كثيراً من مشاعر الصراع شديدة الخطورة على الجوانب الاجتماعية للفرد. وكثير من الناس يتحدثون عن مشاعر الغضب التي تنتابهم ويعترفون بها، ولا يجدون غضاضة في ذلك، ولكننا لا نجد فرداً يعترف بالغيرة؛ وذلك لأن الغيرة شعور كريبه يחדش كبرياء الفرد، ويحط من شأنه، ويضعه في موقف مكره من الآخرين. والغيرة أساس لكثير من أنواع وأنماط السلوك التي تتسم بالغرابة والشذوذ؛ فالطفل الغيور لا يشعر بالهنا والسعادة على حال ويبقى متقلب الأطوار مضطرباً، هذه الغيرة المذمومة، أما الغيرة الإيجابية كرد الظلم والعدوان عن المظلومين، أو مسحة دمة يتيم، غيرة إيجابية، بل واجبة وضرورية⁽³⁾.

1 نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، (ص117).

2 جولمان، دانييل، الذكاء العاطفي، ترجمة ليلي الجبالي، 2000م، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (ص23).

3 معوض، خليل ميخائيل، سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط3، 1994م، (ص291).

ومن الأمور الخطيرة على المري المسلم هي موت الغيرة في نفسه، فلا يقر معروفاً، ولا ينكر منكراً، فلا "يغار على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب حدّاً لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك، وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح؛ بل يُحسّنُ الفواحش والظلم لغيره، ويزينه له، ويدعوه إليه، ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة عليه حرام؛ لأنه يقر الخبث في أهله، وأنه لا غيرة عنده، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره، ومزينه لغيره⁽¹⁾.

والخلاصة أن الغيرة نوعان: نوع محمود بل واجب ومطلوب، ونوع مذموم بل مرفوض، فالأول غيرة المعلم والمربي والداعية على أي انحراف سلوكي وتربوي يصدر من أي شخص، فهنا يأتي دور المربي ليصحح هذا السلوك الخاطيء، ومنها أيضاً الغيرة على انتهاك حرمة من حرمت الدين، والغيرة المذمومة كغيرة الأصدقاء فيما بينهم، وغيرة التلاميذ الذين يتميزون في تحصيلهم العلمي، مما تؤدي هذه الغيرة إلى الشحناء والبغضاء بين الأقران، تلك الغيرة التي تفتك بالنسيج الاجتماعي لأي مجتمع كما أنها تضره وتؤذيه.

ثالثاً: تطبيق أسلوب أخف الضررين وأهون الشرين أسلوب تربوي مهم عند الضرورة

﴿أَسْتَضْعَفُونِي﴾ (الأعراف: ١٥٠)

يرى ابن عاشور في اجتهاد هارون عليه السلام في ترجيحه مصلحة حفظ الجماعة على حفظ العقيدة اجتهاداً مرجوحاً فيقول: "لقد اجتهد هارون عليه السلام في سياسة قومه عند تعارض مصلحتين، مصلحة حفظ العقيدة، ومصلحة حفظ الجماعة والأنفس والأموال والأخوة، فرجّح حفظ الجماعة على حفظ العقيدة اجتهاداً منه، على اعتبار أن موسى عليه السلام عندما يعود سيصحح عقيدتهم. وكان اجتهاد هارون عليه السلام مرجوحاً لأن حفظ العقيدة هو الأصل، ومصلحة حفظ العقيدة مقدمة على ما سواها من المصالح"⁽²⁾.

وكان الأولى بهارون عليه السلام أن لا يكتفي بالإنكار عليهم والنصح لهم؛ بل أن يتبع بإزالة المنكر بيده، وأن يفعل كما فعل موسى عليه السلام عندما عاد عليهم، كان عليه أن يحرق العجل الصنم، ويدعو عابديه

1 ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص45).

2 ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (294/16).

إلى التوبة. ولم يكن هارون مخطئاً في ترجيحه واجتهاده، فموقفه صواب، لكنه ترك ما هو أولى^(١).

والباحث يرى أن موقف هارون عليه السلام هو عين الصواب وأن درء المفسدة أولى من جلب المنفعة، وفقه الأولويات والموازنات فقه معتبر وما ينطبق على الفقه ينطبق على التربية وينطبق على العقيدة وعلى السياسة وعلى كل أمور الحياة واتجاهاتها، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالكعبة والأصنام حولها فلم يهدمها حتى جاء وقت هدمها فهدمها في فتح مكة، وفي صلح الحديبية حين رفض صلى الله عليه وسلم قبول أبا جندل بن سهيل بن عمر في الصف الإسلامي بعد توقيع الصلح، وحين كان يمر على عمار بن ياسر ووالديه وهم يُعذبون فلم يزد على قوله صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. وهذا من فقهه التربوي عليه السلام.

رابعاً: خلق الرحمة وأثره في تربية الفرد والمجتمع ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾

(الأعراف: ١٥٤)

"شرائع الله لعباده مبناها الرحمة الشاملة، لا مكان فيها لإعنات أو إجحاف، قد يقسو الأب على أولاده أو يجهل أو يحيف، وقد يلحقه من طبيعة البشرية ما يشوب لهم تأديبه لهم بالأثرة، والغرض. أما رب العالمين فإنه يُشَرِّعُ لعباده ما يعود عليهم بالخير المحض، وما يكفل مصلحتهم الصرف. فحنوه عليهم مقرون بالغنى المطلق عنهم"^(٢).
فإنه تعالى واسع الرحمة لا يخرج عن دائرة رحمته إلا الأشقياء، الذين لم تسعهم رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء؛ بسبب قسوة قلوبهم، وفضاظة طباعهم^(٣).

ويرى أبو حامد الغزالي: أن من دقائق صناعة التعليم أن يُزَجَرَ المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة، لا بطريق القسوة والتوبيخ المبالغ فيهما^(٤).
ويعتبر محمد الغزالي أن: " الرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم ويتمنى لهم الهدى، هي كمال في الطبيعة؛ لأن تبلد الطبيعة يهوي بالإنسان إلى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه، وهو العاطفة الحية النابضة بالحب والرأفة، بل إن الحيوان قد

1 الخالدي، صلاح، الفصص القرآني، (187-186/3)

2 الغزالي، ليس من الإسلام، (ص9).

3 ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص81).

4 الغزالي، إحياء علوم الدين، (57/1).

تجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة إلى منزلة البهائم، بل إلى منازل الجماد الذي لا يعي ولا يهتز"⁽¹⁾.

إلا أن ابن قيم الجوزية يرى أن الرحمة لا تعني الإفراط في الدلال والترفيه المريح والمضمر بالمُرَبَّى وتحديدًا فئة الأطفال، " فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقله رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفقه ويربحه فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم"⁽²⁾.

والسنة النبوية فيها من الدروس الكثير عن خلق الرحمة وأهميته في عالم التربية والسلوك، فيذكر البخاري في صحيحه حديث مؤثر عن تربية النبي ﷺ لأصحابه على خلق الرحمة وتذكيرهم بهذه القيمة التربوية الهامة، فيقول: "قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ فَأَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ ، قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَوْلَدِهَا " ⁽³⁾.

ورد في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عيناً رسول الله ﷺ تنرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، الْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ "⁽⁴⁾.

وفي الحديث الذي رواه مسلم، أن الرسول يقول لبعض أصحابه " أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِدَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ "⁽⁵⁾.

إلا أن هذه الرحمة التي استكنت في قلبه ﷺ لم تُخْرِجْهُ عن حد الاعتدال، فقد كان يوجههم إلى ما فيه نفعهم وصلاتهم، وإن كان فيه قسوة عليهم، فهذا مقتضى الرحمة؛ ففي الحديث الذي رواه

1 الغزالي، خلق المسلم،(ص209).

2 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (174/2).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم(5653). (2235/5). مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم(7154). (97/8).

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا لمحزونون، رقم(1241). (439/1).

5 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم(2176). (40/3).

مسلم، أن الرسول "أخذ الحسن بن علي -رضي الله عنه- تمرّة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ (كَخُ كَخُ اِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ" (1).

والخلاصة أن خلق الرحمة قيمة تربوية مهمة، يجب على المربين والدعاة أن يتربوا ويُرَبِّوا الناس عليها، أفراداً وجماعات، وتحديداً الناشئة الذين هم أحوج الفئات العمرية للتحلي بهذا الخلق وهذه القيمة، كما يجب التذكير دائماً، أن الله تعالى صفته الرحمة، وأن رحمته وسعت كل شيء، ومن رحمته تعالى بعباده، أن أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وهؤلاء الرسل الكرام هم خير من طبق الرحمة في أقوالهم وأفعالهم، والقدوة المثلى في تطبيق هذا الخلق وهذه القيمة، محمد ﷺ فقد كان رحيماً بالمؤمنين، وبالمخالفين، بل وصلت رحمته إلى الحيوان والطيور، وأخيراً ومن المهم العلم، أن تطبيق خلق الرحمة كقيمة تربوي مهمة -بين فئات المجتمع المسلم، وتحديداً فئة المعلمين والمتعلمين، وفئة الآباء والأبناء-، يجب أن يكون باعتدال دون افراط ولا تفريط، بمعنى أن لا يقسوا المربون قسوة تؤذي وتنفر، ولا أن يفراطوا في التدليل والترفيه فيضل المرءى وينسى، وهذه الإشارة التربوية وضحتها، وأرشد إليها الحديث الذي رواه مسلم (كخ كخ).

خامساً: رهبة الله وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى وتوقظها من الغفلة وتقودها للاستقامة

﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤)

ويتضمن مفهوم التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته، وسيطرته على ميوله وأهوائه، فيقوم بإشباع دوافعه في الحدود التي يسمح بها الشرع فقط، ويتضمن مفهوم التقوى أيضاً أن يتوخى الإنسان دائماً في أفعاله الحق والعدل والأمانة والصدق، وأن يعامل الناس بالحسن، ويتجنب العدوان والظلم ويتضمن مفهوم التقوى كذلك أن يؤدي الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه، لأنه دائم التوجه إلى الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته وثوابه. وهذا يدفع الإنسان دائماً إلى تحسين ذاته، وتنمية قدراته ومعلوماته، ويؤدي عمله دائماً على أكمل وجه. إن التقوى بهذا المعنى تصبح طاقة موجّهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن، ونحو نمو الذات ورفيها، وتجنب السلوك السيء والمنحرف والشاذ. وهذا يتطلب من الإنسان مجاهدة نفسه والتحكم في أهوائه وشهواته فيصبح هو المسيطر عليها والموجه لها. فالتقوى إذاً، من العوامل

1 L مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب، تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، رقم (2522).

(117/3).

الرئيسية التي تؤدي إلى نضوج الشخصية وتكاملها واتزانها وتدفع بالإنسان إلى الارتقاء بذاته متطلعاً إلى بلوغ الكمال الإنساني⁽¹⁾.

كما أن خشية الله تعالى لا تكون بتأدية الشعائر التعبدية التي فرضت علينا كالصلاة والزكاة والصيام والحج فقط؛ بل تتعدى ذلك إلى الخشية الحقيقية التي هي ثمار تلك العبادات؛ وذلك بتزكية النفس، وتطهيرها من كل مرض قلبي؛ كالغل والحقد والحسد والكراهية، تلك الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتشوه جمال الحياة، كما أن الخشية الحقيقية هي التي تعصم السلوك الإنساني من الشذوذ والانحراف. وفي هذا السياق يقول محمد الغزالي: إن العبادات التي شرعها الإسلام وتعتبر هي أركانها، ليست طقوساً مجهولة، وترانيم غير مفهومة، بل هي تمارين متكررة، ليترى المرء من خلالها على الأخلاق الفاضلة، والعاصمة من الدنيا، فالصلاة مثلاً يجب على صاحبها والذي يؤديها أن تبعده عن سوء القول والفعل، وتهذب نفسه وتغرس، فيه أخلاقاً عالية؛ كالتواضع، والإخلاص، والمحبة، وصفاء النية والنفسية. والزكاة المفروضة ليست ضربية تؤخذ من الجيوب؛ بل هي غرس لمشاعر الحنان، والرأفة، وتوطيد لعلاقات الحب والتآلف والتعرف بين فئات المجتمع الواحد. وكذلك الصوم لم يكن في المفهوم الإسلامي حرماناً من بعض الأطعمة والأشربة؛ بل هو حرمان للنفس من شهواتها المحظورة، ونزواتها المنكرة. وأخيراً التربية الإسلامية تعتبر أن الصلاة والصيام والزكاة والحج وما شابهها من عبادات ما هي إلا مدارج للكمال المنشود، وروافد التطهر الذي يصون الحياة، ويعلي شأنها، من أجل ذلك كانت الأخلاق في الإسلام هي جماع الدين كله⁽²⁾.

والخلاصة أن التقوى هي القانون الذي يجب أن يضبط سلوك الإنسان في هذه الحياة.

1 نجاتي، القرآن وعلم النفس ، (ص282-283).

2 ينظر، الغزالي، محمد، خلق المسلم، (ص7-8-9).

المطلب السادس: مشهد موسى ﷺ والسبعين المختارين من قومه لميقات ربه

قال تعالى: ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتْلُكُنَّ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

ويأتي الحديث عن هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين

يرى رشيد رضا أن موسى انتخب من خيار قومه سبعين رجلاً للميقات، الذي وقته الله تعالى له ودعاهم للذهاب معه، إلى حيث يناجي ربه من جبل الطور، وكلمة (اختار) تفيد أن أولئك السبعين هم خيار قومه كلهم لا طائفة منهم^(١).

ويذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ (الأعراف: ١٥٥) أي وقع الاختيار على هؤلاء السبعين ليكونوا شهداء على صدق موسى ﷺ، والشاهد مع النبي يتوقع منه أن يكون خيراً وأميناً في شهادته، وليتبين للناس حقيقة افتراءهم وكذبهم فعقوبة هؤلاء أن ﴿ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ (الأعراف: ١٥٥) أي ماتوا. والرجفة تعني الزلزلة الشديدة. ويروى أنهم زلزلوا حتى ماتوا. فقال ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي ﴾ (الأعراف: ١٥٥) أي أمتهم، والمعنى: لو شئت أمتنا من قبل أن نخرج إلى الميقات بمحضر بني إسرائيل حتى لا يتهموني.^(٢)

ويقول ابن عطية الأندلسي^(٣): إن موسى ﷺ اختار من قومه هذا العدد ليذهب بهم إلى موضع عبادة وابتغال ودعاء؛ ليكون منه ومنهم اعتذار إلى الله عز وجل من خطأ بني إسرائيل في عبادة

1 رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (215/9).

2 القرطبي، الجامع لأحكام القرطبي، (294/7).

3 عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي الأندلسي، المشهور: بابن عطية الأندلسي. ولد سنة

481هـ بغرناطة بالأندلس مع بداية عهد دولة المرابطين التي كانت تعرف بدولة الفقهاء، ينتمي لأسرة

مهاجرة من المشرق، وكانت الأسرة ذات علم ومكانة هيأت له أسباب طلب العلم، فتتلمذ على كبار

علماء الأندلس، فهو لم يرحل كما رحل غيره من علماء الأندلس بسبب ظروف بلاده آنذاك. كان فقيهاً

عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث، وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر، توفي في 25

رمضان 541هـ (سير أعلام النبلاء)، (586/19).

العجل، وسبب اختيارهم إنما كان بسبب قول بني إسرائيل أن موسى قتل هارون حين ذهب معه ولم يرجع، فاختر هؤلاء ليذهبوا فيكلمهم هارون بأنه مات بأجله. مع أن طنطاوي يرجح أن هذا الميقات الذي جاء في هذه الآية غير الميقات الأول، وأنه كان بعد عبادة بنى إسرائيل للعجل في غيبة موسى ﷺ، فقد عرفنا أن الله قد أخبره بذلك عند ذهابه إليه لتلقي التوراة، فرجع موسى ﷺ إليهم مسرعاً، ووبخهم على صنيعهم وأحرق العجل، وأمره الله - تعالى - بعد ذلك أن يأتيه مع جماعة من بنى إسرائيل ليتوبوا إليه من عبادة العجل، فاختر موسى ﷺ هؤلاء السبعين، فأهلكهم الله تعالى بالرجفة؛ أي: بالزلزلة الشديدة، وأي كان سبب هذه الرجفة لا يخرج سببها عن مخالفة هؤلاء لأوامر الله وتمردهم على تعليمات نبيهم، فبذلك يستحقون هذا الجزاء لأنَّ مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء نهج قرآني وعرف تربوي⁽¹⁾.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستفادة من أقوال المفسرين

1. المرربون الأمناء وأثرهم في التربية ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾
2. مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء سنة ربانية وقيمة تربوية ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾
3. الأخذ على أيدي السفهاء والعاثين جزء من مهمة الدعاة والمربين ﴿ أَتَاهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾
4. الفتنة والابتلاء صقل للنفوس وتوجيه للسلوك وتمييز لمعادن الناس ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: المرربون الأمناء وأثرهم في التربية ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ (الأعراف: 100)

الإسلام يرقب من معتقته أن يكون ذا ضمير يقظ، تصان به حقوق الله وحقوق الناس، وتُحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أميناً، والأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معان شتى، مناطها شعور المرء بتبعته في كل أمرٍ يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه على النحو الذي فصله الحديث الشريف "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

1 ينظر، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، (2/528). السمرقندي، بحر العلوم، (1/568). الرازي، الفخر

الرازي، (1/2056). قطب، في ظلال القرآن، (3/1377).

وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا زَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (1).

يقول محمد الغزالي: الأمانة في مفهوم عوام الناس تكون في أضيق معانيها وآخرها ترتيباً؛ وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أثقل وأضخم، بمعنى أن كل عمل أوكل لإنسان أن يقوم به، وبالذات الأعمال التي تتعلق بها حقوق الناس ومصالحها، التفريط فيه خيانة للأمانة، مهما صغر هذا العمل وكان تافهاً ويعتبر أن المسلمين اليوم هم أكثر الأمم إضاعة لهذه الأمانات والعهود، فالموظف في بلاد المسلمين وتحديداً المسؤول عن قضاء حاجات الناس يزهد في قضائها جهلاً منه وظناً أن قضاء هذه الحاجة لا علاقة لها بالدين فتراه مثلاً يصلي الضحى وجماهير الناس تنتظر، وهو ينظر إليهم نظرة باهتة لا يتأثر لحالهم ولا يسارع في تخفيف الآمهم، فأداء فريضة قضاء حوائج الناس أهم بكثير من أداء النوافل إن كانت تلهي أو تؤجل أو تعطل مصالحهم، بل هذا التقصير والتسويف يعتبر خيانة للأمانة، فالأمانة موضوعها واسع شامل يكاد يشمل كل مناحي الحياة فالواجب على الدعاة والمربين أن يشرحوا للمُربّين حقائق الدين وجمالها وروعيتها (2).

وفي عالم التربية والسلوك تتداخل في بعض الأحيان مفردات التربية ودلالاتها، وبالذات في عالم الأخلاق، فتجد أن الأمانة هي أحد الفروع الخلقية لحب الحق وآثاره، وهي ضد الخيانة، والأمانة في جنبها النفسي خلق ثابت في النفس، يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس... فالعفة عن العدوان على الأعراض من الأمانة، والعفة عن العدوان على الحقوق العلمية من الأمانة، والعفة عن الغش وتطيف الكيل والميزان من الأمانة، وتبليغ الرسائل الكتابية أو اللفظية إلى أصحابها من الأمانة، ومن الأمانة إعطاء كل ذي حق حقه، فالعدل من الأمانة والجور والظلم من الخيانة. (3).

ومن الأمانة تبليغ دين الله كما أنزل بسهولة ويسره ووسطيته وواقعيته ومرونته فقد "كان الإسلام في أمر دعوته إنسانياً متسامحاً، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أعطى للمؤلفة قلوبهم سهماً من الصدقات، وأمر بالعدل مع غير المسلمين، وأباح الاختلاط بهم، والتعايش معهم والتزوج من كتابياتهم ضمن الضوابط التربوية والشرعية الموجودة (4).

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (853)، (304/1).

2 ينظر، الغزالي، خلق المسلم، (ص45). الغزالي، محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، (ص21-22)

3 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (645-648).

4 قمبر، محمد، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافي، الدوحة، ط1 1992م، (ص197).

والخلاصة أن المري الأمين هو صمام أمان لسلوكيات من يربيهم بل هو شاهد عدل وخير على بعض التجاوزات والخطايا التي قد تحصل من بعض أفراد المجتمع.

ثانياً: مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء سنة ربانية وقيمة تربية

﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ (الأعراف: ١٥٥)

الحسن تعرفه العقول السليمة، والفطر الطيبة البريئة، والشيء غير الحسن ينكره القلب السليم، والذوق الرفيع، فالحسنة والمحسن ترتاح لهما نفوس الخلق، والسيئة والمسيء تنفر منهما نفوس الخلق، لذا فإن من عدل الله المطلق أن لا يتساوى المحسن والمسيء والمؤمن والكافر، والصادق والكاذب والأمين والخائن، والمطيع والعاصي والمخلص والمنافق، والقرآن الكريم يؤكد هذا المفهوم،

قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (النجم: ٣١).

فمن هنا لو "سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله به الناس إليه لصلح العالم صلاحاً لا فساد معه فانه سبحانه أخبر وهو الصادق الوفي أنه إنما يعامل الناس بكسبهم ويجازيهم بأعمالهم ولا يخاف المحسن لديه ظلماً ولا هضماً ولا يخاف بخساً ولا رهقاً ولا يضيع عمل محسن أبداً ولا يضيع على العبد مثقال ذرة"^(١).

فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره، وما يجازي به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه وهذا هو حال المسيء وجزاؤه^(٢).

أما حال المؤمن المحسن فإنه يعطى مهابة وحلاوة، بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، فمثلاً ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ولا سيما إذا رزق حظاً من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه، وأما الرجل المسيء تراه مبغوضاً لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ تكسوه الكآبة ويظلمه السواد^(٣).

ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكره على كُـلِّ حال، وفي كُـلِّ موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه. ومنها: الإحسانُ إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن

1 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص161).

2 ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب، (ص67).

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م (ص221).

أشْرَحُ النَّاسَ صَدْرًا، وَأَطِيبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضِيقُ النَّاسَ خُلُقًا وَأَتَعْسَهُمْ⁽¹⁾.

والخلاصة أن المطلوب من المُربي والمعلم والداعية أن يتربى ويُربي غيره على هذه القيمة الخلقية والتربوية العالية والمهمة، وإلا لتساوى الصادق والكاذب والأمين والخائن والكريم والبخيل وصاحب الهمة والكسول، والمنفق من نفسه ووقته وماله في سبيل أمته وقضاياها الكبرى، كالذي يبخل على نفسه وغيره، فلا تراه إلا أنانياً جشعاً طماعاً، فلا يُفكر ولا يعمل إلا فيما يخصه ويوفر احتياجاته الأساسية والكمالية، وإن هلك الناس كلهم من حوله ينظر إليهم ببرودة مشاعر وبنفسية بليدة متعالية متكبرة مغرورة، فهل يُعقل في عالم الأخلاق والتربية والقيم والشرائع والقوانين أن يكون هناك تساوي بين المحسن والمسيء، وبين الصالح الذي يعمل الحسنات وبين المسيء الذي يجترح السيئات؟! طبعاً لا يجوز.

ثالثاً: الأخذ على أيدي السفهاء والعابثين جزء من مهمة الدعاة والمربين

﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (الأعراف: ١٥٥)

السفهاء من الناس كيف تتعامل معهم، يبتلى المرء في حياته بأناس لا تنفع معهم كل وسائل التعامل الراقى لأنهم تربوا على السفاهة! فكيف يتصرف تجاههم؟ السفاهة هي الخفة والطيش والجهل، والجهل كما إنه نقيض العلم وضد المعرفة، فإنه أيضاً نقيض الحلم وضد الرشد. والسفيه طويل اللسان، سيء الكلام، قبيح الجواب. فإن كان غلاماً يافعاً يكون واضحاً بأنه لم يأخذ نصيبه من التربية في بيت أبيه أو في مدرسته أو في مجتمعه، أو إنه لما يفهم معنى الحياة بعد، ولذلك فهو لا يعرف كيف يتعامل مع الناس لجهله بأقدارهم. وقد تعركه التجارب وتطحنه السنون فيتعلم ويصبح من أهل الأحلام والنهي. لكن المصيبة تكون عندما يتجاوز سن الطيش ويبقى سفيهاً فمتى يُتوقع منه أن يرشد، والجواب أن الأخذ على يد السفهاء يكون أحياناً بالإعراض عنهم بمعنى الترك والإهمال، والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، وعدم الدخول معهم في جدال ينتهي بالشد وال جذب، وإضاعة الوقت والجهد. وفي هذا صيانة له ورفعٌ لقدره عن مجاوبتهم، كما أن هذا الأسلوب يعتبر أسلوباً تربوياً في معالجة السفه والسفهاء، وفي هذا يقول الغزالي: "ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء أفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم،

1 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (52/2).

وإياك أن تمازح لبيباً أو غير لبيب، فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يجترئ عليك؛ لأن المزاح يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه" (1).

كما أن بعض المراهقين يتعرضوا لانفعال السفه، ومظهره الاستهتار وعدم المبالاة والخفة والطيش والجهل والحمق واضطراب السلوك، وهذه المظاهر الانفعالية يجب معالجتها تربوياً ونفسياً، وأخذ بيد أصحابها إلى التربية الصحيحة والمعالجة الرادعة بالأساليب التربوية المدروسة والمناسبة وتحديداً من أهل التخصص حتى لا يتمادى السفهاء، ويقود بعض الحمقى الناس إلى المجهول (2).

كما أن السفه والحمق والطيش أمراض نفسية وعقلية تؤدي بصاحبها إلى الهلاك، بسبب سلوكه غير السوي، ولا يقتصر أذاه على نفسه بل يتعداه إلى غيره، مثله كمثل صاحب السفينة الذي ذكر في الحديث الصحيح الذي يقول فيه الرسول ﷺ: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقتنا ولم نوذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" (3).

وأخيراً الواجب على فئة الدعاة والمربين أن يأخذوا على أيدي السفهاء الذين يعيثون في حياة الناس، سواء كان عبثهم بالقول أو بالفعل، حتى لا يهلكوا ويهلكوا. وبدلوا نفوسهم في مرضاته بذل المحب بالرضا والسماح وواصلوا السير إليه بالغدو والرواح فحمدوا عند الوصول مسراهم، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح تعبوا قليلاً فاستراحوا طويلاً، وتركوا حقيراً واعتاضوا عظيماً، وضعوا اللذة العاجلة والعاقبة الحميدة في ميزان العقل فظهر لهم التفاوت، فرأوا من أعظم السفه بيع الحياة الطيبة الدائمة في النعيم المقيم بلذة ساعة تذهب شهوتها وتبقى شقوتها (4).

1 الغزالي، إحياء علوم الدين، (192/2).

2 الزعبلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، (ص38).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب، الشركة، باب هل يقرع في القسمة، رقم(2361)، (882/2).

4 ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، (ص6).

رابعاً: الفتنة والابتلاء تصقل النفوس وتوجه السلوك وتُميِّز معادن الناس

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ (الأعراف: ١٥٥)

يقول ابن قين الجوزية "أن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة"^(١).

كما أن "العلاقة التي تربط إنسان التربية الإسلامية بالحياة هي علاقة ابتلاء، والابتلاء معناه الامتحان أو الاختبار. أي اختبار مدلول العبادة بمظاهرها الثلاثة: المظهر الشعائري، والاجتماعي، والكوني. فالابتلاء هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله والانسان"^(٢).

حتى أن النفوس التي تعيش العافية الدائمة والنصر والغنى يعتبر ذلك طغياناً ورُكُوناً إلى العاجلة، كما أنه مرض يَعُوقُهَا عن جِدِّهَا في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها رُبُّهَا وَمَالِكُهَا وراحمَهَا كرامته، قِيَّضَ لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقى العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه، لَغَلَبَتْهُ الأدواءُ حتى يكون فيها هلاكه"^(٣).

ويرى ابن قيم الجوزية أن الابتلاء هو الدواء الذي يُعالج به عباده المؤمنين ولولاه لَطَعُوا، وَبَعَّوْا، وَعَتَّوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغُ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هدَّبه ونَقَّاه وصفَّاه، أهَّلَه لأشرفِ مراتب الدنيا، وهي عبوديَّته، وأرفعِ ثواب الآخرة، وهو رؤيَّته وقُربُه"^(٤).

والخلاصة: أن الابتلاء سنة الله في الذين آمنوا ليصقل نفوسهم ويصحح سلوكهم حين يعوج، ويميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب.

1 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (188/2).

2 عرسان، ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، 1998م، (ص174).

3 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (221/3).

4 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (195/4).

المطلب السابع: أسباط بني إسرائيل

الفرع الاول: أقوال المفسرين

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٩) وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ: أَنِ اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَأَنْجَسْتِ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ ۖ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ

﴿ (الأعراف: ١٥٩ - ١٦٢) ﴾

ويأتي تفصيل هذا المطلب عبر الفروع التالية:

الفرع الاول: أقوال المفسرين في الآيات الكريمة

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٩) هذه الآية فيها دلالة وقيمة تربوية راقية وأمينة ومنصفة حتى في خضم الأخطاء والخطايا التي ارتكبتها الغالبية العظمى من بني إسرائيل الأوائل وتحديداً على زمن موسى عليه السلام، وحتى على زمن محمد صلى الله عليه وسلم، وهي قيمة العدل والإنصاف حتى مع من يختلف معهم الإنسان أو من له عليهم ملاحظات وأخطاء، فالواجب أن لا يعمم الداعية أو المري لغة الحكم على الآخرين إن أخطأ بعضهم أو غالبيتهم يصبحوا كلهم خاطئة أو عاصية، فبهذا الوعي التربوي يدرك المري روعة وجمال وعدل وإنصاف قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: 159).

ويرى سيد قطب أن: طائفة من بني إسرائيل على زمن موسى عليه السلام كانوا يهدون بالحق ويحكمون بالعدل حتى من بعد موسى. ومن هؤلاء من استقبلوا رسالة النبي الأمي في آخر الزمان بالقبول والاستسلام، لما يعرفونه عنها في التوراة التي كانت بين أيديهم على مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أولهم

الصحابي الجليل: عبد الله بن سلام⁽¹⁾ رضي الله عنه. الذي كان يواجه يهود زمانه بما عندهم في التوراة عن النبي الأمي، وما عندهم كذلك من شرائع تصدقها شرائع الإسلام⁽²⁾.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ (الأعراف: ١٥٩) أي: جماعة، من قوم موسى تؤمن بالحق وتدعو إليه، ويتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩) أي: يهدون به الناس في تعليمهم إياهم وفتواهم لهم، ويعدلون به بينهم في الحكم بينهم، بقضايهم، وكأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايب بني إسرائيل، المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية⁽³⁾.

وهذا من باب الإنصاف وعدم التعميم في الحكم على الأشخاص والمواقف، وبعد ذلك تنتقل الآيات لتوضح لنا النعم التي أنعمها الله تعالى على بنس إسرائيل، فيقول تعالى:

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اصْبِرْ لِحُكْمِ الْحَاجِرِ ۖ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَنَمَ ۖ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف:

(١٦٠)

يقول سيد قطب في وصف حال بني إسرائيل بعد عبادتهم العجل وتكفيرهم عن خطيئتهم، "إنها رعاية الله ما زالت تظلل موسى وقومه - بعد أن كفروا فعبدوا العجل، ثم كفروا عن الخطيئة كما أمرهم الله، فتاب عليهم. وبعد أن طلبوا رؤية الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، ثم استجاب الله لدعاء موسى فأحياهم"⁽⁴⁾.

1 عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ عند قدومه المدينة، وكان اسمه " الحصين " فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. رَوَى عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو بَرٍّ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْقَلٍ وَقَاضِي الْبَصْرَةِ، وَرِزْرَةَ بْنُ أَوْفَى وَغَيْرِهِمْ، وَلَمَّا كَانَتْ الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ، اعْتَزَلَهَا، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِيهَا سَنَةَ 43 هـ يَنْظُرُ (الأصبهاني، أبو نعيم، معرفة الصحابة، (1663/3). أبو عبد الله، علاء الدين، إكمال تهذيب الكمال، (395/7). الزركلي، الأعلام، (4/90).

2 قطب، في ظلال القرآن، (1381/3). الألوسي، روح المعاني، (83/9).

3 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص305)

4 قطب، في ظلال القرآن، (1318/3).

وبعد هذا الإحياء تتجلى هذه الرعاية في تنظيمهم حسب فروعهم في اثنتي عشرة أمة - أي جماعة كبيرة - ترجع كل جماعة منها إلى حفيد من حفداء جداهم يعقوب - وهو إسرائيل - وقد كانوا محتفظين بأسابهم على الطريقة القبلية: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ (الأعراف: ١٦٠) وتبدو في تخصيص عين تشرب منها كل جماعة، وتعيينها لهم؛ فلا يعتدي بعضهم على بعض. والاعتداء المتوقع من بعضهم على البعض الآخر بسبب الحسد والأناية التي تعشش في قلوبهم وتسيطر على عقولهم، فمن أجل تهدئة نفوسهم، وعدم إشعال نار الفتنة بينهم، أوحى الله تعالى ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذْ أَسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٠) كما ظلل الغمام عليهم من شمس هذه الصحراء المحرقة، وإنزال المن - وهو نوع من العسل البري - والسلوى ، وهو طائر السماني وتيسيره لهم ضماناً لطعامهم بعد ضمان شرايهم ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ﴾ (الأعراف: ١٦٠)، فزرعهم الله هذه الطيبات ليأكلوا منها ويتمتعوا بها، والأهم من ذلك أن يشكروا المنعم وهو الله تعالى على هذه النعم، فقال تعالى لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٠) والرعاية واضحة في هذا كله، ولكن هذه الجبلة ما تزال بعد عصية على الهدى والاستقامة كما يبدو من ختام هذه الآية التي تذكر كل هذه النعم وكل هذه الخوارق : من تفجير العيون لهم من الصخر بضربة من عصا موسى. ومن تظليل الغمام لهم في الصحراء الجافة. ومن تيسير الطعام الفاخر من المن والسلوى ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠) ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذْ أَسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ﴾ (الأعراف: ١٦٠) أي وقت استسقايتهم له لما أصابهم العطش في التيه ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (الأعراف: ١٦٠) وهو ما أوحى الله تعالى به إلى موسى ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ (الأعراف: ١٦٠) أي فاضرب: فانبجست، والانبجاس : الانفجار، أي فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف: ١٦٠) بعدد الأسباط، لكل سبط عين يشربون منها، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٠) أي كل سبط منهم العين المختصة به التي يشرب منها ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ (الأعراف: ١٦٠) أي جعلناه ظللاً عليهم في التيه يسير بسيرهم ويقوم بإقامتهم ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ﴾ (الأعراف: ١٦٠) أي الترنجيبين والسماني ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٠) أي: وقلنا لهم: كلوا من المستلذات التي رزقناكم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ (الأعراف: ١٦٠) بما وقع منهم من المخالفة وكفران النعم وعدم تقريرها حق قدرها ﴿وَلَكِن كَانُوا

1 قطب، في ظلال القرآن، (1318/3). الشعراوي، تفسير الشعراوي، (4390-4391/3). الألوسي، روح

المعاني، (83/9).

أَفْسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ (الأعراف: ١٦٠) أي كان ظلمهم مختصاً بهم مقصوراً عليهم لا يجاوزهم إلى غيرهم^(١).

وبعد كل هذه النعم التي قابلوها بالجحود والنكران أمرهم الله تعالى أن يدخلوا ويسكنوا القرية التي أمرهم الله تعالى أن يتوجهوا إليها فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿ (الأعراف: ١٦١ - ١٦٢)

وفي هذا المشهد قبل الأخير من قصة موسى عليه السلام مع قومه، قال لهم: ﴿ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ (الأعراف: ١٦١)، أي مدينة فلسطين وتحديداً بيت المقدس ﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ (الأعراف: ٦١) لما فيها من الخيرات ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦١) أما قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٢) فهي قد تضمنت الإخبار عن الذين ظلموا من بني إسرائيل، الذين أمروا بدخول القرية، ودخول الباب سجداً. حيث بدلوا ﴿ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٦٢) فبدل "حطة" قالوا "حنطة"، وبدل أن يدخلوا ساجدين على جباههم لله تعالى دخلوا يزحفون على أستانهم، فلما رأى تعالى ذلك التمرد والعصيان، وعدم شكره تعالى، أنزل عليهم وباء من السماء كاد يقضي على آخرهم، هذا معنى قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٢)^(٢)

فبدل الذين ظلموا من هؤلاء بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه غير الذي قيل لهم، وعلى إثر ذلك أرسلنا عليهم رجلاً من السماء أي عذاباً، وسواء كان هذا العذاب مرض الطاعون أو غيره على اختلاف الروايات وذلك بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق^(٣).

1 الشوكاني، فتح القدير، (372/2).

2 أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (252/2).. ابن عجيبة، البحر المديد، (561/2). الزمخشري، الكشاف، (160/2). البغوي، معالم التنزيل، (99/1). الثعالبي، الجواهر الحسان، (69/1). السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص53). الزمخشري، الكشاف، (179/13).

3 الألويسي، روح المعاني، (89/9). البقاعي، نظم الدرر، (143/1).

ولبني إسرائيل رذائل كثيرة ذكرتها آيات القرآن الكريم، إلا أن الذي يعني الباحث في هذه الدراسة رذائلهم الوارد ذكرها في آيات سورة الأعراف والتي يمكن ذكرها على النحو الآتي:

1. عكوفهم على عبادة العجل من دون الله، ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٣٨)
2. طلبهم من نبيهم موسى أن يجعل لهم الهاً كما لغيرهم الهة ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨)
3. الإفساد في الأرض ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)
4. عبادتهم العجل ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾ (الأعراف: ١٤٨)
5. جودهم للحق وكرهيتهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ (الأعراف: ١٦٠)
6. تحريفهم للكلم عن مواضعه، ونسيانهم حظاً مما ذكروا به ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٢)

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. العدل والإحسان وأثرهما في التربية ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩)
2. الحسد والأنانية وخطرهما على النفس الإنسانية ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ (الأعراف: ١٦٠)
3. بشكر المنعم تزيد النعم وبكفرها تزول ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ (الأعراف: 160)
4. تحريف بني إسرائيل الكلم عن مواضعه ونسيانهم حظاً مما ذكروا به ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٢)

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: العدل والإحسان وأثرهما في التربية

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩)

وهذه الإشارة تدل على عدل الله تعالى المطلق في الحكم على الناس، مؤمنهم وكافرهم، طائعتهم وعاصيهم، كما أنها تدل على عدم تعميم الحكم على جماعة أو قوم من الناس أغلبهم يرتكبون المعاصي والعصيان إذا وجد فيهم من هو مؤمن بالله، منفذ لأوامره، معتقد برسالاته، فهذه الفئة المؤمنة وإن كانت قليلة يجب أن تُذكر ولا تنسى، وأن تتصف ولا تُظلم، وهذا ما ذكرته آية ﴿وَمِن

قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ (الأعراف: ١٥٩) عن فئة من بني إسرائيل آمنوا بالحق ودعوا إليه بالرغم من أن الصورة العامة عن بني إسرائيل أنّ كلهم رذائل وقبائح. فمن هنا كان " لا بد للتربية الإسلامية من أن ترسخ علاقة العدل والإحسان في أصولها وأن تشيعها في أهدافها ومناهجها وتطبيقاتها في العلوم والفنون والعادات والعلاقات والقيم والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسة"^(١).

كما أن العدل من صفات محبي الحق، ومن صفات المؤمنين، ولما كان العدل أحد فروع خُلق حب الحق وإيثاره، كان لا بد أن نجد الذين يحبون الحق ويؤثرونه قوماً متصفين بخلق العدل فأهل الإيمان الصادقون أهل عدل، فترى حكمهم بالعدل، وقولهم وفعلهم وشهادتهم ومعاملتهم كلها بالعدل، وحينما يتحول العدل من كونه أثراً من آثار حب الحق، أو ثمرة من ثمرات الإيمان، إلى كونه ظاهرة عملية متكررة في سلوك الفرد، كلما تكررت المواقف التي هي بحاجة إلى أحكام عادلة تكرر الحكم بالعدل، فانه يكون حينئذ خلقاً من أخلاق الفرد المتمكنة فيه، وذلك بسبب تكرر التدريب العملي عليه، وعدم الاستجابة لنوازع النفس وشهواتها، وأهوائها، ونوازغ شياطين الإنس والجن^(٢).

ويرى ابن قيم الجوزية أن العدل يحمل صاحبه " على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله مثلاً على خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وهكذا"^(٣).

والخلاصة أن على المربي أن يتصف بهذه الصفة الرائعة، وهذه القيمة التربوية المهمة، والتي من خلال تطبيقها لا يظلم عنده أحد، ومن خلالها أيضاً لا يعمم خطأ الفرد على الجماعة، ولا خطأ الجماعة على الفرد؛ بل كل يُذكر بما فيه من خير أو شر، سواء كانوا أفراداً أو جماعات، فلا يطغى شر جماعة على بعض أفرادها الخيرين، ولا يغطي سوء الفرد وشره على الخير الذي يكون في جماعته.

ثانياً: الحسد والأنانية وخطرها على النفس الإنسانية ﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّمًا ﴾

(الأعراف: ١٦٠)

الحسد يثير الحقد والكراهية، ويدفع الى تمني وقوع الأذى إلى الشخص المحسود، وقد يدفع إلى العدوان وإلحاق الأذى بالشخص المحسود، فقد قتل قابيل أخاه هابيل، وقام إخوة يوسف

1 الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان ، بيروت ، 1998م(ص153-154)

2ينظر، الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (ص267).

3 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (3/308).

العلو بإلقائه في غور البئر. ولما كان الحسد يؤدي إلى الكراهية والعدوان والأذى فقد طلب الله تعالى منّا أن نستعيز من شر حاسد إذا حسد⁽¹⁾.

كما أن الحسد يؤدي إلى الحقد، والحقد يحمل على التكبر، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب أنه سبقه في ميدان من ميادين السباق، فأورثه الغضب حقداً رسخ في قلبه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان عنده مستحقاً للتواضع، فكم من رذيل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر؛ لحقده عليه، أو بغضه له، ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته، وعلى الأنفة من قبول نصحه، وعدم تعلم العلم منه، فكم من جاهل يشتاقي إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستكفاه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه، حسداً وبغياً عليه⁽²⁾.

وأما غريزة حب النفس فهي أصيلة في بني آدم، وهذه الغريزة ليست شراً محضاً، كما يبدو للناظر العاجل، والقانون النفسي القائم على حب اللذة وكره الألم، والقائم أيضاً على طلب المنفعة الخاصة، هو سر الاتصال الدائم في مواكبة الحياة واستمرارها، وحب النفس إن يك طبيعة الناس في الدنيا، فعليه التعويل في إحراز الفوز بالآخرة، وليس عيباً في المرء أن يعبد الله طمعاً في جنته وخوفاً من ناره كما تزعم شطحات بعض الصوفية، وإنما تحذر هذه الغريزة، وتنتقى عواقبها عندما تمرض وتتورم، ويعاني صاحبها من العنت، ويعاني الناس منها الظلم والبطر. وإحساس المرء بنفسه إذا زاد عن حده يحجبه عن الآخرين، ويحصره في عالم خاص به. ولا يزال ماضياً في تكبير شأنه وتهوين غيره، ولا تزال نفسه تعجبه، وتنسج حول فكره غلالة سميقة من الغرور والشراسة وحب الذات، إن الأثرة وحب الذات والعيش في إفرازاتها لها ريحة منتنة، يجب أن تعالج منذ الطفولة المبكرة، حتى تتبت الناشئة وهي تنظر إلى نفسها، وإلى غيرها نظرة لا جنف فيها ولا قصور⁽³⁾.

وأما الأناثية فمرض يصاب به الكثيرون على مدار التاريخ الإنساني، والأناثية تأتي بمعنى الفردية والأثرة وحب التملك والاستحواذ على كل ما يمكن الاستحواذ عليه، وكره وجود ذلك عند الآخرين مما يولج حالة من الطمع والجشع لدى الشخص الأناثي، مع مراعاة التمييز بين الأناثية وحب النفس، فحب الذات والرضا عنها خلق بناء يرتفع بالذات ويسمو ويعلو بها. فلأناثية أسباب متعددة منها التربية الخاطئة، فالدلال المفرط، وتلبية كل ما يطلبه الأطفال، وعدم اتباع الوالدين لقواعد التربية الصحيحة القائلة: أعط الطفل كل ما يحتاجه ولا تعطه كل ما يرغب فيه، يعلم الأطفال الطمع، ويؤدي إلى نمو خاصية الأناثية البشعة، وكذلك يعلم الأطفال الاستحواذ على كل شيء، بل

1 نجاتي، القرآن وعلم النفس، (ص100).

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، (3/353).

3 الغزالي، جدد حياتك، (ص138-139-140).

على حاجات أقرانهم. ونقيض الدلال هو الحرمان المفرط وبخل الوالدين على الأطفال، وهو يؤدي كذلك إلى تشكيل شخصية أنانية. وللأسف الشديد قد يكون من أسباب تشكيل الشخصية الأنانية اليتيم والفقر والحرمان بجوار البذخ والترف والإسراف، ففسوة الآخرين قد تؤدي إلى تكوين شخصية أنانية حاقدة وكارهة أيضاً لمن حولها. ومن الأسباب أيضاً أنانية أحد أفراد العائلة فيقتدي الصغار بهم.

فلا شك أن خطورة الأنانية ونتائجها السلبية على الآخرين تتناسب طردياً ودور المتخلق بها ومكانته في المجتمع. فالأنانية خلق ذميم يتخلق به الكبار والصغار على حد سواء، فهذا الخلق هو مرض اجتماعي متفشٍ بيننا اليوم كثيراً للأسف. فكثير منا من يفكر بنفسه اليوم فقط، وبمصالحه دون النظر لمصالح الآخرين⁽¹⁾.

والخلاصة أن الحسد والأنانية أمراض خطيرة، تفتك بالفرد والمجتمع، بحيث يصبح نسيج المجتمع الذي تسوده الأنانية نسيجاً مفككاً غير مترابط، كما تسوده العداوة والبغضاء والكراهية، فحتى لا تنقشى هذه الأمراض في بني إسرائيل جعل الله لكل سبط منهم عيناً يشربون منها، ومع ذلك جحدوا وكفروا وعصوا وتمردوا، لذا فالمطلوب من المربي والداعية المسلم خاصة وأي مربي عامة أن يكون عضواً نافعاً في أمته، لا يصدر عنه إلا الخير، ولا يتوقع منه إلا الفضل والبر، فهو في حركته وهدأته شعاع من نور الحق، ومدد من روافد البركة واليمن، وعون على تقريب البعيد وتذليل الصعب، يسعى في هذه الحياة وقلبه مفعم بالمحبة، ولسانه رطب بالود والمسالمة، ويده مبسوطة بالنعمة يفيئها على من يلقاه من غير تكلف إلى سواه⁽²⁾.

ثالثاً: بشكر المنعم تزيد النعم وبكفرها تزول ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ﴾ (الأعراف: ١٦٠)

الشكر قيمة أخلاقية وإنسانية مهمة لا بد للمربي والمربي والمعلم والمتعلم أن يتحلوا بهذه الصفة، لأن الجحود والنكران صفة ذميمة في الإنسان الجاحد، مع أن نعم الله تلاحقه في كل نفس يملأ الصدر بالهواء، وكل خفقة تدفع الدماء في العروق، وقلما يحس بهذا الفضل الغامر، أو يعظم ويشكر المنعم، فيظهر أن شكر المنعم واجب ثقيل، وأن هذا الإنسان على قدر ما يحتاج ويأخذ، على قدر ما يستخف وينسى، بل أن كثيراً من الناس يتناول أنعم الله، وكأنه يسترد حقاً مسلوباً منه، أو ملكاً خاصاً به، ومن ثم هو لا يرى لأحدٍ فضلاً عليه، وبهذا التفكير الكنود لا يثمر صنيعٌ ولا يجيء شكرٌ⁽³⁾.

1 <http://www.nshrs.com/e/articles.php> الكاتب محمد خير آل مرشد.

2 الغزالي، جدد حياتك، (ص142).

3 الغزالي، محمد، جدد حياتك، (ص108).

النعمة تزيد بالشكر وتزول بالكفر، وأن الداعية والمربي يجب أن يشكر من أسدى إليه معروفاً، ويربي من يخاطبهم ويعلمهم على هذا الخلق وعلى هذه القيمة التربوية المهمة في حياة المسلم تحديداً، فعلى صعيد شكر المنعم، فهذا ابن قيم الجوزية يرى أن "الرزق إنما يتم ويكمل بالشكر، والشكر مادة زيادته وسبب حفظه وبقائه وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد فإن الله تعالى تأذن أنه لا بد أن يزيد الشكور من نعمه ولا بد أن يسلبها من لم يشكرها فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع الشكر والإيمان جعلوا رزقهم نفسه تكذيباً، فإن التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق وهما رزق القلب حقيقة فهؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر فجعلوا رزقهم التكذيب" (1).

والشكر مبني على ثلاثة أركان: "الاعتراف بها باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها" (2).

وأخيراً يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧) (3).

وعلى صعيد شكر الناس الذين يسدون للآخرين معروفاً، أو يصنعون معهم جميلاً، يجب شكرهم والثناء الجميل عليهم، وفي هذا يقول محمد الغزالي: العلة في أنك قد تسلف أيادي بيضاء لبعض الناس، وتبذل جهداً محموداً في سوقها، حتى إذا استقرت في أيديهم نظروا إليك جامدين، أو ودعوك بكلمات باردة ثم ولوا عنك مدبرين، وهذا المسلك مسلك الجاحدين البعيدين عن روح الدين وأخلاق المؤمنين، لأن إفقار النفوس من نضارة الشكر، وانتظار الجفاف والأشواك بها فحسب، منكر قبيح، لذا ينبغي على المربي أن ينهى الناس عن هذا السلوك المشين، وأن يعلمهم الحفاوة بما يُسدى إليهم من معروف (4).

والخلاصة أن على المربي والمربي أن يتجملوا بهذا الخلق الراقى، وهذه القيمة التربوية المهمة، ويتزجموها في سلوكهم، ويدعوا الناس إلى ممارستها قولاً وفعلاً.

رابعاً: من رذائل بني إسرائيل تحريفهم الكلم عن مواضعه ونسيانهم حظاً مما ذكروا به

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٢)

1 ابن قيم الجوزية، التبيين في أقسام القرآن، (ص146).

2 ابن قيم الجوزية، الواابل الصيب، (ص11).

3 ابن قيم الجوزية، الأرواح، (ص48).

4 الغزالي، محمد، جدد حياتك، (ص109-110).

إن الباحث في تفسير آيات القرآن الكريم يرى بوضوح الآيات التي ذكرت رذائل بني إسرائيل والتي تُذكر بعضٌ منها في هذه الدراسة وتحديداً الرذائل التي ذكرتها آيات سورة الأعراف، ومن هذه الرذائل " رذيلة تحريف الكلم عن مواضعه، وحمله على غير وجهه الصحيح، وذلك لقسوة قلوبهم، وانطماس بصيرتهم، وبيعهم الدين بالقليل من حطام الدنيا"⁽¹⁾.

ويقول ابن قيم الجوزية: "إن العبد إذا اعتاد سماع الباطل وقبوله أكسبه ذلك تحريفاً للحق عن مواضعه، فإنه إذا قبل الباطل أحبه ورضيه، فإذا جاء الحق بخلافه رده وكذبه"⁽²⁾. وأخيراً رذيلة تحريف الكلم هي رذيلة مشينة، وسيئة تشمل آفة الكذب، وآفة التزوير، وآفة الاستهزاء والسخرية من كلام الله تعالى، ومن أعظم الجرائم التربوية أن يتربى الإنسان على عدم تعظيم كلام الله تعالى، مما يقود الإنسان المنحرف إلى عدم احترام أي كلام صدر من أي إنسان فيه خير وهداية ورشد.

المطلب الثامن: المشهد الأخير والختامي من مشاهد قصة موسى عليه السلام، وهو نتق الجبل فوقهم قال تعالى:

﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا أَلْجَلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأعراف: ١٧١)•

ويأتي تفصيل هذا المطلب عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقوال المفسرين في الآية الكريمة

وفي ختام حلقات القصة في هذه السورة يذكر كيف أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل الميثاق فقال: ﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا أَلْجَلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧١)•

في سياق هذا المشهد الختامي لقصة موسى عليه السلام يوضح هذا المشهد كم هو عناد بني إسرائيل ووضاعتهم وخستهم ورذائلهم التي ذكرت في هذه الدراسة، وكم هو حلم الله تعالى عليهم، حتى

1 طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، (ص466).

2 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (55/1).

تمادوا وغرهم بالله الغرور، فالله تعالى يمهل ولا يهمل، فنزع الجبل من أرضه ورفع فوق رؤوسهم ليأخذوا بأمر الله تعالى بجديّة وحزم لا بترخص وتميُّع، فقال تعالى:

﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ (الأعراف: ١٧١) والحق يقول: «وإذ» أي اذكر إذ نتقنا الجبل، أي نزعناه وخلعناه من الأرض، ولا ننزعه ونخلعه من الأرض إلا لمهمة أخرى أي نجعله ظلة، وكان تظليل الغمام رحمة لهم من قبل، وصار الجبل ظلة «عذاب»؛ لأن الحق أنزل لهم التوراة على موسى فقالوا له: إن أحكام هذه التوراة شديدة. ولإنسان أن يتساءل: لماذا كل هذا التكوُّن مع التشريعات التي جاءت لمصلحة البشر؟ وجاء لهم العقاب من الحق بأن رفع فوقهم الجبل كظلة تحمل التهديد كأنه قد يقع فوقهم ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧١). والظن هو رجحان قضية، وقد يأتي ويراد به أنه رجحان قوى قد يصل إلى درجة اليقين، وخافوا من الجبل أن يقع عليهم، ولأن هناك كتابا قد أنزل إليهم وهو التوراة وهم يعصون ويتمردون على ما فيه؛ لذلك قال لهم الحق: ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٧١) و «خذوا» فعل أمر، والأمر يقتضي أمرا، ولا بد له من شيء يأمر به. وكلمة «القوة» هذه هي الطاقة الفاعلة، والأصل في الكون كله أن نقبل على كل شيء بقوة؛ لأن الكون الذي تراه مسخرًا ليس له رأي في أن يفعل أو لا يفعل، بل هو فاعل دائما إذا أمر، وكما قلنا من قبل: لم تغضب الشمس على الناس وقالت: لن أطلع هذا اليوم، وكذلك لم يمتنع الهواء عنكم أيها الناس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٧١) قبائح الأعمال وردائل الأخلاق. والإشارة: من لم ينقد إلى الله بملاطفة الإحسان، قيد إليه بسلاسل الامتحان، عجب ربك من قوم يُساقون إلى الجنة بالسلاسل^(١).

وخلاصة هذا المطلوب: أن موسى حين طلب من خيار بني إسرائيل أن يذهبوا معه إلى جبل الطور للاعتذار عن سفهاء قومهم الذين عبدوا العجل، وهؤلاء السبعون كانوا أفضل وأصلح وأعلم قومهم، وأن موسى اختارهم واصطفاهم من سائر القوم! فإذا كان أصلح بني إسرائيل على هذه المخالفة والتمرد والعصيان، ورفض طاعة موسى ﷺ، فكيف بباقي بني إسرائيل، وهم دونهم في الصلاح والتقوى وفي موقف السبعين القبيح والسيء إشارة ودلالة على طبيعة بني إسرائيل النكدة والمشوهة

[ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي، (4431/7-4432). ابن عجيبة، البحر المديد، (569/2). السيوطي، الدر المنثور، (596/3). الزمخشري، الكشاف، (165/2). السمرقندي، بحر العلوم، (576/1). الطبري، جامع البيان، (217/13). الرازي، الفخر الرازي، (2080/1). الماوردي، أبو الحسن علي، (تفسير الماوردي) النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، (276/2). الألوسي، روح المعاني، (110/9).

التي لا تقوم إلا على المخالفة والتمرد والعصيان، وأنه لا تصلح معهم إلا لغة القوة في القول والفعل.

الفرع الثاني: الإشارات التربوية المستنبطة من أقوال المفسرين

1. أثر الابتلاءات في التربية والسلوك ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ (الأعراف: ١٧١)
2. القوة ودورها في التربية والسلوك ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (الأعراف: ١٧١)

الفرع الثالث: آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون

أولاً: أثر الابتلاءات في التربية والسلوك ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ (الأعراف: ١٧١)

سبق وأن تم الحديث عن الابتلاء -في هذه الدراسة- في الفرع السادس من مطلب (السحرة ورحلة الإيمان) -من زاوية أن الابتلاء يصقل النفس ويهذبها، ويظهر القلب ويرققه، وقد يحدث تداخل بين النقطتين؛ لأن الابتلاء فيه دلالات مشتركة، فالعلاقة "التي تربط إنسان التربية الإسلامية بالحياة هي علاقة ابتلاء، والابتلاء معناه الامتحان أو الاختبار. أي اختبار مدلول العبادة بمظاهرها الثلاثة: المظهر الشعائري، والاجتماعي، والكوني فالابتلاء هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله والإنسان^(١).

ويرى ابن قيم الجوزية أن الله تعالى من رحمته نغص على عباده الصالحين "الدنيا وكدرها؛ لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافهم، وأماتهم ليحييهم، ومن رحمته بهم: أن حذرهم نفسه لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته"^(٢).

كما أن الهدف من "الابتلاء والاختبار، ليتبين الصادق من الكاذب"^(٣).

1 الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، (ص174)،

2 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (175/2).

3 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (14/3).

فلولا أنه سبحانه لم " يداو عباده بأدوية المحن والابتلاء، لَطَعُوا، وَيَعْوُوا، وَعَتُوا، والله سبحانه إذا أراد بعد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستقرُّ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هدَّبه ونَقَّاه وصفَّاه، أهَّله لأشرفِ مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفعِ ثواب الآخرة، وهو رؤيته وفُريه"⁽¹⁾.

والابتلاء ظاهره عذاب "وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنه عظمة تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان"⁽²⁾.

والخلاصة أن الابتلاء والامتحان سنة من سنن الله لتربية النفوس وصلها وتنشئتها على الخير والفضيلة والاستقامة، كما أن من أهداف الابتلاء تمييز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب والشريف من الوضيع.

ثانياً: القوة وأثرها في التربية والسلوك. ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ (الأعراف: ١٧١)

إنها طبيعة بني إسرائيل وصفاتهم الخبيثة والنكدة؛ فحين اختار موسى منهم سبعين رجلاً للشهادة على صدقه، كان هؤلاء السبعون خيار بني إسرائيل، ومع ذلك تصرفوا بسوء أدب مع الله فنكصوا وتخلفوا، ورفضوا القيام بما طُلب منهم، إن هذا الموقف القبيح من السبعين يكشف عن الطبيعة الخاصة لبني إسرائيل التي تقوم على التمرد والمخالفة والعصيان!! إنه لا ينفع مع هؤلاء إلا القوة والتهديد، وإن الله يعلم طبيعة هؤلاء ونفسياتهم. ولذلك أجرى أمامهم آيةً عظيمة من آياته. رفع الله فوقهم جبل الطور، ونظروا إليه خائفين مندهشين مرعوبين! وظنوا أنه سيقع بهم ويسويهم بالأرض، وقال لهم موسى عليه السلام: إما أن تبايعوا، وإما أن يسقط الله الجبل عليكم، عند ذلك بايعوا وعاهدوا، وأحدث رفع الجبل رجفة وزلزلة، نتج عنها صاعقة وصوت شديد قاصف، ولم يتمالك السبعون أنفسهم من هول ما يشاهدون وشدة ما يسمعون، فسقطوا مغشياً عليهم⁽³⁾.

وفي عالم التربية والتعليم ينبغي للداعية والمربي أن يكون قوياً في جسده، وفكره، وخلقه، وعاطفته، فمن الوجهة الجسدية ينبغي توافر الصحة الجيدة وسلامة الحواس والقوة والجلد. ذلك أن مهنة التربية تتطلب قدرة على مقاومة التعب يصعب أن يتخيلها أولئك الذين لم يمارسوها. والصفات

1 ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد(4/195).

2 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (1/299).

3 الخالدي، صلاح، القصص القرآني، (3/202)

الرئيسية اللازمة له هي حظ قوي من الذوق السليم وتغذية ثقافية متينة. والصفات الفكرية في حد ذاتها صفات خلقية بمعنى من المعاني، ويجب أن يكون فكر الإنسان سليماً وقوياً⁽¹⁾.
ومن المراحل المهمة في حياة الإنسان هي مرحلة الطفولة لأنها هي " الفترة الهامة في التربية من أجل القوة؛ فالطفل حديث الولادة يعتمد كلياً على الآخرين لتحقيق حاجاته، لأنه لا حول له ولا قوة. وإذا ما تحققت حاجاته تحقيقاً ضعيفاً أو متأخراً فإنه سيميل الى تأكيد شعوره بالضعف أما إذا تحققت حاجاته سريعاً تحقيقاً جيداً، فإنه سيكتسب احساساً بالقوة"⁽²⁾.

والخلاصة أن القوة بجميع أنواعها الفكرية والروحية والعلمية والجسدية والخلقية صفات لا بد من توفرها في المربي والداعية والمعلم حتى يؤثر في غيره، وكل هذه الصفات كانت متوفرة في موسى عليه السلام.

أبرز نتائج الفصل الثالث: موسى عليه السلام يواجه رواسب الوثنية والردة في نفوس بني اسرائيل

1. النعم توجب الشكر والعرفان لا الجحود والنكران
2. الانكار والتوبيخ والتفريع أساليب تربوية يستفاد منها عند الضرورة
3. الإرهاب والطغيان يفسدان النفس بالذل والهوان،
4. الإمارة والقيادة الصالحة المصلحة شرط لتنظيم حياة الناس
5. قبول المسلم النصيحة من غيره علامة خير وإيمان
6. حمل رسالة العلم والتربية والدعوة، شرف عظيم، يصطفي الله تعالى له خيرته من عباده.
7. الاستغفار والتوبة دأب الصالحين وسلوك المرابين
8. الغضب القولي ﴿يَسْمَا حَلَفْتُهُنِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) والغضب الفعلي ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرَهُ إِلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٥٠) أسلوبان تربويان هامين في علاج انحرافات نفسية وسلوكية خطيرة.
9. مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء سنة ربانية وقيمة تربوية
10. الأخذ على أيدي السفهاء والعابثين جزء من مهمة الدعاة والمرابين

1 وبير، رونيه، التربية العامة، (ص787) _ (ص788).

2 فينكس، فيليب ه.، فلسفة التربية، (847).

الفصل الرابع: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر قصة موسى عليه السلام في الواقع التربوي.

والتربية بالقصة من أهم الأساليب التربوية حيث يقف المربي والمتربي في صف واحد يشاهدون السلوك السيء وينتقدون هذه السلوكيات دون ضغائن ولا مصادمات ، كذلك يستحسنون السلوكيات الطيبة دون أوامر صارمة وصوت مرتفع! فيتفكر المتربي ويستشعر بنفسه ما يريد المربي أن يوصله له، مما يجعله نابعا من داخله فيركن إليه قلبه ويسعد به. ويطلب من المتربين الإشارة لها فيقول مثلا⁽¹⁾.

فصل التطبيقات التربوية

انتهى الباحث من خلال الفصول السابقة إلى مجموعة من التطبيقات التربوية تتمثل في النواحي التالية:

الناحية الايمانية، والناحية الاخلاقية، والناحية النفسية، والناحية السياسية، وأن هذه النواحي يمكن أن نشق منها مجموعة من الصفات والخصائص التي يمكن أن تسهم في الإعداد الأمثل للمعلم المعاصر، لأن المعلم يلعب دوراً بارزاً في بناء الحضارات، فالمعلم مرب في المقام الأول، والتعليم جزء من عملية التربية، وقد أشار القرآن الكريم إلى دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم في كثير من الآيات القرآنية، مبيناً أن من أهم وظائف سيدنا محمد ﷺ تعليم الناس وتركيتهم وتطهير نفوسهم ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 129) وقد بلغ من شرف مهنة التعليم أن جعلها الله من جملة الأعمال التي كلف بها رسوله

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (ال عمران: 164)

الناحية الإيمانية

وتشتمل هذه الناحية على صفات لا بد من توفرها في المعلم لكي يكون نموذجاً يحتذى به ويُقتدى، وليترك أثراً طيباً في نفوس من يربيه، فمن هذه الصفات:

ثانياً: من علامات الإيمان الحقيقي، التسليم والاتكال على الله تعالى، والثقة بما عنده ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٥)

وفي قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٥) دعوة لأصحاب الدعوات إلى التوكل على الحي الذي لا يموت، لأن "ما يحقق النصر والغلبة لهم هو التوكل"^(١).

"والتوكل عمل القلب وعبوديته، اعتماداً على الله وثقة به، والتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضاً بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه، وحسن اختياره لعبده، إذا فوض إليه، مع قيامه بالأسباب المأمور بها، واجتهاده في تحصيلها"^(٢).

كما أن "التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم"^(٣)، والتوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى كفاية فان أُعطي شكر، وإن مُنع صبر"^(٤).

والخلاصة: أن على المربي أن يطبق عقيدة التوكل في سلوكه اليومي، فيكون معتمداً على ربه مفوضاً أمره إليه، حتى يواجه شدائد الحياة بكل صبر ورجولة وثبات، ويربي تلامذته أو من يربيه على هذه العقيدة التربوية الهامة، التي لا يستغني عنها داعية أو مربي أو معلم أو تلميذ.

1 ابن قيم الجوزية، إغائة اللفهان، (313/2).

2 ابن قيم الجوزية، الروح، (ص254).

3 ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (464/2)

4 الكردي، محمد أمين، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، دار الفكر، بيروت، 994م، (ص417).

ثالثاً: الإيمان بالله وآياته لا يعاب عند العقلاء بل هو أصل المناقب والمفاخر ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنَّا إِلَّا أَن آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

وعكس الإيمان بالله تعالى الإلحاد، وهو إنكار الذات الإلهية، ووجود الرسالات السماوية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام، والاستهتار بكل القيم والفضائل المنسوبة إلى وحي السماء^(١). والإيمان يعني التصديق بالحقيقة الكبرى، واعتراف بالوجود الأعلى، وشعور بمنزلة الإنسان المحدود أمام رب واسع، بيده ملكوت كل شيء... ثم للإيمان بالله تعالى وظيفة تربوية مهمة وهي لا تتفك عنه، وهذه الوظيفة هي القوة الباعثة على العمل الصالح... وفراغ القلب من هذه العقيدة، معناه سقوط الأعمال التي تصدر عن الإنسان، إذ الإيمان بالله شرط صلاح العمل وقبول السعي^(٢). وأبرز ما يؤكد أهمية الإيمان أن التربية التي لا تركز عليه إنما هي تربية تهوي بالمترين إلى الهاوية، لأن كل جهد أو عمل لا يقبل من الإنسان ما لم يكن قائماً على الإيمان الصحيح... لذلك فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان بل تقوم على التشكيك والطعن بل وفي بعض الحالات الإنكار للإيمان الصحيح والنقي والواضح المتمثل في الإيمان بالله تعالى^(٣).

رابعاً: أنين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين ﴿ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣)

الخطأ طبيعة البشر كما هو النسيان، والمسلم كباقي البشر يُخطئ كما يُخطئون وينسى كما ينسون، إلا أن الله تعالى جعل للمسلم علاجاً تربوياً عندما يُخطئ أو يرتكب ذنباً، وهذا العلاج هو الاستغفار، حتى أن رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، مِئَةَ مَرَّةٍ"^(٤). فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ "يَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ مَعَ عِظَمِ شَأْنِهِ وَكَوْنِهِ مَعْصُوماً. فَكَيْفَ لَا

1 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (909/2).

2 الغزالي، محمد، ليس من الإسلام، (ص155).

3 الحازمي، خالد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، المدينة المنورة، ط1، 2000م، (ص102).

4 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والإكثار من، رقم(7033).

(72/8).

يَسْتَعْلُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَيْلاً وَنَهَاراً مَنْ أَثْقَلَتْ ظَهْرَهُ الذُّنُوبُ وَالْأَوْزَارُ، وَاسْتَكْتَرَّ مِنَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ
"كان الأبرار يتواصلون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة"⁽¹⁾.
ولعلاج الخطأ والخطيئة التي تحصل من الإنسان لا بد من الاعتراف بالخطأ، لأن الاعتراف يزيد
مشاعر الخطيئة والإثم، ويخفف من عذاب الضمير ويطهر النفس المضطربة. وأن يكون عنده
استبصار والاستبصار يزيد المريض القدرة على تنمية الذات البصيرة، وهي الذات التي لها القدرة
على التحكم بالسلوك السوي للإنسان وبعد هاتين الخطوتين التوبة والتي تعتبر هي طريق الأمل
بالغفران، فهي تشعر الفرد بالتفاؤل والراحة النفسية⁽²⁾.

أما العُجب فإنه يورث الكبر الباطن والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال وبهذا
المرض النفسي الخطير تفسد الأعمال⁽³⁾.
ويقول ابن قيم الجوزية: أن المؤمن يعمل الحسنة وتزين له نفسه أنه فعل شيئاً عظيماً فهذا التزيين
يمن به على الله تعالى، مما يؤدي هذا المن إلى التكبر الذي بدوره يؤدي إلى التناول والعُجب
والغرور، مما يؤدي هذا المرض _العُجب_ إلى هلاك صاحبه، فمن هنا إذا أراد الله تعالى بهذا
الإنسان خيراً ابتلاه بأمر يكسر غروره ويرده إلى الله تعالى مخلصاً معترفاً بذنبه وسوء أدبه فيشعر
بالألم والأنين، ويعتصر ألماً على ما بدا منه من عُجب وتكبرٍ وغرور فعندئذٍ يصدق قول القائل
أنين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين⁽⁴⁾.

ويرى الباحث أن الكبر والغرور والعُجب أمراض نفسية تربوية مختلفة في الألفاظ، متداخلة متشابهة
في دلالاتها التربوية والنفسية، وكأنها تتحد في المعنى وتختلف في اللفظ فقط، فمثلاً يتبين أن
الغرور؛ سببه الكبر والعُجب، ولو لم يكن الإنسان متكبراً لم يكن مغروراً، فمن هنا يكون أنين
المدنبيين التائبين أفضل عند الله من عبادة المعجبين.

1 ابن قيم الجوزية، العزلة والانفراد، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار الوطن، السعودية، 1997م،

(ص101).

2 عبد العزيز، مفتاح محمد، القرآن وعلم النفس، (ص183).

3 الغزالي، إحياء علوم الدين، (3/353).

4 ينظر، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب

العربي، بيروت، ط1، 1985م، (ص11).

وأخيراً يُعتبر " انفعال العجب من أبرز الانفعالات التي يتعرض إليها المراهق في هذه المرحلة النمائية، والتي تشمل جميع جوانب شخصيته، ذاته الجسمية، طاقاته النفسية، قدراته العقلية والإنشائية، ميوله ورغباته وإمكانياته الاجتماعية غير ذلك من مظاهر النمو، فينشأ العجب عندما تستولي الذات الجسمية على تفكير المراهق، فتكون شغله الشاغل فيأخذ بالمقارنة بين ذاته الجسمية وذوات أقرانه، ويعجب المراهق بنسب أسرته ومنزلتها الاجتماعية وكثرتها العددية وتراثها المالي وغير ذلك"⁽¹⁾.

خامساً: أنا الخير وأهميتها في التربية الإيمانية. (الأعراف: ١٤٣)

كلمة (أنا) في العرف الاجتماعي السائد بين الناس كلمة مكروهة في معظم الأحوال التي تُذكر فيها؛ لأن فيها إشارة إلى الحديث عن الذات، والمبالغة في الإطراء عليها بحق، أو بغير حق، إلا أنها في التربية القرآنية لها إشارات ودلالات مُختلفة، منها ما له إشارة أو دلالة سلبية، والتي تسمى (أنا) الكبر، ومنها ما له إشارة إيجابية، وهي (أنا) الخير (أنا) العطاء، (أنا) التضحية، (أنا) الفداء. والقرآن الكريم لم يكتفِ منّا بالسرعة والتسارع؛ بل دعانا إلى السبق، بل يريدك أن تكون الأول في كل شيء، والأنا التي يحبها الله تعالى ليست (أنا) الكبر وليست (أنا) الأنانية والأثرة، أنا وليذهب الجميع إلى الجحيم،" وكان الصحابة الكرام، خير مثال لأنا الخير والبذل والتضحية والفداء والعطاء، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَانِمًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. قَالَ «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. قَالَ «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. قَالَ «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه أنا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽²⁾.

وفي ذات السياق يؤكد محمد الغزالي أن الأنانيين في كل مجتمعٍ لعنةٌ ماحقةٌ، تحترق في سعيها الفضائل والمصالح، وتذوب في مرضاتها الأفراد والجماعات، وأن الأنا التي يقولها امرؤ في مجال الطمع، غير (أنا) التي يهتف رجال في مجال الفزع، وبين الاثنين بُعدُ المشرقين. كما أنه يوجد فريق من الناس يربط رأيه بمدى المنفعة التي تعود عليه، فإن امتلأت يده صاح حامداً، وإن نسي أو تنوسي انفتل يصخب ويحتج ويتلمس المطاعن وينتبع عورات الآخرين يكتم الخير وينشر السوء والشر مما يدل على أن صاحب هذه النفسية تسيطر عليه (أنا) الطمع و(أنا) الأنانية، كما أن

1 الزعبلوي، تربية المراهق بين الاسلام وعلم النفس، (ص183).

2 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم2421، (92/3).

جمهوراً كبيراً من الناس يعيشون في حدود مطالبهم الخاصة، فإذا كانت لهم حاجة اشتد إحساسهم بها، وطال إلحاحهم في قضائها، أما إذا كان عليهم شيء فهم يذهلون عنه، وهذا لون من الأثرة الجشعة الجائرة⁽¹⁾.

ويرى سلمان العودة⁽²⁾. أنا ليست دائماً سلبية ووردت في القرآن الكريم 66 مرة غالبها في سياق ايجابي، الله يتحدث عن نفسه بضمير الاناء، (لا اله الا انا) وكذلك النبي عليه السلام والمرسلون (إني أنا النذير المبين) والملائكة كذلك (إنما أنا رسول ربك)، أنا حين تأتي في سياقها العفوي جميلة، تأتي للتواضع ونكران الذات (أنا أقل منك وولدا). تأتي للتسامح ومقابلة السيئة بالحسنة (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بياسط الي)، تأتي للتعريف الشخصي والاعتراف الصادق بالنعمة، (أنا يوسف) لتأتي لتعريف العلم والكفاءة (إني حفيظ عليم)، تأتي في سياق شرف السبق فحين سأل الرسول ﷺ الصحابة من أصبح منكم اليوم صائماً؟ من تبع اليوم منكم جنازة؟ من أطعم اليوم منكم مسكيناً؟ من عاد اليوم منكم مريضاً؟ كل ذلك وابو بكر يقول أنا!! تأتي في سياق المبادرة والثقة بالنفس، من يأخذ هذا السيف بحقه قال ابو دجاجة: تأتي في سياق الاعتراف بالذنب والتنصل من الخطيئة (إني ظلمت نفسي)، (أنا راودته عن نفسه، هذا يدرّب على توظيف الانا في سياق الكفاءة والابداع والسنة الحسنة، عندما يفقد المرء الاحساس بذاته، وأهميته لن يكون منجزاً ولا مبدعاً ولا ناجحاً ولن يكون من الأحياء، لن تسمح الانا لأحد بانتقاصها، فثمة حارس يحرسها من الانتهاك، عندما ينتقدني أحد أو يلومني، فإن ذلك يعد نقص للنفس، وستحاول الأنا أن تصلح الإحساس النفسي بالدفاع والتبرم واللوم. وسواء كان الآخر على صواب أم لا ، فلانا مهمة بالحفاظ على النفس أكثر من الحفاظ على الحقيقية.

الأنا الطاغية، تبدأ بأنا وتنته بمن أنتم؟ (والكبر بطر الحق وغمط الناس، وهي المعبرة عن طغيان الذات، الذي هو أصل الكفر والجحود، يحتقر الأغيار حتى لو كانوا من شعبه أو حاشيته المقربة، رفض الشيطان السجود لآدم وقال (أنا خير منه)، وفرعون (أنا ربكم)، وقارون) انما اوتيته على علم عندي) والنمرود (أنا أحيي وأميت) وصاحب الجنتين (أنا أكثر منك مالاً واعز نفراً).

1 الغزالي، جدد حياتك، شركة نهضة مصر، ط9، 2005م (ص 139-140-147)

2 لاسم: سلمان بن فهد بن عبد الله العودة. ولد في شهر جمادى الأولى عام 1376 هـ 1956 م في قرية البصر التابعة لمدينة بريدة بمنطقة القصيم. له مؤلفات عديدة منها: طفولة قلب، أنا، اخواتها، شكراً أيها الأعداء، كيف نختلف، مع الله، و.... الخ. (<http://www.islamtoday.net>).

الاغترار بالعنصر أو بالجنس أو باللون أو بالسلطة أو بالمال أو بالعلم، يغري بعبادة الذات، ونسبة الى الخير الى النفس والشر والسوء الى الخير، يعتقد أن البشرية فقيرة ومحتاجة لحكمته وبصيرته. ومن لم يعبد ربه يعبد نفسه، معظم الرذائل ناتجة عن توثين الذات (1).

والخلاصة أنه يوجد أكثر من نوع من الأنا: (أنا) الكبر و(أنا) الأناية و(أنا) الغرور، كلها مذمومة، والأنا المرغوبة والمطلوبة هي: (أنا) إنكار الذات (أنا) الهمة (أنا) العطاء (أنا) الوفاء والخ.

الناحية الأخلاقية

أولاً : الصبر وأثره التربوي على المربي والداعية

يقول ابن قيم الجوزية: "والصَّبْرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو ثلاثة أنواع: صَبْرٌ على فرائض الله، فلا يُضَيِّعُهَا، وصَبْرٌ عن مَحارمه، فلا يَرْتَكِبُهَا، وصَبْرٌ على أَقْضِيته وأقْداره، فلا يَتَسَخَّطُهَا، وَمَنْ استكَمَلَ هذه المراتبَ الثلاث، استكَمَلَ الصَّبْرَ. ولذَةُ الدنيا والآخرة ونعيمها، والفورُ والظفرُ فيهما، لا يَصِلُ إليه أَحَدٌ إلا على جِسْرِ الصبر، كما لا يَصِلُ أَحَدٌ إلى الجَنَّةِ إلا على الصِّرَاطِ" (2).

ومن أنواعه أيضاً الصبر على المكاره : أي القدرة على التحمل، وضبط النفس، والاستبصار، كما يعني النظر إلى الأمور والتعامل معها بشكل واقعي، فالله يبتلي عباداً أحياناً ويمتحنهم تارة بالسراء وأخرى بالضراء، من خوف، ومرض، وجوع، ولقاء، وفراق، ونصر، وهزيمة، ليعلم من يصبر ويشكر، أو يضرر ويكفر (3).

ويرى المحاسبي (4) أن من معاني "الصبر كتمان المصيبة وهو من كنوز البر، ومنها أيضاً الصبر على كتمان الطاعة، وحبس النفس عن ذلك كله، كما أن من علاماته الرضا عن الله، ومن

1 العودة، سلمان، أنا وأخواتها، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، 213م، (ص41).

2 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (4/333).

3 اللوياني، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية، (ص43).

4 . الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. وله كُتُب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرّد على المعتزلة والزّافضة من كتبه آداب النفوس و شرح المعرفة والمسائل في أعمال القلوب والجوارح والمسائل في الزهد وكتاب التوهم ورسالة المسترشدين، ت 243 هـ ينظر، (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (1103/5). أبو عبد الله، علاء الدين ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (276/3). الزركلي، الأعلام، (153/2).

علامات الرضا عن الله الرضا بقضائه وهو سكون القلب إلى أحكام الله والتفويض إلى الله قبل الرضا، والرضا بعد التفويض (1).

والصبر: "قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه؛ لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز" (2).

وللصبر فضل عظيم يدل على: "كمال العقل، والبعد عن الطيش والرعونة، والتعبير عن حكمة في معالجة مشكلات الحياة. يضاف إلى ذلك أنه في مستواه الرفيع ثمرة من ثمرات الفهم عن الله، وتدبر حكمته العظيمة في تصريف الأمور، وامتحان عباده في هذه الحياة، وثمره من ثمرات الرضا عن الله فيما تجري به مقاديره" (3).

وخلق الصبر من الصفات الضرورية لكل إنسان؛ إذ بدونه لا يستطيع بلوغ ما يريد؛ لأن المراد إلا يُنال غالباً إلا بتحمل المكاره وحبس النفي عليها، وهذا الخلق بحاجة إليه كل إنسان، والداعية المسلم والمربي هو أشد حاجة إليه لما يجده من التواء للنفوس وبلادة في العقول، وعوج في السلوك، وفي عالم التربية والتعليم، تجد الطالب يحبس نفسه على المذاكرة والدرس وكف نفسه عما تهواه من لذة وراحة حتى يستوعب الدرس لينجح في الامتحان (4).

والخلاصة: أن خلق الصبر من الأخلاق التربوية الهامة التي يجب على المربي أن يتحلى بها؛ فلا يستعجل استجابة الناس لدعوته، ولا يعجل على بطاء فهم بعض التلاميذ لبعض المواضيع المعروضة للشرح والإيضاح، وخلق الصبر مجالاته واسعة ومتعددة، لا يكفي لتوضيحها إشارة تربوية خاطفة في دراسة محددة.

ثانياً: قبول المسلم النصيحة من غيره، علامة خير وإيمان.

يقول ابن قيم الجوزية "والنصيحة لقاح العقل فكلما قويت النصيحة قوى العقل واستنار" (5). والنصيحة واجبة على الناصح تجاه المنصوح، كما هو واجب على المنصوح أن يتقبل نصيحة الناصح، بل قبول النصيحة من الأخلاق الفاضلة التي توجب على المربي أن ينصح غيره ويقبل

1 المحاسبي، آداب النفوس، (ص151).

2 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (305/2)

3 الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (343/2).

4 زيدان، أصول الدعوة، (336).

5 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص200).

نصيحة غيره، وفي عملية التعليم والتعلم وفي عالم التربية والسلوك، أن ينصح المعلم المتعلم ويقبل المتعلم النصيحة، وأن ينصح المُربي تلاميذه ويستجيب الطلبة والتلاميذ لإرشادات ونصائح مربيهم،

يقول ابن قيم الجوزية: تذكير العبد بمراد الله تعالى من النصح والنصيحة، وسواء كانت هذه النصيحة بالإرشاد والتحذير، أو بالتهديد والوعيد، فهي منة الله، وإلا فهي حجة وكل بصيرة وموعظة وتذكير وتعريف من تعريفات الحق سبحانه إلى العبد اتصل به عبرة ومزيد في العقل ومعرفة في الإيمان فهي منة وإلا فهي حجة وكل حال مع الله تعالى أو مقام اتصل به السير إلى الله وإيثار مراده⁽¹⁾.

وواجب النصيحة الأصل أن يقوم به العلماء والمربون، وأن يسلكوا سلوك تربية الأنبياء وطريقتهم في التبليغ، وذلك بالصبر والاحتمال، ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان، والرفق بهم، واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق، وبذل ما يمكن من النصيحة لهم؛ فإنه بذلك يحصل له نصيبهم من هذا الميراث العظيم وقدره الجليل⁽²⁾.

والمربي الناصح والداعية المرشد يجب ألا يحمل في قلبه الغل والغش في النصيحة، لأن "مناصحة أئمة المسلمين هذا أيضا منافع للغل والغش؛ فإن النصيحة لا تتوافق مع الغل؛ إذ هي ضده فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل والغش فإن صاحبه لزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ويسوؤه ما يسوؤهم ويسره ما يسره وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن⁽³⁾.

ومن هنا جاءت توجيهات الرسول ﷺ يبين فيها أن "الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَنْتُمْ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"⁽⁴⁾. وأخيراً على المسلم قبول النصيحة ممن كانت وممن خرجت فالحكمة ضالة المؤمن فإن وجدها كان أحق الناس بها، وهذا ما يؤكد أبو حامد الغزالي في قوله للمنصوح "واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم"⁽⁵⁾.

1 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (173/1).

2 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (66/1).

3 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (72/1).

4 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم(205)، (53/1).

5 الغزالي، إحياء علوم الدين، (55/1).

والخلاصة أن النصيحة هي عبارة عن تواصلٍ بالحق والصبر ولا خير في الإنسان إن لم ينصح من أخطأ ولا خير في المنصوح إن لم يقبل نصيحة الناصح، فمن هنا على المربي والداعية ألا يجامل الناس على أخطائهم بل ينصح ويذكر بأدب النصيحة وشروطها، والمنصوح عليه أن يستجيب للنصيحة وإن رفضها يكون مبتلى بأمراض نفسية خطيرة كالكبر والغرور والعُجب عليه معالجتها.

ثالثاً: خلق الرحمة وأثره في تربية الفرد والمجتمع

"شرائع الله لعباده ميناها الرحمة الشاملة، لا مكان فيها لإعنات أو إجحاف، قد يقسو الأب على أولاده أو يجهل أو يحيف، وقد يلحقه من طبيعة البشرية ما يشوب لهم تأديبه لهم بالآثرة، والغرض. أما رب العالمين فإنه يُشَرِّع لعباده ما يعود عليهم بالخير المحض، وما يكفل مصلحتهم الصرف. فحنوه عليهم مقرون بالغنى المطلق عنهم"⁽¹⁾.

فإنه تعالى واسع الرحمة لا يخرج عن دائرة رحمته إلا الأشقياء، الذين لم تسعهم رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء؛ بسبب قسوة قلوبهم، وفضاظة طباعهم⁽²⁾.

ويرى أبو حامد الغزالي: أن من دقائق صناعة التعليم أن يُزَجَّر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة، لا بطريق القسوة والتوبيخ المبالغ فيهما⁽³⁾. ويعتبر محمد الغزالي أن: " الرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم ويتمنى لهم الهدى، هي كمال في الطبيعة؛ لأن تبلد الطبيعة يهوي بالإنسان إلى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه، وهو العاطفة الحية النابضة بالحب والرأفة، بل إن الحيوان قد تجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة إلى منزلة البهائم، بل إلى منازل الجماد الذي لا يعي ولا يهتز"⁽⁴⁾.

إلا أن ابن قيم الجوزية يرى أن الرحمة لا تعني الإفراط في الدلال والترفيه المريح والمضرب بالمُرْبى وتحديدًا فئة الأطفال، " فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه في

1 الغزالي، ليس من الإسلام، (ص9).

2 ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص81).

3 الغزالي، إحياء علوم الدين، (57/1).

4 الغزالي، خلق المسلم، (ص209).

ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقله رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفقه ويربحه فهذه مقلونة بجهل كرحمة الأم" (1).

والسنة النبوية فيها من الدروس الكثير عن خلق الرحمة وأهميته في عالم التربية والسلوك، فيذكر البخاري في صحيحه حديث مؤثر عن تربية النبي ﷺ لأصحابه على خلق الرحمة وتذكيرهم بهذه القيمة التربوية الهامة، فيقول: "قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ فَأَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ ، قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَوْلَدِهَا " (2).

ورد في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو وجود بنفسه، فجعلت عيننا رسول الله ﷺ تدرقان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، الْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ" (3).

وفي الحديث الذي رواه مسلم، أن الرسول يقول لبعض أصحابه "أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ" (4).

إلا أن هذه الرحمة التي استكنت في قلبه ﷺ لم تُخرجه عن حد الاعتدال، فقد كان يوجههم إلى ما فيه نفعهم وصلحهم، وإن كان فيه قسوة عليهم، فهذا مقتضى الرحمة؛ ففي الحديث الذي رواه مسلم، أن الرسول "أخذ الحسن بن علي -رضي الله عنه- تمرًا من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ (كَيْفَ كَيْفَ أَرَمَ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ" (5).

1 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (174/2).

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم (5653). (2235/5). مسلم،

صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم (7154). (97/8).

3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا لمحزونون، رقم (1241). (439/1).

4 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم (2176). (40/3).

5 L مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب، تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، رقم (2522).

(117/3).

والخلاصة أن خلق الرحمة قيمة تربوية مهمة، يجب على المربين والدعاة أن يتربوا ويُرَبِّوا الناس عليها، أفراداً وجماعات، وتحديدًا الناشئة الذين هم أحوج الفئات العمرية للتخلي بهذا الخلق وهذه القيمة، كما يجب التذكير دائماً، أن الله تعالى صفته الرحمة، وأن رحمته وسعت كل شيء، ومن رحمته تعالى بعباده، أن أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وهؤلاء الرسل الكرام هم خير من طبق الرحمة في أقوالهم وأفعالهم، والقدوة المثلى في تطبيق هذا الخلق وهذه القيمة، محمد ﷺ فقد كان رحيماً بالمؤمنين، وبالمخالفين، بل وصلت رحمته إلى الحيوان والطيور، وأخيراً ومن المهم العلم، أن تطبيق خلق الرحمة كقيمة تربوي مهمة - بين فئات المجتمع المسلم، وتحديدًا فئة المعلمين والمتعلمين، وفئة الآباء والأبناء، - يجب أن يكون باعتدال دون افراط ولا تفريط، بمعنى أن لا يقسوا المربون قسوة تؤذي وتنفر، ولا أن يفرطوا في التدليل والترفيه فيضل المرءى وينسى، وهذه الإشارة التربوية وضحتها، وأرشد إليها الحديث الذي رواه مسلم (كخ كخ).

الصفات النفسية

أولاً: الداعية إلى الله موصول القلب بربه مطمئن لوعده على يقين بنصره

والمؤمن الموصول بالله عز وجل يكون ساكن النفس مطمئن القلب" وثمرة هذه السكينة الطمأنينة للخير تصديقاً وإيقاناً، وللأمر تسليماً وإذعاناً، فلا تدع شبهة تعارض الخير ولا إرادة تعارض الأمر فلا تمر معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة من مرور الوسوس الشيطانية التي يبنتلى بها العبد ليقوى إيمانه، ويعلو عند الله ميزانه بمدافعتها وردها وعدم السكون اليها، فلا يظن المؤمن أنها لنقص درجته عند الله⁽¹⁾.

ويرى ابن قيم الجوزية: أن حقيقة الطمأنينة هي "السكون والاستقرار؛ فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به رياً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومعبودها ومليكتها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين"⁽²⁾.

1 ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، (202/4).

2 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، (76/1).

كما أن طمأنينة القلب وسكونه واستقراره وزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، كل هذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عجز قضى الله سبحانه وتعالى قضاءً لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق⁽¹⁾ لأن "الطمأنينة هي سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه"⁽²⁾. وأخيراً فإن التربية المؤثرة والفاعلة والتي تبقى القلب متصلاً بخالقه ومولاه، لها وسائل وأساليب ومن وسائلها الاتصال بكتاب الله العظيم تلاوةً وتأملاً وفهماً، وفتح منافذ القلب إلى هذا الروح العظيم ليبقى ساكناً مطمئناً⁽³⁾.

وخلاصة هذه النقطة: أنه لا راحة ولا طمأنينة ولا استقرار نفسياً ولا قلبياً ولا روحياً ولا ذهنياً ولا عقلياً إلا بالاتصال بالله، وتلاوة كتابه وفهمه وتدبره وتطبيق ما جاء فيه من إرشادات وتعليمات وأوامر ونواهي، وعكس ذلك البعد والحرمان والشقاوة والقلق والاضطراب والاكنتاب حتى الهموم والأحزان تبقى تحوم حوله حتى الممات، فالمطلوب من المري والمعلم والداعية المسلم أن يبقى على تواصل مع الله كما تقدم، وأن يدعو ويربي ويعلم غيره على هذه المعاني.

ثانياً: المري الناجح الذي ينسب كل توفيق إلى ربه وكل تعثر وإخفاق إلى نفسه.

من أدب المري والداعية أن ينسب كل خير إلى ربه، وكل شرٍ أو إخفاقٍ إلى نفسه؛ لأن العبد كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً وبذلاً، وكلما ازداد قدراً وجاهاً، ازداد قريباً من الناس وقضاءً لحوائجهم وتواضعاً لهم، وهذه الصفات من علامة السعادة عند المري المسلم، ومن علامات الشقاوة أنه كلما ازداد علماً ازداد كبيراً وتيهاً، وكلما ازداد علماً ازداد فخراً واحتقاراً للناس وحسن ظنه بنفسه، ونسبة كل توفيق لها⁽⁴⁾.

1 ابن قيم الجوزية، الروح، (ص220).

2 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلّة، تحقيق: علي بن محمد، دار العاصمة الرياض، ط2، 1998م، (741/2).

3 زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ط2، (428/2).

4 يُنظر، ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص155).

وفي موقف سليمان عليه السلام وقارون درس تربوي هام، يتمثل في أن سليمان عليه السلام نسب الفضل إلى ربه، وقارون نسب نعم الله عليه إلى نفسه وفي هذا يقوب ابن قيم الجوزية: " أن سليمان رأى ما أوتيته من فضل الله عليه ومنتته، وأنه ابتلى به شكره، وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه" ⁽¹⁾.
 ففي موقف سليمان عليه السلام قمة العظمة الإنسانية التي عرف سليمان من خلالها أن كل نعمة، وكل توفيق يوفق إليه الإنسان في هذه الحياة، هو بيد من بيده الأمر كله، بيد صاحب السلطة المطلقة في الوجود بيد المُنعم المتفضل الذي أعطاك هذه النعم والذي يمنعك إياها في أي لحظة إن شاء، ومن يظن أن النعم التي أنعم الله بها عليه هي بجهد وفصاحته وذكائه الخارق دون أن يرد الفضل إلى صاحب الفضل يصيبه الخذلان" والخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكفه إليها، والتوفيق ضده؛ أن لا يدعه ونفسه، ولا يكله إليها؛ بل يصنع له، ويلطف به، ويعينه ويدفع عنه، ويكلؤه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه، فمن خلى بينه وبين نفسه هلك كل الهلاك" ⁽²⁾.

وإذا أوكّل الله تعالى الإنسان إلى نفسه أهلكه؛ لأنه تعالى هو الذي يُقدر الخير لهذا المخلوق الضعيف العاجز؛ لأنه هو الذي يعلم ما يصلح هذا الإنسان وهو اللطيف الخبير، وفي هذا السياق يقول ابن قيم الجوزية: "والتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه مريداً له محباً له مؤثراً له على غيره ويبغض إليه ما يسخطه ويكرهه إليه" ⁽³⁾.

ثالثاً: العزلة والاتصال وموقف المربي الناجح والداعية الواعي.

العزلة بمفهومها السلبي "خروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع" ⁽⁴⁾.
 وعلى صعيد تربية الطفل يحذر بعض المتخصصين في علم التربية والسلوك من عزلة الطفل القاتلة والسلبية، والتي سببها الحب الكثير الزائد والمفرط، والذي من شأنه أن يتساوى مع الحرمان من الحب؛ إذ كلاهما ضار مثل الإكثار من الطعام أو الحرمان منه، كلاهما ضار. فالحب الزائد

1 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص206)

2 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، تحقيق: محمد بدر الدين، دار الفكر، بيروت، 1978م (ص100).

3 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (414/1).

4 المناوي، التوقيف على مهام التعريف، (ص513).

يعوق نمو الطفل، ولا يعطيه فرصة في الاستقلال والاعتماد على النفس، بل يشعره بالعجز عندما يخرج الى الحياة الاجتماعية، فيصبح الفرد متمركزاً حول ذاته أنانياً. فعندما يكبر الطفل ويخرج للحياة لا يجد الاهتمام الذي كان يجده من أسرته ومن أفراد المجتمع، فيحس بأن الدنيا لا تقدره، فيختل توازنه وتوافقته مع الآخرين ويتخذ سلوكه شكلاً عدوانياً أو انسحاباً وانعزالاً عن الحياة⁽¹⁾.

إلا أن العزلة بالمفهوم الإيجابي، هي العزلة الشعورية حيث " كان هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية، فهو انفصل نهائياً من بيئته الجاهلية واتصل نهائياً ببيئته الإسلامية، حتى ولو كان يعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر "⁽²⁾.

والعزلة تعني الإحساس بعدم الانسجام، مع هذا النسق الاجتماعي، أو ذلك النظام الأخلاقي، والاختلاف مع هذا المجتمع في مسائل جوهرية وهو يعني بالضرورة عزلة شعورية، نشعرنا أننا لا ننتمي لذلك المجتمع، (ثقافياً وأخلاقياً). لكننا في الوقت نفسه نتفاعل مع مؤسساته التعليمية والاقتصادية، والسياسية كذلك، والعزلة الشعورية لا تعني الانزواء عن المجتمع وهجره، وقطيعة مع أفرادها، وفي ذات الساق يقول محمد الغزالي: إنه " لا بد من طليعة، تعزم هذه العزلة، وتمضي في الطريق، وهي تزاوّل نوعاً من العزلة من جانب، ونوعاً من الاتصال من الجانب الآخر، مع شرائح المجتمع، المطلوب دعوتها وتربيتها ومفهوم العزلة هنا عزلة الشعور من أن يدنس رغام الجاهلية، عزلة النفس واستعلاء إيمانها وهي تمضي ثم إن العزلة والاختلاط لا يمكن أن يكونا صفتين دائمتين للإنسان. فليقسم المسلم وقته بين الخلوة النافعة والاختلاط الحسن، ليخرج من الحالين بما يصلح شأنه كله "⁽³⁾.

فَالْمُخَالَطَةُ إِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَهِيَ مَحْمُودَةٌ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَهِيَ مَذْمُومَةٌ بَلْ وَمَنْهِيٌّ عَنْهَا، وَكَذَلِكَ الْاجْتِمَاعُ الَّذِي يَزِدُّ الْعَبْدَ بِهِ إِيمَانًا إِمَّا لِانْتِفَاعِهِ بِهِ وَإِمَّا لِتَنْفَعِهِ لَهُ وَتَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ أَوْقَاتٍ يَنْقَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَفَكُّرِهِ

1 معوض، خليل ميخائيل، سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية،

ط3، 1994، (ص 58)

2 قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1979م، (ص17).

3 الغزالي، خلق المسلم، (ص156).

وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَشْرِكُ فِيهَا غَيْرُهُ فَهَذِهِ يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى انْفِرَادِهِ بِنَفْسِهِ لِيَخْلُوَ مَعَ رَبِّهِ فِيهِذْبَ نَفْسِهِ وَيَرْبِيهَا عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ⁽¹⁾.

كما "أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق، وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك، فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستتقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه وديناه في الانتقام منهم"⁽²⁾.

كما أن العزلة لا تعني بأي حال من الأحوال أن يعمل الإنسان "لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن أن تتجح حياته أيضاً إذا عاش حياة منعزلة فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة بما يصاب به في النهاية من أمراض نفسية، كما أنه ضار تربوياً تجاه الطفل إذا أُبعد عن المجتمع"⁽³⁾.

ويقول محمد الغزالي: "اننا قد نبيح عزلة مؤقتة يحصن المرء فيها نفسه، ويسد الثغور التي ينفذ فيها عدوه، حتى إذا قوي واستكمل الأهبة خرج منازلنا لأعداء الله، ومعلينا شعار الحق وربما تغل المعتزل بأنه سيكون أهدأ بالاً، وأرق روحاً، وأدوم ذكراً لله، وهذا تغل مرفوض، فإن تعريف الجاهلين بربهم، وتذكير الناس بولي أمرهم ونعمتهم، أهم وأجدى من صفاء النفس وهدوء الأعصاب"⁽⁴⁾.

ومن شروط التربية السليمة أن لا يحيا المربي حياة سلبية منطوية معزولة" فالشرط الأول أن يكون المرء مريباً صالحاً، ومحبة الأطفال والشعور بالحاجة إلى التضحية في سبيل أضعف المخلوقات وأكثرها انفتاحاً على المؤثرات جميعها وأشدها ثقة بقوة الراشد وصلاحه، وتفترض محبة الأطفال قدرة المربي على أن يبقى هو نفسه شاباً، إذ عليه أن يكون إيجابياً وعملياً مباشراً، وليس بعيداً منعزلاً"⁽⁵⁾.

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1987م (162/2).

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، (230/2).

3 يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية، (ص56).

4 الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم دمشق، 1997، ط2، (ص74).

5 وبيبر، رونيه، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1972م، (ص781-782).

وخلص ما سبق: أن العزلة لا تعني الانقطاع التام عن دعوة الناس وتربيتها وتوجيهها وإرشادها بحجة صفاء العقل ونقاء النفس وعدم التلوث بلوثة الانحرافات الفكرية والسلوكية التي تعيشها بعض المجتمعات، وهكذا كانت عزلة موسى انقطاع مؤقت عن المجتمع هذا من جانب، ومن جانب آخر اتصال وخلوة مع ربه ليتقوى على اقتحام الأخطار ومواجهة التحديات، وبعد ذلك يعود إلى قومه يدعوهم ويبلغهم ويرشدهم ويصحح سلوكهم المنحرف، وفكرهم الضال.

رابعاً: الحزن والألم والغيرة على انتهاك حرمت الدين صفات لا بد من توفرها في المربي.

المربي المسلم تحديداً هو إنسان حساس ذواق، يتألم لآلام الآخرين، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، ويتضاعف ألمه وحزنه حين يُعتدى على حرمت الله وشعائر دينه، فموسى عليه السلام تألم ألماً شديداً، وحزن حزناً عميقاً، حين رأى قومه عبدوا العجل من دون الله، فمن هنا كانت الوظيفة الرئيسية للحزن "هي مساعدة الحزين على التوافق النفسي في حالة فقدان شخص عزيز، والحزن يؤدي إلى الهبوط في الطاقة وفي الحماسة، وخاصة في مجال اللهو والترويح عن النفس، فيما يعمق تراجع النشاط الشعور بالحزن الذي يقترب من الاكتئاب"⁽¹⁾.

مع أن الألم والحزن دافعه الغيرة على وحدانية الله تعالى المطلقة والكاملة في الوجود؛ لأن الغيرة عبارة عن مزيج من الانفعالات المختلفة؛ كالخوف، والغضب، والحقد، والشعور بالنقص، وحب التملك، وتسبب الغيرة كثيراً من مشاعر الصراع شديدة الخطورة على الجوانب الاجتماعية للفرد. وكثير من الناس يتحدثون عن مشاعر الغضب التي تنتابهم ويعترفون بها، ولا يجدون غضاضة في ذلك، ولكننا لا نجد فرداً يعترف بالغيرة؛ وذلك لأن الغيرة شعور كريبه يخدش كبرياء الفرد، ويحط من شأنه، ويضعه في موقف مكره من الآخرين. والغيرة أساس لكثير من أنواع وأنماط السلوك التي تتسم بالغرابة والشذوذ؛ فالطفل الغيور لا يشعر بالهناء والسعادة على حال ويبقى متقلب الأطوار مضطرباً، هذه الغيرة المذمومة، أما الغيرة الإيجابية كرد الظلم والعدوان عن المظلومين، أو مسحة دمة يتيم، غيرة إيجابية، بل واجبة وضرورية⁽²⁾.

ومن الأمور الخطيرة على المربي المسلم هي موت الغيرة في نفسه، فلا يقر معروفاً، ولا ينكر منكراً، فلا "يغار على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب حَداً لا يستقبح بعد ذلك

1 جولمان، دانييل، الذكاء العاطفي، ترجمة ليلي الجبالي، 2000م، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (ص23).

2 معوض، خليل ميخائيل، سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط3، 1994م، (ص291).

القبیح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك، وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح؛ بل يُحسّنُ الفواحش والظلم لغيره، ويزينه له، ويدعوه إليه، ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة عليه حرام؛ لأنه يقر الخبث في أهله، وأنه لا غيره عنده، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره، ومزينه لغيره⁽¹⁾.

والخلاصة أن الغيرة نوعان: نوع محمود بل واجب ومطلوب، ونوع مذموم بل مرفوض، فالأول غيرة المعلم والمربي والداعية على أي انحراف سلوكي وتربوي يصدر من أي شخص، فهنا يأتي دور المربي ليصحح هذا السلوك الخاطيء، ومنها أيضاً الغيرة على انتهاك حرمة من حرمت الدين، والغيرة المذمومة كغيرة الأصدقاء فيما بينهم، وغيرة التلاميذ الذين يتميزون في تحصيلهم العلمي، مما تؤدي هذه الغيرة إلى الشحناء والبغضاء بين الأقران، تلك الغيرة التي تفتك بالنسيج الاجتماعي لأي مجتمع كما أنها تضره وتؤذيه.

المبحث الثاني: أثر قصة موسى عليه السلام في الواقع السياسي.

التربية السياسية هي إعداد الفرد المسلم ليكون مواطناً صالحاً في المجتمع المسلم، يعرف واجباته فيؤديها من تلقاء نفسه، طمعاً في ثواب الله عز وجل، قبل المطالبة بحقوقه، كما يعرف حقوقه فيسعى إلى اكتسابها بالطرق المشروعة.

والتربية السياسية جزء أساس من التربية الإسلامية، لأن التربية الإسلامية تربية شاملة للفرد والمجتمع، وهذه التربية السياسية واجب اليوم؛ من أجل إعداد اللبنة المسلمة الصالحة لتكوين المجتمع المسلم، وهي ركن أساس من أركان التربية الإسلامية لأن التربية الإسلامية تشمل التربية الروحية، والتربية العقلية، والتربية الجسدية، والتربية الوجدانية، والتربية الاجتماعية، ومنها التربية السياسية، والتربية العسكرية، والتربية الاقتصادية... إلخ، فالإسلام دين للفرد وللمجتمع، ولايقوم مجتمع مسلم بدون سياسة مسلمة، فالتربية السياسية تعد المواطنين لممارسة الشؤون العامة في ميدان الحياة، عن طريق الوعي والمشاركة، وعن طريق إعدادهم لتحمل المسؤولية، وتمكينهم من القيام بواجباتهم، والتمسك بحقوقهم⁽²⁾.

وفي قصة موسى عليه السلام الكثير من الإشارات التربوية السياسية التي قد تفيد الأمة في رسم سياستها الخاصة والعامة، ومن هذه الإشارات:

1 ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص45).

2 <http://vb.arabsgate.com>

أولاً: الحرية فريضة شرعية وضرورة إنسانية وقيمة تربوية ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

(الأعراف: 105)

لم يدرك الإنسان قيمة الحرية إلا حينما يقع عليه الظلم والاضطهاد، وحين يُحجب كُرهاً عن سماع كلمة التوحيد التي هي أعظم كلمة حرية في الوجود، وفي هذا السياق، يقول محمد الغزالي في توصيف معنى الحرية التي يدعو إليها الإسلام ويجاهد من أجلها: "الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن، فالحرية العقلية والنفسية أساس الإنسانية"⁽¹⁾.

والحرية بكل أشكالها وأنواعها الفكرية والدينية والاقتصادية والسياسية قيمة عظيمة، والذي يعني الباحث في هذه الدراسة هي الحرية السياسية، التي كانت مطلباً مهماً لموسى عليه السلام ولقومه لينجوا من فرعون وظلمه، ويعيشوا في أمن وأمان، والعرب قبل الإسلام كانوا عبيداً لآلهة متعددة تشمل الحجر والبشر والشمس والقمر، حتى الموروث من العادات الظالمة، حتى جاء الإسلام ودعاهم لأعظم معنى من معاني الحرية وهي دعوة لا إله إلا الله، التي تفك قيود العبودية عن كل عابد لمخلوقٍ غيره⁽²⁾.

بها ينتشر العدل، ويسود الأمن والأمان، وفي أجوائها تتكون الشخصية التربوية الفاعلة والمؤثرة، أيًا كانت هذه الشخصية سواء كانت ترسل، أو تستقبل، كما أن الحرية قيمة تربوية، فالدعوة إليها سلوك أخلاقي، والسلوك الأخلاقي في نظر الإسلام هو كل سلوك خيّر يقوم به الإنسان، بإرادة خيرة، ولغاية خيرة، والإنسان الأخلاقي، هو الإنسان الخيّر في حياته الظاهرة والباطنة، لنفسه ولغيره على حدٍ سواء"⁽³⁾.

ويُفهم من ذلك أن المربي المسلم تحديداً وُجد على هذه الأرض ليُحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، "لا يستسلم للواقع، بل يعمل على تغييره كما أمر الله، ولا يعتذر بالقضاء والقدر، بل يُؤمن بأنه قضاء الله الغالب، وقدره الذي لا يُرد، إنه المسلم الذي يعمل لإقامة رسالة، وبناء أمة وإحياء حضارة"⁽⁴⁾.

1 الغزالي، محمد، خلق المسلم، (ص28).

2 يُنظر، الفنجري، أحمد شوقي، الحرية السياسية في الإسلام، دار القلم الكويت، ط2، 1938م، (ص24).

3 يالجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983م (ص12).

4 القرضاوي، يوسف، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، مكتبة وهبي، القاهرة، ط3، 1992م، (ص6).

كما أن الحرية تعتبر من الأسس التي يقوم عليها التعليم في المدارس الحديثة، وهذه الحرية المضبوطة بضوابط تربوية مدروسة لن تؤدي إلى الفوضى المعطلة لعملية التعليم والتعلم، بل تساعد الفرد على النمو وتكسبه الخبرات واتقان المهارات، وتقوده إلى العمل المنظم المنتج. فالحرية ضرورية للكائن الحي لأنها شرط النمو، وكما أن النمو المادي يحتاج إلى مقومات هي الضوء والهواء والدفء وغيرها، فكذلك النمو العقلي يحتاج إلى مقومات. هي التي نسميها في مجموعها الخبرة التي تبرز ما يمكن من استعدادات وتبيح لها أن تتشكل في صورها المتناسقة المنتجة (1).

ثانياً: الشورى نهج تربوي سياسي إنساني حتى عند الطغاة ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠)

الشورى مبدأ إنساني، كم هو مبدأ إسلامي، فها هو فرعون يستشير حاشيته وقومه في أمر موسى عليه السلام، والأولى في تطبيق هذه القيمة الغالية أهل الإسلام، لذا كان من صفات القائد أو المرابي أن يُرسخ هذا النهج وهذا الخلق، تصديقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩). والذي يستشير شخصاً أو جماعة يكون قد ضم عقول هؤلاء المستشارين إلى عقله، ونتيجة ذلك أن الرأي الذي يخرج به مجتمع الشورى أنضج وأسلم وأحكم، وهذا يتطلب استشارة أصحاب العلم والعقل والمعرفة، ولنا في الرسل الكرام أسوة حسنة، فإبراهيم عليه السلام شاور ولده إسماعيل في ذبحه، ومحمد صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في الكثير من القضايا الحساسة والخطيرة وهو النبي الموحى إليه، حتى أن الطغاة والمستبدين بعضهم استشار من حوله كفرعون حين استشار قومه في أمر موسى عليه السلام والسحرة، فقال ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠).

وملكة سبأ حين طبقت نظرية الشورى وبعدها التربوي فنجت بنفسها وقومها لأن " الشورى تقي الأمة سيئات شتى، منها إعجاب الغبي برأيه، ورغبته في فرضه على الناس، وقديماً قيل: من البلاء الرأي لمن يملكه لا لمن يبصره" (2).

وعلى الصعيد التربوي جميل أن يشاور المرابي والمعلم والداعية من يريهم، سواء كان هذا المرابي معلماً في مؤسسة تعليمية، أو أباً في بيته، أو داعية في مجتمعه، لأنه هذه المشورة وهذا التعاون

1 ينظر، رمضان، محمد رفعت، وزميلاه، أصول التربية وعلم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، (ص187-188).

2 الغزالي، محمد، أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية، دار الشرق الأوسط، ط1، 1990م، (ص33).

يعمل على " تقوية الصلة بين المربي والولد، ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجه، ويكتمل التفاعل التربوي على أحسن وجه، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي على أنبل معنى"⁽¹⁾.
والخلاصة: أن على المربين والدعاة والمعلمين أن تكون الشورى نهجاً تربوياً في حياتهم يتعلمونها ويعلمونها لغيرهم، وتترسخ لديهم ثقافة وقناعة بهذا النهج وهذه القيمة التربوية التي لا تأتي إلا بخير، ولا تعود إلا بالنفع على كل العاملين في الحقل التربوي.

ثالثاً: الحاكم العادل يقرب البطانة الحسنة ويبعد البطانة السيئة ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

(الأعراف: ١١٤)

قال الزجاج⁽²⁾: "البطانة الدُّخلاء الذين يُنْبَسَطُ إليهم وَيُسْتَبْطَنُونَ يقال فلان بطانة فلان أي مُدَاخِلٌ له مُؤَانِسٌ ويقال أنت أَبْطَنُ بهذا الأمر أي أَخْبَرُ بِبَاطِنِهِ وَتَبْطَنُتُ الْأَمْرَ عَلِمْتَ بَاطِنَهُ وَبَطَنُتُ الْوَادِي دَخَلْتَهُ وَبَطَنُتُ هَذَا الْأَمْرَ عَرَفْتُ بَاطِنَهُ وَمِنَ الْبَاطِنِ فِي صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْبَطَانَةُ السَّرِيرَةُ"⁽³⁾.
ويُفْهَمُ مِنَ التَّعْرِيفِ لِكَلِمَةِ بَطَانَةٍ أَنَّ بَطَانَةَ الرَّجُلِ هُمُ خَاصَّتُهُ وَالْمُقَرَّبُونَ مِنْهُ، وَتَرْجُمَةُ هَذَا الْمَفْهُومِ عَلَى عَالَمِ الْحُكَّامِ أَدَقُّ، فَالْحَاكِمُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي يَحْرِصُ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَطَانَةٌ خَيْرَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَيُبْعَدُ عَنْهُ الْبَطَانَةُ السَّيِّئَةُ الَّتِي تَزِينُ لَهُ سَوْءَ أَعْمَالِهِ فَيَهْلِكُ وَيُهْلِكُ غَيْرَهُ مِمَّنْ وُلِّيَ أَمْرَهُ، وَهَذَا مَا حَثَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةً إِلَّا لَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ"⁽⁴⁾.

1 علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (1022/2).

2 . إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، من كتبه معاني القرآن. الاشتقاق. خلق الانسان. الأمالي في الأدب واللغة. فعلت وأفعلت في تصريف الالفاظ. العروض والقوافي. وغيرها من الكتب، ت 31 هـ. المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (59/5). الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (232/7). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (613/6). الزركلي، الأعلام، (40/1).

3 ابن منظور، لسان العرب، (52/13).

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب المعصوم من عصم الله، رقم (6237)، (2438/6).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أهمية أن يختار الحاكم البطانة الصالحة، أو المستشار الأمين الذي لا يغشه في النصيحة، ويذكره بالاستقامة إذا انحرف، وبالعدل إذا ظلم، وبالدار الآخرة إذا غرتته دار الدنيا، بهذه البطانة يعيش الحاكم والمحكوم في أمن وأمان وعدل وحرية.

رابعاً: الإرهاب والطغيان يملأ النفوس بالجبن والذل، وبالحقد والقسوة

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف: ١٤١)

يرى ابن قيم الجوزية أن طلب موسى وهارون عليهم السلام من فرعون "أن يرسل معهما بني إسرائيل ويخلي بينهم وبينهما ولا يعذبهم، ومن طلب من غيره ترك العدوان والظلم وتعذيب من لا يستحق العذاب فلم يطلب منه شططاً، ولم يرهقه من أمره عسراً؛ بل طلب منه غاية النصف"^(١).

لأن "عبودية الناس لغير الله تعالى تنتشى في نفوسهم الذلة، وقد أراد الله أن يقيمها على الكرامة، وتنتشى في الحياة الظلم والبغي، وقد أراد الله أن يقيمها على القسط والعدل"^(٢).

ويقول محمد الغزالي: "إن الاستبداد السياسي من أول أسباب الشلل الفكري عند المسلمين، إنه ليس هيناً أن يسير الإنسان في الطريق خائفاً يترقب، فقد تهوي عصا على أم رأسه تؤدي بحياته، أو تناله صفة على قفاه تؤدي بكرامته، أو يؤخذ بتلابيبه فيرمى في السجن لا يدري شيئاً عن أهله وولده، إن الحاجة إلى الاستقرار النفسي كالحاجة إلى القوت"^(٣).

ومن أهداف الإسلام "حرب السلطات الطاغية، والفتن المضللة، حتى تتوطد في الأرض حرية الضمير والعقل، فلا يذل حق، ولا يهون إيمان، إن الجهاد المثمر يحول الخير من علوم نظرية، ومسالك فردية، إلى حقائق ثابتة، وتقاليد عامة، ومناهج منظمة"^(٤).

وأخيراً فإن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، وكره أن يتسلط إنسان مهما بلغت درجته على بقية عباد الله وتحت أي ذريعة كانت، ويسوم الناس سوء العذاب ظمناً وعدواناً، ويفرض عليهم ما يشاء من قرارات تمس شؤون حياتهم المختلفة، فالطغيان من أسوأ أشكال الظلم، وأسوأ أنواعه أن يكون جماعياً منظماً ممثلاً لحالة استبداد عامة ذي آليات عمل منظمة وأساليب وتكتيكات ممنهجة للوصول إلى حالة استعباد العباد والإفساد في البلاد دون رقيب أو رادع أو

1 ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (2/396).

2 قطب، في ظلال القرآن، (4/1867).

3 الغزالي، محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار النشر، القاهرة، (ص45-46).

44 الغزالي، محمد، ليس من الإسلام، (ص25)

حسيب، ويدلل ذلك على العمل الطغياني الجماعي المنظم لإحكام القبضة على الشعور بالقوة والسيادة على الناس بالحديد والنار يرهق النفوس ويذلها ويقتل إبداعاتها⁽¹⁾.

خامساً: الإمارة والقيادة الصالحة المصلحة شرط لتنظيم حياة الناس ﴿أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي﴾

(الأعراف: ١٤٢)

فمن هذا المفهوم أخلف موسى عليه السلام أخاه هارون على قومه؛ ليكون لهم قائداً وموجهاً تربوياً وناصباً وهذا شرط مهم من شروط الفكر التربوي، والقيادة لا تتربى ولا تربي غيرها إلا إذا تربت على العبادات التي شرعها الله لعباده المؤمنين والتي بدورها تربي في النفوس روح القوة. قوة العقيدة، وقوة الإرادة، وقوة السيطرة على جوامح النفس ونوازعها، فإذا كان الإسلام ينمي في أتباعه هذه الروح الواثبة، فينبغي على كل شاب مسلم أن يرسم لنفسه طريقاً في الحياة، وأن يتخذ لنفسه مثلاً أعلى يعمل على تحقيقه، وليعلم علم اليقين أن الله عز وجل دفع بالإنسان إلى هذه الحياة وهو مزود بمواهب معينة، هذه المواهب تذبل وتموت عند الإنسان الخانع الكسول المحب للراحة والدعة أما الذي يحرص على تربية نفسه فسيفقد ويسود ويفوز ويؤثر فيمن حوله وفيمن يربيهم⁽²⁾.

وعلى صعيد عملية التعليم والتعلم فالمطلوب إيجاد كفايات تدريسية لازمة للمعلم المتدرب ليصبح قائداً تربوياً مؤثراً وفاعلاً وعلى العموم، يمتاز برنامج الإعداد بالكفايات التدريسية بالخصائص الآتية:

1. يتكون برنامج الكفايات من مجموعة من المهارات التدريسية المتدرجة التي يراها المربون

ضرورية لنجاح عمليات التعليم في المدارس الواقعية

2. يتميز برنامج الكفايات بكونه برنامجاً تحضيرياً انتقائياً يستخدم في آن واحد مفاهيم

وتنظيمات متنوعة للتربية العملية، كالملاحظة والتعلم الفردي الخاص والمعلم المساعد

والمعلم المتمرن المقيم وتدريب الفريق والتدريس المصغر وغيرها.

3. يتميز برنامج الكفايات في اعتماده الواسع على وسائل وتكنولوجيا التعليم في عمليات إعداد

الطلبة وتدريبهم على المهارات المطلوبة.

1 اللوباني، الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية (ص167).

2 واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبي

القاهرة، ط3، 1989م، (ص223).

4. يتميز برنامج الكفايات بالفردية في عمليات التعلم والتعليم _ أهدافاً ومحتوى أنشطة ومدى زمنية. يتقدم كل طالب متدرب حسب سرعته الذاتية، متعلماً ما يحتاج من مهارات ومنفذاً إياها في الوقت الذي يستأنس بقدرته على ذلك⁽¹⁾.

سادساً: قبول المسلم النصيحة من غيره، علامة خير وإيمان. ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (الأعراف: ١٤٢)

يقول ابن قيم الجوزية "والنصيحة لقاح العقل فكلما قويت النصيحة قوى العقل واستتار"⁽²⁾. والنصيحة واجبة على الناصح تجاه المنصوح، كما هو واجب على المنصوح أن يتقبل نصيحة الناصح، بل قبول النصيحة من الأخلاق الفاضلة التي توجب على المُربي أن ينصح غيره ويقبل نصيحة غيره، وفي عملية التعليم والتعلم وفي عالم التربية والسلوك، أن ينصح المعلم المتعلم ويقبل المتعلم النصيحة، وأن ينصح المُربي تلاميذه ويستجيب الطلبة والتلاميذ لإرشادات ونصائح مربيهم،

يقول ابن قيم الجوزية: تذكير العبد بمراد الله تعالى من النصيح والنصيحة، وسواء كانت هذه النصيحة بالإرشاد والتحذير، أو بالتهديد والوعيد، فهي منة الله، وإلا فهي حجة وكل بصيرة وموعظة وتذكير وتعريف من تعريفات الحق سبحانه إلى العبد اتصل به عبرة ومزيد في العقل ومعرفة في الإيمان فهي منة وإلا فهي حجة وكل حال مع الله تعالى أو مقام اتصل به السير إلى الله وإيثار مراده⁽³⁾.

وواجب النصيحة الأصل أن يقوم به العلماء والمربون، وأن يسلكوا سلوك تربية الأنبياء وطريقتهم في التبليغ، وذلك بالصبر والاحتمال، ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان، والرفق بهم، واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق، وبذل ما يمكن من النصيحة لهم؛ فإنه بذلك يحصل له نصيبهم من هذا الميراث العظيم وقدره الجليل⁽⁴⁾.

والمربي الناصح والداعية المرشد يجب ألا يحمل في قلبه الغل والغش في النصيحة، لأن "مناصحة أئمة المسلمين هذا أيضاً مناف للغل والغش؛ فإن النصيحة لا تتوافق مع الغل؛ إذ هي ضده فمن

1 حمدان، محمد زياد، التربية العملية الميدانية مفاهيمها وكفاياتها وممارساتها، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م، (ص36-37).

2 ابن قيم الجوزية، الفوائد، (ص200).

3 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (1/173).

4 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (1/66).

نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل والغش فإن صاحبه لزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ويسوؤه ما يسوؤهم ويسره ما يسرهم وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن⁽¹⁾.

ومن هنا جاءت توجيهات الرسول ﷺ يبين فيها أن " الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"⁽²⁾. وأخيراً على المسلم قبول النصيحة ممن كانت وممن خرجت فالحكمة ضالة المؤمن فإن وجدها كان أحق الناس بها، وهذا ما يؤكد أبو حامد الغزالي في قوله للمنصوح "واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم"⁽³⁾.

والخلاصة أن النصيحة هي عبارة عن تواصي بالحق والصبر ولا خير في الإنسان إن لم ينصح من أخطأ ولا خير في المنصوح إن لم يقبل نصيحة الناصح، فمن هنا على المربي والداعية ألا يجامل الناس على أخطائهم بل ينصح ويذكر بأدب النصيحة وشروطها، والمنصوح عليه أن يستجيب للنصيحة وإن رفضها يكون مبتلى بأمراض نفسية خطيرة كالكبر والغرور والعجب عليه معالجتها.

وأخيراً وبفضل من الله تعالى وتوفيق تمت هذه الدراسة، سائلاً المولى عزوجل أن يتقبل هذا الجهد المتواضع وأن ينفع به، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

1 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (72/1).

2 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (205)، (53/1).

3 الغزالي، إحياء علوم الدين، (55/1).

أبرز نتائج الفصل الرابع: أثر قصة موسى في الواقع التربوي والسياسي.

1. الإيمان بالله وآياته لا يعاب عند العقلاء بل هو أصل المناقب والمفاخر
2. الإمارة والقيادة الصالحة المصلحة شرط لتنظيم حياة الناس
3. الشدائد تصقل النفوس وترقق القلوب وترفع الدرجات
4. قبول المسلم النصيحة من غيره، علامة خير وإيمان
5. العزلة والاتصال وموقف المربي الناجح والداعية الواعي.
6. الحرية فريضة شرعية وضرورة إنسانية وقيمة تربوية.
7. أهمية الشورى كقيمة سياسية وتربوية حتى عند الطغاة.
8. الحاكم العادل يقرب البطانة الحسنة ويبعد البطانة السيئة.
9. الإرهاب والطغيان يملأ النفوس بالجبن والذل، وبالحدق والقسوة

أبرز النتائج العامة للدراسة:

1. استشراف المربي للمستقبل واغتنام الفرص لتربية من يربيههم
2. أسلوب الرفق واللين في مخاطبة الآخرين أسلوب تربوي رائع وراقٍ.
3. مراعاة الأدب في الحوار مع المخالف
4. الثواب والعقاب أسلوب تربوي أقرته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.
5. الإنكار والتوبيخ والتفريع أساليب تربوية يستفاد منها عند الضرورة
6. الأخذ على أيدي السفهاء والعابثين جزء من مهمة الدعاة والمربين
7. الغضب القولي ﴿بَسْمًا خَلَقْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥٠) والغضب الفعلي ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠) أسلوبان تربويان هامين في علاج انحرافات نفسية وسلوكية خطيرة.
8. أهمية الشورى كقيمة سياسية وتربوية حتى عند الطغاة.
9. الحاكم العادل يقرب البطانة الحسنة ويبعد البطانة السيئة.
10. الإرهاب والطغيان يملأ النفوس بالجبن والذل، وبالحدق والقسوة

أهم التوصيات

من قدر الله تعالى في خلقه الضعف والنقص والنسيان والمحدودية، فالإنسان مهما بحث واجتهد، إلا أن بحثه واجتهاده يعتريه النقص والضعف والنسيان، فإن هذه الدراسة كانت عن الإشارات التربوية في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف ، وقصة موسى عليه السلام وردت في أكثر من سورة من سُور القرآن الكريم، وكل سورة مليئة بالموضوعات التي تصلح أن تكون أبحاثاً للمستقبل ، وإن كان لا بُد من توصيات للباحث في هذه الرسالة هي على النحو التالي:

ومن أبرز التوصيات التي يوصي بها الباحث:

1. توجيه الباحثين والدارسين لاستكمال استنباط إشارات تربوية من كل آية من آيات القرآن الكريم عامة والقصص القرآني خاصة لما لهذا القصص من تأثير إيجابي وفعال على المعلم والمتعلم كما أكد ذلك التربويون القدامى والمعاصرون.
2. أن يقوم مجموعة من الباحثين باستيفاء بقية الدلالات التربوية في قصة موسى عليه السلام في غير سورة الأعراف.
3. دراسات تربوية تكون مرجعيتها السنة النبوية.
4. إجراء دراسات وأبحاث قرآنية تهدف إلى استنباط واستخلاص الأساليب التربوية في القرآن الكريم، بحيث تتناول الدراسة شكل الأسلوب التربوي وأغراضه وأهدافه ومجالاته وآثاره ومميزاته.
5. تشجيع الباحثين في الدراسات القرآنية على الكتابة في المباحث الإجتماعية والإنسانية والنفسية والإدارية والسياسية والعقدية المختلفة من خلال القرآن الكريم، للفت أنظار الباحثين والدارسين لكنوز آيات القرآن التربوية.

المراجع:

1. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب، تحقيق:** عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1986م.
2. ابو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة، تحقيق:** عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، ط1، 1998م.
3. أعضاء ملتقى أهل الحديث، **المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين،** ملتقى أهل الحديث، الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة و لا يوجد مطبوع أعده للموسوعة خالد لكحل الذهبي.
4. الكردي، محمد أمين، **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب،** دار الفكر، بيروت، 1994م.
5. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر، **الشكر، تحقيق:** بدر البدر، المكتب الإسلامي، الكويت، ط2، 1980م،
6. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد، تحقيق:** هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1996م.
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق:** علي حسن ناصر وزميلييه، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1995م.
8. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **الاستقامة، تحقيق:** محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط3، 1983م.
9. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **الصفدية، حقيق:** محمد رشاد سالم، ط2، 1986م.
10. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **الفتاوى الكبرى،** دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1987م.
11. ابن تيمية، أحمد، **أمراض القلوب،** المطبعة السلفية، القاهرة، 1997م.
12. ابن تيمية، **العبودية، تحقيق،** محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط7، 2005م.

13. ابن تيمية، **أمراض القلوب وشفافؤها**. المطبعة السلفية، القاهرة، 1997م.
14. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 2005م.
15. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1984م.
16. ابن حزم الاندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، **الأخلاق والسيّر**، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، ط1، 1988م.
17. ابن خلدون، عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5.
18. ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، (44/1).
19. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996م
20. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت
21. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م
22. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م.
23. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993م
24. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، (11/5).
25. ابن قيم الجوزية، **العزلة والانفراد**، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار الوطن، السعودية، 1997م
26. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ، **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 1995م

27. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر إغاثة اللفهان، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م.
28. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الواابل الصيب، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985م.
29. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، إغاثة اللفهان، تحقيق، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م
30. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت
31. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب، حادي الأرواح، دار الكتب العلمية، بيروت.
32. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت.
33. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1992م
34. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت ، 1978م.
35. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1973م
36. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وزميليه، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1996م
37. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، اجتماع الجيوش الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م
38. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تحقيق : يوسف أحمد البكري، ط1، 1997م، شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم، الدمام،
39. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م
40. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي، دار الكتب العلمية، بيروت

41. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م
42. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلّة، تحقيق : علي بن محمد، دار العاصمة
43. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفروسية، تحقيق : مشهور بن حسن، دار الأندلس، السعودية، ط1، 1993م
44. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1973م
45. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985م.
46. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، جلاء الأفهام، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1987م
47. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م
48. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994م
49. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، تحقيق : محمد بدر الدين، دار الفكر، بيروت ، 1978م
50. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلّة، تحقيق : علي بن محمد الدخيل الله،
51. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1999م
52. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (434/4).
53. أبو الحسين، عبد الباقي بن قانع، معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراطي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1997م.
54. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

55. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، **أيسر التفاسير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 2003م
56. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، دار النشر : دار الكتب العلمية، لبنان، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، 2001م.
57. أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، دار الكتاب العربي . بيروت.
58. أبو عبد الله، علاء الدين، مغلطاي بن قليج، **كمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط1، 2001م.
59. أبو نصر البخاري، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد**، تحقيق : عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1996م.
60. ابو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، ط1، 1998م.
61. أحمد، لطفي بركات، **في الفكر التربوي الإسلامي**، دار المريخ، ط3،
62. أحمد، نازلي صالح، **التربية الديمقراطية في الإسلام**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م
63. الأندروني، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1997م
64. الأندروني، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1997م.
65. اشتيوه، فوزي فايز وآخرون، **مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها**، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، ط1، 2011م.
66. الألوسي، محمود، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت
67. الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.

68. باترسون، س.ه، **نظريات الارشاد والعلاج النفسي**، ترجمة حامد عبد العزيز الفقي، دار القلم، الكويت، ط1، 1981م
69. البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت256 هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البُغَا، دار ابن كثير اليمامة، ط3، بيروت، 1987م
70. برينتون، كرين، **تشكيل العقل الحديث**، ترجمة شوق جلال، دار العين للنشر والتوزيع، مصر، 2001م
71. البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وزميليه، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.
72. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية، 1995م، بيروت.
73. بيفر، فيرا، **الشجاعة الإيجابية**، مكتبة جرير، ط1، 2006م
74. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
75. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت
76. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان**، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م.
77. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985
78. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 2003م
79. الجمالي، محمد فاضل، **الفلسفة التربوية في القرآن**، دار الكتاب الجديد، ط2، 1980م
80. جولمان، دانييل، **الذكاء العاطفي**، ترجمة ليلى الجبالي، 2000م، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت
81. الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح في اللغة**، تحقيق: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 2008م

82. الحازمي، خالد، **أصول التربية الإسلامية**، دار عالم الكتب، المدينة المنورة، ط1، 2000م.
83. حمدان، محمد زياد، **التربية العملية الميدانية مفاهيمها وكفاياتها وممارساتها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م
84. الحنبلي، مرعي بن يوسف الكرمي، **الشهادة الزكية**، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1982م.
85. حوى، سعيد، **تربيتنا الروحية**، دار السلام، مصر، ط3، 1990م.
86. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر، بيروت، 1979 م
87. الخالدي، صلاح عبدالفتاح، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، دار القلم الدار الشامية، ط2، 1994 م.
88. الخالدي، صلاح، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار القلم دمشق، الدار الشامية، ط2، بيروت، 2007م
89. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية، بيروت،
90. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط1.
91. الداودي، حمد بن علي بن أحمد شمس، **طبقات المفسرين**. دار الكتب العلمية؛ 1983م.
92. الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط1، 198 م
93. الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، **تذكرة الحفاظ**، حقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
94. الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1997م.
95. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.
96. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **تفسير الفخر الرازي**، دار إحياء التراث العربي

97. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المنار، مصر، ط2، 1948م.
98. رمضان، محمد رفعت، أصول التربية وعلم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4
99. زايد، فهد خليل، أسرار القصة القرآنية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007م
100. الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م.
101. الزعبلوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط3، 1997م
102. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
103. السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م.
104. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م
105. السلمي، أبو عبد الرحمن، آداب الصحبة، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1
106. سليم، عبد العاطي علي، خلق المؤمن، تحقيق: محمد عبد العاطي سليم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 2007م
107. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت،
108. السمعاني، أبو المظفر منصور، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1997م (203/2).
109. السورطي، يزيد عيسى، السلطوية في التربية العربية، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2009م. (ص 8).
110. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط2، 1978م.

111. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط2، 1978م.
112. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الإِتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2005م
113. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م
114. الشعراوي، محمد متولي، قصص الأنبياء والمرسلين، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، ط2، 2001.
115. الشيباني، عمر، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، 1975 م.
116. الشبخلي، عبد القادر، أخلاقيات الحوار، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، الأردن، م1993.
117. صالح، أحمد زكي، علم النفس التربوي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط3، 1979م
118. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
119. طنطاوي، محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997م
120. عبد العزيز، مفتاح محمد، القرآن وعلم النفس ، جامعة قار يونس بن غازي ، ط1 1997م.
121. العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد: المدخل، دار الفكر، -1981م .
122. العجم، رفيق، موسوعة مصطلح التصوف الاسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1199م،
123. عرسان، ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، 1998م
124. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد/الهند، 1972م).

125. علوان، عبد الله، *تربية الأولاد في الإسلام*، دار السلام، بيروت، ط1، 21، 1992م
126. غالب، حنا، *التربية المتجددة وأركانها*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، حنا غالب، ط2، 1970م.
127. الغزالي، أبو حامد، *ميزان العمل*، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط1، 1964م
128. الغزالي، *المحاور الخمسة للقرآن الكريم*، دار القلم دمشق، 1997، ط2
129. الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، *إحياء علوم الدين*، دار المعرفة، بيروت
130. الغزالي، محمد، *أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية*، دار الشرق الأوسط، ط1، 1990م
131. الغزالي، محمد، *خلق المسلم*، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1987م.
132. الغزالي، محمد، *ليس من الإسلام*، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1968م
133. الغزالي، محمد، *ليس من الإسلام*، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م
134. الغزالي، محمد، *مشكلات في طريق الحياة الإسلامية*، دار النشر، القاهرة
135. ف.ف. بوغوسلوفسكي، وزميلييه، *علم النفس العام*، ترجمة: جوهر سعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1997م
136. الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، *ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد*، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1990م.
137. الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، *ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد*، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1990م.
138. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
139. الفنجري، أحمد شوقي، *الحرية السياسية في الإسلام*، دار القلم الكويت، ط2، 1938م،
140. فوستر، كونستانيس: *تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال*، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط4، 1990م

141. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط.
142. فينكس، فيليب هـ، فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب النجيجي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، نيويورك، 1982م،
143. القرضاوي، يوسف، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، مكتبة وهبي، القاهرة، ط3، 1992م.
144. القرضاوي، يوسف، ثقافة الداعية، مكتبة وهبي، القاهرة، ط9، 1991م
145. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع للأحكام، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م
146. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2003م
147. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002م
148. قطب، سيد، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، 1982م،
149. قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1979م.
150. قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1992م
151. قمبر، محمد، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافي، الدوحة، ط1، 1992م
152. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982
153. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، جمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.
154. كولتشييتسكايا، ي، تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ترجمة عبد المطلب أبو سيف، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997م
155. الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 1998م

156. الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993م.
157. لنديلد، جيل، **إدارة الغضب**، مكتبة جرير، الرياض، ط4، 2008م
158. اللبواني، عيسى ابراهيم، **الإعجاز القرآني في التعامل مع النفس البشرية**، دار المأمون للنشر والتوزيع ، ط1، 2009
159. الماوردي، أبو الحسن علي، (تفسير الماوردي) **النكت والعيون**، تحقيق : السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، (276/2).
160. ماي، رولو، **شجاعة الإبداع**، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م
161. المحاسبي، أبو عبد الله حارث بن أسد، **آداب النفوس**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1984م
162. محمود، علي عبد الحليم، **وسائل التربية عند الإخوان المسلمين**، دار الوفاء، المنصورة، ط4، 1990م
163. مذكور، علي أحمد، **منهج التربية في التصور الاسلامي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1990.
164. مرتضى، الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
165. مرسي، محمد منير، **أصول التربية الثقافية والفلسفية**، عالم الكتب، القاهرة، 1979م
166. معوض، خليل ميخائيل، **سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)**، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية، ط3، 1994م
167. المغراوي، محمد بن عبدالرحمن، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، المكتبة الإسلامية ، النبلاء للكتاب، 2007م.
168. المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق : محمد رضوان الداية، ، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1999م
169. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق ، ط2، 987م

170. نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1992م.
171. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر، ط25، 2007
172. النحلاوي، عبد الرحمن، من أساليب التربية الإسلامية (التربية بالحوار)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م
173. النسفي، أبو البركات عبد الله، تفسير النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس . بيروت 2005م،
174. نصر، ياسر، مشكلات تربوية، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط1، 2008م
175. هيلد. فيرجينيا، أخلاق العناية، ترجمة ميشيل حنا متياس، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، سنة 2008م
176. واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبي القاهرة، ط3، 1989م
177. وبيير، رونييه، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1972م
178. يالجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983م
179. ينظر الشعراوي، قصص الانبياء والمرسلين، مكتبة التراث الإسلامي، ط2، 2001م

مواقع الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت):

180. <http://www.paldf.net/forum/showthread>.
181. <http://arz.wikipedia.org/wiki/>
182. <http://islamstory.com/ar/>
183. الكاتب محمد خيرى آل مرشد. <http://www.nshrs.com/e/articles.php>
184. <http://vb.tafsir.net/tafsir>
185. (<http://www.paldf.net>).
186. <http://www.saaaid.net/aldawah>
187. <http://www.islamtoday.net>
188. <http://vb.arabsgate.com>

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
15	41	آل عمران	﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ ءآيَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾
27	62	آل عمران	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾
55	159	آل عمران	﴿ وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾
31، 30، 29	46	الأعراف	﴿ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾
32	73-61	الأعراف	﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۗ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ ﴾
27	89	الأعراف	﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾
36، 35	103	الأعراف	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
40	112-104	الأعراف	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ... يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾
45، 41	104	الأعراف	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
46، 45، 42	105	الأعراف	﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ۗ ﴾
43	106	الأعراف	﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ حِجَّتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
43	108-107	الأعراف	﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾
46، 44، 43	110-109	الأعراف	﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾
44	112-111	الأعراف	﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ ﴾

			يَكُلُّ سَجِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٧﴾
57	118-113	الأعراف	وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾
57	113	الأعراف	﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾
59 ، 58 ، 57	114	الأعراف	﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفَرِّينَ ﴾
60 ، 58	115	الأعراف	﴿ يَكْفُرُونَ بِمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَمِمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١٩﴾
58	116	الأعراف	﴿ قَالَ أَتَقْتُونَ ﴿١٢٠﴾
59	119-117	الأعراف	﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبِيرِينَ ﴿١٢٢﴾
65	126-120	الأعراف	﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿١٢٣﴾ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٤﴾
66	122-120	الأعراف	﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿١٢٥﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٧﴾
67 ، 66	123	الأعراف	﴿ ءَأَمْنُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ ﴿١٢٨﴾
67	124	الأعراف	﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْمِنَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٩﴾
67	126-125	الأعراف	﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٣١﴾
75	125	الأعراف	﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٣٢﴾
68	126	الأعراف	﴿ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴿١٣٣﴾
69 ، 68	127	الأعراف	﴿ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴿١٣٤﴾ قَالَ سَتَقْبِلُ أبنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٣٥﴾
78	128	الأعراف	﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ ابْنَ الْأَرْضِ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٦﴾

78	129	الأعراف	﴿ قَالُوا أُودِعْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾
84	137-130	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾
84	130	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾
85	131	الأعراف	﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
86 ،85	132	الأعراف	﴿ مَهْمَا تَأْتَيْنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
88 ،87	133	الأعراف	﴿ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفْضَلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾
88	134	الأعراف	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
88	135	الأعراف	﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾
88	136	الأعراف	﴿ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾
139 ،88 ،33	137	الأعراف	﴿ كَلِمَاتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
99 ،98	141-138	الأعراف	﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ يُقْنِلُونَ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾
113	145-142	الأعراف	﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِهَا عَشْرَ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾

125	145-144	الأعراف	﴿ قَالَ يَمْسِرُ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءَ آتَيْنِكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾
129	149-148	الأعراف	﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
133	154-150	الأعراف	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ ﴾
147	155	الأعراف	﴿ وَأَخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَّ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾
154	162-159	الأعراف	﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾
165، 163	171	الأعراف	﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا لُجْلَجَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَقِعَ بِهِمْ حُدُودًا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَذَكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تُنْقَبُونَ ﴾
26	3	يوسف	﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾
162	7	إبراهيم	﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾
90	88-87	الكهف	﴿ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا

			﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا ﴿يُسْرًا﴾
16	11	مريم	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾
15	29	مريم	﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾
41	44	طه	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾
89	5	القصص	﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾
89	6	القصص	﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾
71	30	الروم	﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾
29	13	الحديد	﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورٍ لَهُ بَابٌ﴾
30	1	المرسلات	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث	لرقم
1	لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ	.1
1	مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ	.2
17	بعثت أنا والساعة كهاتين	.3
17	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا	.4
18	كنت أخرج اشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ وأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفثيه بعد الصلاة أم لا، ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني	.5
48	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ	.6
51	إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا	.7
61	مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةً إِلَّا لَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ	.8
71	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ بِبَيْهَمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ	.9
75	أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ «. قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ	.10
80	احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ	.11
81	لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيَعْجِبُنِي الْقَوْلُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ	.12

85	اللهم اجعلها سنين كسني يوسف	13.
85	اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف	14.
93	يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ، قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ	15.
93	لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْقَالَ لَصَالِحِ الْكَلِمَةِ الْحَسَنَةُ	16.
107	إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ	17.
110	أَبَا ذَرٍّ أَعْيَرْتَهُ بِأُمَّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ	18.
122	الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة. قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ	19.
122	إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، مِئَةَ مَرَّةٍ	20.
124	مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. قَالَ «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. قَالَ «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. قَالَ «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ	21.
128	وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ	22.
139	ا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان	23.
140	لا تغضب" ورددتها للسائل قائلاً لا تغضب	24.
144	قُدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ فَأَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ ، قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَوْلَدِهَا	25.

144	أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ	.26
144	كَيْفَ كَيْفَ أَرِمَ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ	.27
148	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنِ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ	.28
151	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استنقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا	.29

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم	الرقم
16	الجزائري	.1
16	ابن عجيبة	.2
16	الغازن	.3
17	سهل بن سعد	.4
18	كعب بن مالك	.5
21	ابن تيمية	.6
21	ابن خلدون	.7
22	النحلوي	.8
24	الفيروزآبادي	.9
29	ابن عاشور	.10
31	الرازي	.11
32	القرطبي	.12
33	الشوكاني	.13
37	الخالدي	.14
41	سيد قطب	.15
42	السعدي	.16
45	الشعراوي	.17

48	ابن قيم الجوزية	.18
49	عبد الله علوان	.19
55	ابن حزم الأندلسي	.20
61	الزجاج	.21
70	أبو حامد الغزالي	.22
73	محمد الغزالي	.23
85	البغوي	.24
88	طنطاوي	.25
95	المحاسبي	.26
102	أبو حيان	.27
106	ابن أبي الدنيا	.28
110	أبو زر	.29
114	محمد رشيد رضا	.30
129	الطبري	.31
147	ابن عطية الأندلسي	.32
154	عبد الله بن سلام	.33

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ج	إجازة الرسالة
د	الإهداء
1	الإقرار
2	شكر وعرهان
3	المخلص باللغة العربية
5	المخلص باللغة الإنجليزية
6	المقدمة
7	أسباب اختيار الموضوع
8	مشكلة الدراسة وأسئلتها
9	أهداف الدراسة
10	أهمية الدراسة
10	منهجية الدراسة
11	الخطوات الإجرائية للدراسة
11	حدود الدراسة
12	الدراسات السابقة
19	مصطلحات الدراسة
20	الخطة التفصيلية للدراسة
21	الفصل الأول
23	المبحث الأول: معنى الإشارات
23	المطلب الأول: الإشارات لغة واصطلاحاً
24	المطلب الثاني: رأي المفسرين في الإشارات التربوية:
26	المطلب الثالث: الإشارة في السنة النبوية
29	المبحث الثاني: التربية لغة واصطلاحاً
29	المطلب الأول: التربية في اللغة
30	المطلب الثاني: التربية في الاصطلاح
30	المطلب الثالث: مفهوم التربية عند علماء المسلمين وعند غيرهم

31	المطلب الرابع: أهداف التربية في الإسلام
32	المبحث الثالث: القصص القرآني
32	المطلب الأول: القصة في اللغة والاصطلاح
34	المطلب الثاني: خصائص القصص القرآني
36	المطلب الثالث: أغراض القصة القرآنية
38	المبحث الرابع: تعريف عام بسورة الأعراف
38	المطلب الأول: سبب تسمية سورة الأعراف بهذا الاسم
39	المطلب الثاني: المعنى اللغوي لكلمة الأعراف
40	المطلب الثالث: معنى الأعراف عند علماء التفسير (المعنى الاصطلاحي)
41	المطلب الرابع: زمن نزول السورة
42	المطلب الخامس: عدد آيات السورة
44	الفصل الثاني: مراحل الدعوة في قصة موسى عليه السلام وفرعون
45	المبحث الأول: مرحلة التبليغ والدعوة في اللقاء الأول بين موسى <small>عليه السلام</small> وفرعون
45	المطلب الأول: مشهد بعثة موسى <small>عليه السلام</small> - بعد من سبقه من الأنبياء - إلى فرعون وملئه.
50	المطلب الثاني: مشهد اللقاء الأول بين موسى <small>عليه السلام</small> وفرعون وملئه
67	المطلب الثالث: مشهد اللقاء الثاني بين موسى <small>عليه السلام</small> وسحرة فرعون
76	المطلب الرابع: السحرة ورحلة الإيمان
87	المطلب الخامس: مشهد موسى <small>عليه السلام</small> مع قومه وهو يحتثهم على الاستعانة بالله والصبر
93	المطلب السادس: مشهد فرعون وآله يأخذهم الله بعاقبة الظلم والطغيان، ويحقق وعد موسى <small>عليه السلام</small> لقومه.
108	الفصل الثالث: موسى <small>عليه السلام</small> يواجه رواسب الوثنية والردة في نفوس بني إسرائيل
109	تمهيد
109	المبحث الأول: مشهد بني إسرائيل عند تجاوزهم البحر وانحرافهم عن عقيدة التوحيد
109	المطلب الأول: طلبهم من نبيهم موسى <small>عليه السلام</small> أن يجعل لهم إلهاً كما لغيرهم آلهة
125	المطلب الثاني: مرحلة الإعداد والتربية للداعية والمدعويين
137	المطلب الثالث: اصطفاء الله تعالى لموسى <small>عليه السلام</small> في تلقي الرسالة والكلام
142	المطلب الرابع: مشهد الهبوط والتردي بانحرافات قوم موسى <small>عليه السلام</small> في عبادتهم العجل

146	المطلب الخامس: موسى <small>عليه السلام</small> ، وغضبته القولية والفعلية
160	المطلب السادس: مشهد موسى <small>عليه السلام</small> والسبعين المختارين من قومه لميقات ربه
167	المطلب السابع: أسباط بني إسرائيل
176	المطلب الثامن: المشهد الأخير والختامي من مشاهد قصة موسى <small>عليه السلام</small> ، وهو نتق الجبل فوقهم
181	الفصل الرابع: مدى انعكاس الوقائع والأحداث في قصة موسى <small>عليه السلام</small> على واقعنا الذي نحياه؟
181	المبحث الأول: أثر قصة موسى <small>عليه السلام</small> في الواقع التربوي
198	المبحث الثاني: أثر قصة موسى <small>عليه السلام</small> في الواقع السياسي
206	النتائج
207	التوصيات
208	المراجع
221	فهرس الآيات
226	فهرس الأحاديث النبوية
229	فهرس الأعلام
231	فهرس الموضوعات